coptic-books.blogspot.com

أبعاد الحُبّ

أ. هنري بولاد اليَسُوعيّ

دار المشرق - بيروت

coptic-books.blogspot.com

لا مانع من طبعه
بولس باسيم
النائب الرسوليّ للّاتين
بيروت، ٢٨/٨/١٩٩٥

جميع الحقوق محفوظة، طبعة خامسة ٢٠٠٨

دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠
لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5251-7

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: (٠١) ٤٨٥٧٩٣
فاكس: (٠١) ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb

راجع النصّ: **ريمون حرفوش**

هذا الكتاب

إنَّه سلسلة محاضرات عن الجنس والحبّ ألقيت في دورات تكوينيَّة لشباب الصعيد في الإسكندريَّة. وهي تتعرّض لمعنى الجنس والحبّ والزواج في ضوء الإنجيل وعلم النفس والعلوم الفسيولوجيَّة، وفيها محاولة للربط بين مجالات ثلاثة: مجال روحيّ ودينيّ، مجال علميّ وثقافيّ، ومجال نفسيّ وحياتيّ. وقد جُمعت هذه المحاضرات لتكوِّن كتابًا يفيد منه الشباب والقائمون على تربية النشء في المجالات كافَّة.

coptic-books.blogspot.com

مقدّمة

إنَّ موضوع الحبّ والجنس يهمّ كلّ الأشخاص على اختلاف أعمارهم وليس الشباب وحسب كما هو الاعتقاد الشائع. فهناك أزمات عاطفيَّة وجنسيَّة يمرّ بها الإنسان طيلة أيّام حياته، وفي مراحل متقدّمة من عمره، لكن بالطبع تختلف حدّة هذه الأزمات باختلاف الأوقات. لذا يجب، في تناولنا موضوعًا بهذا القدر من الأهمّيّة، الأخذ بالموضوعيَّة من دون خوف، لأنّ الخوف غالبًا ما يكون عائقًا في سبيل البحث الجادّ. وذلك حتّى نصل إلى فهم معنى الجنس والحبّ والزواج بطريقة معمَّقة.

وأستطيع القول إنّ موضوعنا هذا له أهمّيّة بالغة في حياة كلّ إنسان، فيجب أن لا نعتقد أنّ الكاهن والراهب، لكونهما في حالة تبتّل، غير معنيَّين بهذه المسألة. فالجنس والعاطفة هما غريزتان أساسيّتان فينا، وعلى المتبتّل مثل غيره أن يعرف الكثير من الحقائق عنهما، حتّى يعيش هذا التبتّل من دون أيّ كبت، أو رفض هذه الأبعاد التي تكوّن الشخصيَّة البشريَّة.

هناك اعتقاد خاطئ أنّ الغرب منحلّ والشرق محافظ، الغرب ماديّ والشرق روحانيّ، لكنّ الحقيقة هي بخلاف ذلك. فالمشكلة عندنا أعمق لأنّ كلّ شيء يتمّ في الخفاء، والسبب يكمن في ازدواجيّة نظرتنا إلى الموضوع، فنحن نعيش الحبّ والجنس على مستويين: مستوى حيوانيّ شهوانيّ غريزيّ بحت، ومستوى أخلاقيّ عالٍ.

coptic-books.blogspot.com

والهدف من هذه الدراسة هو أن تكون نظرتنا نظرةً إنسانيّةً هادئة واعية.

ومن المهمّ قبل أن نبدأ في فصول هذا الكتاب أن نتعرَّض لنقطتين في غاية الأهمّيّة نرجو توضيحهما للقارئ.

أوّلًا: أن ننظر إلى الموضوع نظرة شاملة

فهذه الدراسة تشمل ثلاثة مجالات: مجالٍ روحيّ، ومجال علميّ، ومجال نفسيّ. ويجب أن نربط بين المجالات الثلاثة هذه، فحين تقتصر الدراسة على أحدها، تصير مبتورة وناقصة، وبهذا لا تتوفَّر لدينا نظرة سليمة كاملة ومتكاملة.

ومَن يفتِّش في سوق الكتب يجدها متخمة بكتب رخيصة عن الحبّ والجنس. غالبًا ما تتناول هذه الكتب الموضوع من الناحية التشريحيّة والفسيولوجيّة البحتة، لناحية الأعضاء التناسليّة، والجماع بين الرجل والمرأة، من دون أيّ تمييز بين الحبّ الإنسانيّ وما يتمّ بين الذكور والإناث من الحيوانات. إنَّ هذه الكتب متوفِّرة بالمكتبات، بعضها مترجم عن لغات أجنبيّة، والباقي مؤلَّف في مصر. لكنّ الإنسان يشعر بنوع من الإحباط عند الاطلاع على هذه الكتب، وكثيرًا ما نتناول التربية الجنسيّة في المدارس من هذه الزاوية الضيّقة. ففي نظر بعضهم ينحصر معنى التربية الجنسيّة في مجرّد لوحات توضح تشريح الأعضاء التناسليّة لدى الجنسين والفرق بينهما، وهي مع كونها حقائق مهمَّة، تبقى غير كافية لأنّ الاكتفاء بها يكوِّن صورة مشوّهة وغير مكتملة.

وعلى الجانب الآخر نجد بعضهم يعرض لنا موضوع الحبّ والجنس في إطار روحيّ ودينيّ بحت: الله يقول... هذا حلال وذاك حرام... إلخ. وبالطبع يجب على الإنسان أن يعطي هذه التعاليم أهمّيّة قصوى، لكنّ هذا الإطار بدوره لا يكفي.

هناك بُعد ثالث لهذه الدراسة، هو البُعد الإنسانيّ، بما فيه من عواطف ومشاعر ووجدان. وهي تمثِّل الوصل بين البُعد الروحيّ والبُعد البيولوجيّ.

إنَّ تربية النشء الجنسيَّة إذا لم تتناول هذه الأبعاد الثلاثة قد تُحدث أثرًا ضارًّا بدلًا من أن تكون نافعة، وعلينا مراعاة ذلك حين نتحدث عن تربية جنسيّة. فالتربية الحقيقيّة هي التي تضع الجنس والحبّ **في إطار شامل**، وهو الإطار الذي يكسبه معناه الحقيقيّ، معناه الإنسانيّ، بل ومعناه الروحيّ أيضًا. وفي هذا المجال أودّ أن أنصح الشباب بمطالعة كتاب «**الجنس ومعناه الإنسانيّ**» للكاتب اللبنانيّ كوستي بندلي، وكتاب «**فنّ الحبّ**» للعالِم النفسانيّ الألمانيّ أريك فروم، وهما كتابان يتناولان هذا الموضوع بتعمّق.

ثانيًا: أن ننظر إلى الموضوع نظرة مقدّسة

فكثيرًا ما ننظر إلى الجنس في وسطنا نظرة سلبيّة، نظرة سخرية واستخفاف ومزاح سخيف، فنجد رجل الشارع يستهزئ بتلك الأمور، مستخدمًا في ذلك أسخف الألفاظ والنكت وأرخصها. ومن ناحية أخرى نجد رجال الدين والمتديّنين ينظرون إليها نظرة تشاؤميّة، محذّرين من التحدّث عنها. وبديهي أن نحكم على الفريقين بعدم الصواب، فالفريق الأوّل يستخفّ بأمر مقدّس، والثاني يتجاهله وينظر إليه بنظرة سلبيّة علينا أن نلغيها.

ما يجب أن نوضحه في بداية دراستنا هو مدى قدسية هذا المجال. الله حبّ ومحبّة. ولكونه كذلك فهو مصدر المحبّة والحبّ فينا. «**فما طهّره الله لا تنجّسه أنت**» (أع ١٠: ١٥). لا تنظر بازدراء إلى ما قدّسه الله. يجب أن نعلم أنّه ليس في العالم شيء دنس بحدّ ذاته،

coptic-books.blogspot.com

لأنّ الله خالق كلّ الأشياء وكلّ الكائنات، خالق الرجل والمرأة، بكلّ الأعضاء والغرائز: **«أعضاء الجسد التي نحسب أنّها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل»** (١ قور ١٢: ٢٣). فالجنس ليس من صنع الشيطان، والغريزة الجنسيّة زرعها الله فينا لهدف سامٍ من قبل سقوط آدم.

يجب أن نتثبّت من أنّ حقيقة الزواج والعلاقة الجنسيّة كانتا في الخطّة الإلهيّة منذ البدء: **«وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض»** (تك ١: ٢٨)، **«وكانا عريانين وهما لا يخجلان»** (تك ٢: ٢٥). لكن بعد الخطيئة نجد أنّ نظرة الإنسان إلى جسده وجسد الآخرين قد تغيّرت: **«فانفتحت أعينهما فعلما أنّهما عريانان»** (تك ٣: ٧). وهدفنا أن نستعيد الصورة الأولى والنظرة الشفّافة لجسدنا وأجساد الآخرين، والتي كان الإنسان الأوّل يتمتّع بها قبل الخطيئة.

هنا يجدر بنا أن نشير إلى أنّ المسيحيّة قد تأثّرت بمذهب يسمّى «المانية» نسبة إلى «ماني» وهو فيلسوف ظهر في القرن الثالث الميلاديّ، وهو بدوره قد تشرّب، من فلسفة زاردشت التي سادت بلاد الفرس (إيران حاليًا). فهذا الفيلسوف قسّم العالم والخليقة إلى عالمين، عالم الروح وهو من صنع إله الخير، وعالم الجسد من صنع إله الشرّ. وكان يعتقد بوجود إلهين، إله الخير وإله الشرّ.

ونستطيع القول إنّ الفلسفة المانية التي تشابهت في أفكارها مع فلسفة أفلاطون، قد أثّرت بعض التأثير في الكنيسة خلال عصورها الأولى، فظهرت بعض التيّارات المسيحيّة التي ترفض الزواج، وتحتقر الجسد على أنّه مصدر كلّ شرّ. فهناك مذهب هرطوقيّ في المسيحيّة (الطاهرون) يحكم على الزواج بأنّه عمل يجب الامتناع عنه لأنّه من صنع الشيطان. وقد رفضت الكنيسة كلّ هذه الأفكار والتيّارات الغريبة عن تعاليم الكتاب المقدّس، وهي تعلن أنّ الإنسان مركّب من روح

وجسد، وسلامة بنيانه تكمن في ارتباط عنصريه معًا، وكلاهما من صنع الله، الإله الواحد، خالق السماء والأرض، ولا يوجد خالقٌ سواه، وكلّ ما خلقه خير وحسن: **«ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جدًّا»** (تك ١: ٣١).

ولقد تأثّرت الكنيسة في مصر، ومازالت، بأفكار المذهب المانيّ والفلسفة الأفلاطونيّة إلى حدّ كبير. ساعد على ذلك ازدهار الحياة النسكيّة، وانتشار الأديرة في فترة ما من تاريخ الكنيسة، إذ نزح الآلاف إلى البراري والكهوف ليعيشوا فيها هربًا من العالم الذي كان يمثّل الدنس والشهوة. طبيعيّ أنّ العالم ليس كلّه حسنًا، ولكنّه ليس سيّئًا بحدّ ذاته. فالإنسان يستطيع حين يكون كيانه الروحيّ مهدّدًا أن يهرب من العالم لفترة ما لينقذ حياته الروحيّة، لكن أن تكون هذه الطريقة هي السبيل الوحيد لنحيا حياة مسيحيّة حقّة، فهذا أمر مرفوض.

إنّ الخطورة في الروحانيّة الشرقيّة عامّة، والمصريّة بصفة خاصّة، هي الاعتقاد بأنّه لا خلاص للإنسان سوى داخل أسوار الدير. فلو كان الأمر كذلك، لأصبحنا جميعًا من الهالكين؛ لو كان الطريق إلى السماء لا يمرّ سوى بالأديرة والتنسّك والتوحّد لهلك معظم الناس. وهناك خطورة في بعض العظات الملقاة على المؤمنين التي تقول: إن أردت أن تخلُص ادخل الدير لأنّك خارجه تكون في خطر شديد. هناك طريق آخر يقود إلى الهدف نفسه، لكن داخل العالم ومن خلاله: **«لست أنا بعد في العالم وأمّا هؤلاء فهم في العالم... ولست أسأل أن ترفعهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرّير»** (يو ١٧: ١١، ١٥). فالمسيح نفسه يخاطب رسله موضحًا عدم نيّته في أن ينزعهم من العالم ويلقي بهم في الصحارى والقفار.

وخلاصة هذه المقدّمة هي أنّ الهدف من كتابنا هو تكوين نظرة

coptic-books.blogspot.com

إيجابيّة إلى الجنس والحبّ والزواج. نظرة ليست إيجابيّة وحسب، بل مقدّسة، بمعنى أن تكون هذه الحقائق في نظرنا طريقًا وسبيلًا ووسيلة لحضور الله فينا. وأكرِّر ليس لكونها إيجابيّة وحسب بل لكونها مقدّسة: **«وما طهّره الله لا تنجّسه أنت»** (رسل ١٠ : ١٥)، وهي إن لم تكن كذلك فلماذا أسَّس المسيح سرّ الزواج. وكما نعلم أنّ الأسرار هي طرق للحصول على النعمة، أراد المسيح أن يجعل من الزواج - السرّ وسيلة من الوسائل، وقناة من القنوات التي يحصل الإنسان عن طريقها على النعمة. ومن هنا تبرز أهمّيّة هذا الموضوع.

الباب الأوّل

الطاقة الجنسيَّة في الإنسان

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

طبيعة الطاقة الجنسيَّة

• ما هو المقصود بالطاقة الجنسيَّة؟

نعيش في هذه الأيّام ما يمكن أن نسمّيه بعصر الطاقة، إذ تتردّد كلمة «طاقة» كثيرًا على أسماعنا: الطاقة الكهربائيّة.. الطاقة الشمسيّة.. الطاقة النوويّة.. البترول وأزمة الطاقة... إلخ. فهل سمعت عن الطاقة الجنسيّة؟ هل تعرف ماهية هذه الطاقة، والدور الذي تقوم به في حياة الإنسان؟

لو فكّرنا قليلًا لوجدنا في جسم الإنسان العديد من الطاقات: طاقة بدنيّة (عضليّة).. طاقة نفسيّة.. طاقة ذهنيّة.. طاقة عاطفيّة.. طاقة روحيّة... إلخ، كلّ هذه الطاقات موجودة في الإنسان. وقبل أن نبحث عن علاقة الطاقة الجنسيّة بكلّ هذه الطاقات، علينا أن نفهم ما هو المقصود بهذا المصطلح. فكلمة جنس لها معنيان: فالمعنى الحصريّ للكلمة، هو الذي نعنيه عادة حين نتحدّث عن الجنس، ونقصد به المجال التناسليّ المحصور في الأعضاء والأحاسيس التناسليّة، وكلّ ما يتعلّق بهذا المجال. لكنّ هناك معنىً آخر لكلمة جنس، معنى شاملًا، فالجنس طاقة غير محدودة، تشمل الجسم كلّه، وهي قابلة للتحوّل من صورة إلى أخرى، فقد تكون تناسليّة أو عاطفيّة

coptic-books.blogspot.com

أو بدنيّة أو روحيّة أو عقليّة. ففي جميع الحالات تكون هي **الطاقة** ذاتها، لكنّها تتّخذ أسماءً وصورًا مختلفة تبعًا للمجال الذي تتركّز فيه. هذه الطاقة أطلق عليها في مجال علم النفس الاسم اللاتينيّ Libido أي الطاقة الجنسيّة.

وقد تناول كلمة Libido أو الطاقة الجنسيّة بالشرح اثنان من عمالقة التحليل النفسيّ هما **فرويد ويونج**. فالأوّل استخدمها في إطار تناسليّ أكثر من غيره، في حين اتّخذت هذه الكلمة عند يونج صيغة روحيّة إنسانيّة، ونحن بدورنا عندما نتناول هذه الكلمة سيكون من خلال مفهوم يونج. لكن يجدر بنا أن نشير في هذا الصدد إلى أنّ هناك نصوصًا صريحة في أعمال فرويد توضح أنّ الطاقة الجنسيّة غير محدّدة في الأعضاء التناسليّة وحسب، بل يؤكّد أنّ التقدّم البشريّ مرتبط بإمكانيّة سموّ الإنسان على غرائزه الجنسيّة في سبيل تحقيق إنجازات على المستويات الأخرى الحضاريّة. هذا ما قاله فرويد نفسه الذي اتّهم بأنّه فتح الباب للانحلال الخلقيّ حين قال: إنّ الإنسان حتّى يصل لاتّزانه يجب أن يشبع كلّ غرائزه الجنسيّة من دون كبت. ولكن فرويد هو أوّل مَن استعمل كلمة السموّ والتسامي بالغرائز حتّى يحقّق الإنسان إنسانيّته. أردت أن أتوقّف على هذه النقطة حتّى لا يفهم أحد نظريّات فرويد فهمًا خاطئًا، ويستغلّها لتبرير موقف معيّن في حياته.

• هدف الطاقة الجنسيَّة في الإنسان

الهدف من الطاقة الجنسيَّة في الإنسان هو تكوين روابط بين البشر من أجل بنيان الجسم البشريّ في المجتمع، ومن الممكن تسميتها بطاقة الترابط، لذا نجد علاقة كبيرة بينها وبين الحبّ. وهي طاقة حبّ وترابط بين الإنسان والآخر، بين الرجل والمرأة، بين الفرد

والمجتمع، فلا يقتصر هدفها على اكتمال الشخصيّة الإنسانيّة فحسب، بل إنّ هدفها النهائيّ يكمن في بنيان الخليّة الأسريّة ومن ثمّ بناء الأسرة البشريّة كلّها.

حين يرى شاب فتاة، تتولّد هذه الطاقة في كلّ منهما، وينتج من ذلك رغبة كلّ منهما في التقارب نحو الآخر. هذه الجاذبيّة بين الطرفين نرجعها إلى الطاقة الجنسيّة الكامنة فيهما. وكلّ المشاكل التي سنتعرّض لها في الفصل الرابع من هذا الباب تنتج من الطريقة التي سنتصرّف فيها بهذه الطاقة. هل نستجيب لها بطريقة تلقائيّة أم نتحكّم فيها ونوجّهها لخدمة الهدف الذي جعلت من أجله؟

أشرنا في المقدّمة إلى كون هذه الطاقة حسنة وإيجابيّة لأنّها من صنع الله، لكن **هل يجوز استخدام كلّ ما هو حسن بأيّ ظرف؟** السكّينة مفيدة حين استخدمها في الأكل، لكنّها ليست كذلك حين استغلّها في طعن زميلي. إذًا ما هو حسن ومفيد قد يكون كذلك في ظروف معيّنة، وقد يكون سيّئًا في ظروف أخرى، وهذه هي النقطة التي ستقودنا إلى حسن توجيه الطاقة الجنسيّة فينا. فاستنزاف هذه الطاقة من دون جدوى خطأ لأنّها محدودة فينا، فلدينا منها قدر محدود، وإذا استهلكناه في غير موضعه نخطئ. وأسوق إليكم مثالًا بسيطًا: هل نعتبر غسل الإنسان رجليه تصرّفًا خاطئًا؟ بالطبع لا. لكن لو كنت في صحراء، عليَّ أن أمكث فيها لفترة أسبوع، وليس لديَّ غير زجاجة ماء لأستخدمها طوال هذه المدّة، فهل يجوز لي في اليوم الأوّل أن أغسل رجليَّ بكلّ ما لديَّ من ماء؟ بالرغم من أنّ غسل الأرجل تصرّف سليم بحدّ ذاته، إلّا أنّه في هذه الظروف، حين أبدّد كلّ ما عندي من ماء في عمل كهذا ليس له أهمّيّة قصوى، أكون قد أخطأت.

من ناحية أخرى يمكننا اعتبار هذه الطاقة رأس مالٍ ثمين، أُعطي

coptic-books.blogspot.com

لنا لنستعمله ونستثمره الاستثمار الصحيح، وكلّ مَن يرفض هذه الطاقة يحرم نفسه شيئًا ثمينًا. أذكر هنا مثل الوزنات الذي ورد في إنجيل متّى (٢٥: ١٤-١٥)، فقد فرح السيِّد بالعبدين الأوّل والثاني لأنّهما تاجرا بالوزنات وربحا، أمّا العبد الثالث فقد قال: «**يا ربّ إنّي علمت أنّك رجل عنيف تحصد من حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر، فخفت ودفنت وزنتك في الأرض، فهوذا مالك عندك**»، وكلّنا يعلم ماذا كان مصير هذا العبد. إنَّ الطاقة الجنسيّة وزنة معطاة لنا لنستخدمها ونجني منها الأثمار، وأنت مسؤول عن استثمار هذه الطاقة، ومسؤول أيضًا عن تدميرها واستهلاكها بلا جدوى.

• الطاقة الجنسيَّة والعلاقة بين الزوجين

يجب أن تخدم الطاقة الجنسيَّة الهدف المقصود منها في إطار الزواج، ألا وهو تكوين الروابط بين الزوجين وتدعيمها، وعندها تكون قد استخدمت استخدامًا سليمًا. في الزواج تستهلك الطاقة الجنسيّة (بمعناها التناسليّ) في سبيل تكوين علاقة بين فردين، وهذا هو هدفها.

والآن نصل إلى سؤال مهمّ سنحاول الإجابة عنه من دون التقيّد بالحلال والحرام. **هل يمكن أن تكون ممارسة العلاقة الجنسيَّة داخل إطار الزواج خاطئة؟** قد يتعجّب بعضهم من طرح مثل هذا السؤال، لأنّه في نظرهم كلّ ما يتمّ بين الزوجين هو شرعيّ تمامًا. لكن في الحقيقة أنّ الزوج يحوّل العلاقة الجنسيَّة إلى حركة انطوائيّة وليست، كما يجب أن تكون، حركة انطلاقيَّة، وذلك عندما يمارس العلاقة الجنسيّة مع زوجته انطلاقًا من هدف أنانيّ بعيد كلّ البعد عن الحبّ، مستخدمًا إيّاها وسيلة لإشباع رغبة جنسية أنانيّة فيه. فالشرعيّة تتوقّف

هنا على النيّة والهدف. حين يستخدم الزوج زوجته مجرّد آلة لإشباع رغبة بدلًا من أن تكون شريكة حياة، تنحرف الطاقة الجنسيَّة عن تأدية وظيفتها وتكون حرامًا. وأورد هنا جملة من رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني عن العائلة يقول فيها: «قد يخطئ الإنسان في العلاقة الزوجيّة ذاتها عندما يحوّلها إلى إشباع رغبة جنسيّة أنانيّة تستعمل الآخر وسيلة للتلذّذ الذاتيّ».

هذه النقطة تميِّز المسيحيّة عن بقيّة الشرائع التي تعتبر الممارسة الجنسيّة في الزواج صحيحة مهما كان الدافع. فالمسيحيّة تشدِّد على إنسانيّة الآخر واحترامه، وتحذِّر من اعتباره آلة لإشباع الرغبة. الحبّ قيمة عليا فلا نجعل الزواج يحطّ من قدره بل عليه أن يرقيه ويسمو به، وكثيرًا ما يكون الحبّ قبل الزواج أرقى وأسمى وأرقّ منه بعد الزواج إذ ينفلت من كلّ القواعد المنظّمة له.

لقد جرّنا الحديث عن الطاقة الجنسيّة لنوضح كيف نقتنع بمبادئ أخلاقيّة لنصل إلى مفهوم صحيح للحلال والحرام. والمسيح جاء ليخرجنا من هذا الإطار الضيِّق، إطار الممنوع والمسموح، لدرجة أنّ المسيحيّ مقيّد أكثر من الآخرين، وفي الوقت نفسه هو حرّ أكثر منهم، لأنّ قيوده ليست عن طريق قوانين وشرائع. المسيحيّ حرّ بكلّ ما في الحرّيّة من معايير داخليّة نابعة من اقتناعه. ويستطيع الإنسان داخل إطار الزواج أن يمارس الجنس ويكون طاهرًا، لأنَّ هذا الفعل في نظره هو تعبير عن حبّه لزوجته. ويجوز أن يمتنع عنه إذا شعر أنّ الدافع له هو شهوة أو رغبة.

• العلاقة بين الوظيفة واللذّة

هناك دائمًا علاقة بين الوظيفة والشعور باللذّة، فأيّ غريزة في

coptic-books.blogspot.com

الإنسان كالجوع والعطش وبقاء النوع كلّها لها هدف معيّن، هو خدمة وظيفة من وظائف الإنسان الحيويّة حتّى يحافظ على وجوده. وقد أراد الله أن تقترن الغريزة بشعور عامّ باللذّة، حتّى إنّه كلّما تتحقّق الغريزة، يشعر الإنسان بلذّة في إشباعها تدفعه لأداء الوظيفة، والخطأ يكمن حين تتحوّل اللذّة إلى هدف بحدّ ذاته. فمثلًا شعورنا بلذّة في الأكل بعد الجوع شيء طبيعيّ حتّى نعيش، لكن إن أصبحت الشهيّة هدفًا أساسيًّا، فثمّة إفراط في الأكل يؤدّي إلى سوء في الهضم.

إنّ هدف الغريزة الجنسيّة في الإنسان هو الترابط بين شخصين وبنيان علاقة حبّ بينهما، فإن استعملنا الطاقة الجنسيّة لمجرّد متعة شخصيّة فقط، نكون قد حوّلناها عن اتّجاهها الطبيعيّ.

• النزعة الجنسيّة في الإنسان ليست حتميّة

يتصوّر بعض دارسي فسيولوجيّة الإنسان والكثير من العامّة أنّ النزعة الجنسيّة في الإنسان هي نزعة اضطراريّة قاهرة، لا يستطيع الفرد أن يتحكّم فيها، شأنها في ذلك شأن جاذبيّة الأرض التي تجبر الأشياء على السقوط. فإن كان هذا الأمر صحيحًا فلا داعي إذًا للأخلاقيّات والمبادئ لأنّ الأمر خارج عن إرادتنا. لكنّ الحقيقة تخالف هذا الاعتقاد، فمن المعروف أنّ الهرمونات التي تنظّم الجهاز التناسليّ يتمّ التحكّم فيها عن طريق أحد مراكز المخ واسمه الهيبوثالموس Hypothalamus وهو مركز الأحاسيس والمشاعر والنزعات الجنسيّة. يقع هذا المركز بدوره تحت سيطرة قشرة المخ Cerebral Cortex، وهي عبارة عن الجزء الخارجيّ من المخ الذي يمثّل التفكير والأفعال الإراديّة. وهنا يكمن الاختلاف بين الرغبة الجنسيّة وبقيّة الأنشطة غير الإراديّة في الإنسان كحركة المعدة والأمعاء وانقباضات القلب، وكلّها

حركات انعكاسيّة تلقائيّة لا تحتاج إلى تفكير، لذا تتمّ السيطرة عليها من خلال مراكز موجودة في الهيبوثالموس من دون حاجة إلى سيطرة قشرة المخ.

فالنزعة الجنسيّة في الإنسان خاضعة إذًا للإرادة والوعي، هذه حقيقة يجب أن نقتنع بها، وهي بخلاف الاعتقاد السائد الذي يعتبر الرغبة الجنسيّة في الإنسان ملحّة واضطراريّة. والحقيقة أنّ الإنسان هو الذي يضع نفسه في ظروف معيّنة يجعلها تبدو له كذلك، في حين أنّه يستطيع أن يتحكّم في هذه الظروف حتّى لا تكون الرغبة قاهرة لديه. الجنس في الإنسان ليس حتميًّا، لكن هل معنى هذا أنّنا نستطيع أن نلغيه تمامًا من حياتنا؟ بالطبع لا، فهو جزء أساسيّ في كيان الإنسان، ولا يمكن استبعاده نهائيًّا، وإلّا أصبح الإنسان ناقصًا. فالبعد الجنسيّ في الإنسان مصدر غنى في وجوده، لكن المهمّ هو كيف نحسن تدبير هذه الوزنة المعطاة لنا.

• الحضارة البشريّة هي إحدى ثمار الطاقة الجنسيّة

من كلمات العالِم النفسانيّ الشهير فرويد الذي اتّهم ظلمًا بتأليه الجنس، قال: «**إنّ الحضارة البشريّة تقدّمت على مرّ العصور بقدرة الإنسان على أن يسمو بغريزته الجنسيّة ويعلو بها**». فالقدرة على التسامي بالغريزة الجنسيّة إلى مستوى أعلى هي أحد أسباب الحضارة البشريّة.

إذًا، فالمنزل الجميل هو عبارة عن طاقة جنسيّة تحوّلت إلى هندسة وعمل، والمدرسة هي طاقة جنسيّة تحوّلت إلى علوم، والاكتشافات العلميّة، والتماثيل... كلّها عبارة عن طاقة جنسيّة سمت إلى فنّ رائع أو بحث علميّ... إلخ. ومن الثابت لدينا أنّ

coptic-books.blogspot.com

إدخال الكهرباء في القرى المصريّة جعلها تتقدّم كثيرًا على المستوى الفكريّ والثقافيّ، وفي الوقت نفسه انخفضت معدّلات الزيادة السكّانيّة بنسبة ملحوظة. إنّ عدم وجود الكهرباء يجعل الطاقة الجنسيّة لدى أهل القرية منحصرة في الأعضاء التناسليّة، في حين أنّ وجود الكهرباء وما يصاحبها من وسائل ثقافيّة كالراديو والتليفزيون والنوادي يجعل الإنسان يسمو بطاقته من مستوى الغريزة البحتة إلى ممارسة حياة اجتماعيّة وفكريّة. وسنتناول في الفصل الثاني من هذا الباب بعض المجالات المختلفة التي تستطيع أن تستغلّ فيها طاقتك الجنسيّة.

• كلّما كانت الطاقة خطيرة، ازدادت فائدتها

فعود الكبريت عبارة عن طاقة حراريّة ليست خطيرة، ولكنّه في الوقت نفسه قليل الفائدة. وأنبوبة «البوتاجاز» فيها طاقة أكثر خطورة من عود الكبريت إن انفجرت، لكنّها أكثر منه فائدة، إذ أستطيع أن أسخّن عليها كمّيّة من الماء بسرعة أكثر. أمّا المحوّل النوويّ فهو طاقة هائلة وخطيرة تحدث دمارًا في عدد من المدن، وبقدر هذه الخطورة تكون الفائدة، إذ يمكن أن نولّد منه كهرباء تكفي عددًا من المدن والمصانع لعدّة سنوات. فبقدر الخطورة تكون الفائدة.

وتطبيقًا لهذه القاعدة نقول الكلام نفسه على الطاقة الجنسيّة فينا. وقد علمت الكنيسة هذه الحقيقة، ولم تعلن قداسة أورجينوس لأنه خصى نفسه هربًا من التجارب الجنسيّة. الكنيسة لا تريد هذا، لا تريد خصيانًا حرموا أنفسهم من الطاقة الجنسيّة بمعناها الشامل. الكنيسة تريد أن تحتفظ بهذه الطاقة، على أن تظلّ تحت سيطرتك وتوجيهك. وفي هذا المجال أذكركم بأنّ الكاهن أو الراهب إن لم يكن كامل الأعضاء التناسليّة، لا يستطيع أن يكون كذلك، فكمال كيانه الجنسيّ

سيكوّن له بالتأكيد أبعادًا روحيّةً كبيرة. يجب ألّا نعتقد أنّ كبار القدّيسين كانوا أناسًا من دون رغبات جنسيّة، فعلى العكس من ذلك، قد امتاز هؤلاء القدّيسون بطاقة جنسيّة فائقة، لكنّهم استطاعوا توجيهها توجيهًا سليمًا. وكلّما زادت هذه الطاقة في الإنسان وجب عليه أن يمجّد الله ويشكره عليها. لا تلم الله لأنّه خلقك بطاقة جنسيّة كبيرة بل يجب أن تشكره على هذه النعمة، لأنّها مصدر قوتك وغناك، وهي التي ستجعل منك قدّيسًا أو عبقريًّا أو بطلًا، إذا أحسنت التصرّف فيها.

• مراحل تطوّر الطاقة الجنسيّة في الإنسان

كي ندرك مدى تأثير الطاقة الجنسيّة في سلوك الإنسان علينا أن ندرس مراحل تطوّرها فيه منذ ولادته، انطلاقًا من تعريف فرويد الطاقة الجنسيّة التي تشمل الجسد كلّه وشخصيّة الإنسان منذ ولادته، فهي في نظره مجموعة غرائز تعبّر عن ذاتها بطريقة عشوائيّة قبل أن تتوحّد وتظهر في منطقة محدّدة.

- **أوّلًا: مرحلة الطفولة الأولى**: حتّى سنّ الثالثة: تتركّز الطاقة الجنسيّة فيها في ما يعرف بالمناطق الشبقيّة على النحو الآتي:

١ - المرحلة الفميّة في السنة الأولى: يتركّز الإحساس الجنسيّ خلالها في الفم عن طريق الشفاه واللسان. وقد تستمرّ هذه المرحلة لفترة طويلة، لدرجة أنّ بعضهم يجد في القبلة بديلًا عن الاتّصال الجنسيّ، ممّا يسبّب مشكلة للطرف الآخر بعد الزواج.

٢ - المرحلة الشرجيّة في السنة الثانية: وتكون الرغبة الجنسيّة خلالها مركّزة في منطقة الشرج، وهنا أنبّه الوالدين بألّا يقابلوا تصرّفات الطفل هذه بالشدّة، فهذا الأمر طبيعيّ ما لم يستمرّ أكثر من اللازم.

coptic-books.blogspot.com

٣ - المرحلة التناسليّة في السنة الثالثة: يكتشف الطفل فيه للمرّة الأولى أعضاءه التناسليّة وجسده بصفة عامّة، عن طريق اللمس، تمامًا كما يكتشف يده أو رجله، وعلى الأب والأمّ أن يعاملا الطفل برفق، ويوفّرا له أيّ شيء آخر يلهو به.

- **ثانيًا: مرحلة الطفولة المتأخّرة، أو المرحلة الأوديبيّة:** بين الرابعة والسادسة: تنتقل الطاقة الجنسيّة فيها من المجال الجسديّ إلى المجال العاطفيّ. فنرى الصبيّ متعلّقًا بأمّه، يحاول أن يجذب اهتمامها ليحظى بحنانها وحبّها لدرجة أنّه يغار من والده ويريد دائمًا إبعاده عنها، كذلك تتعلّق البنت بأبيها وترى في الأمّ المنافسة التي يجب أن تفسح لها المجال. هذه المرحلة حسّاسة جدًّا، وإذا لم يتخطّاها الطفل بطريقة طبيعيّة سينتج من ذلك الكثير من المشاكل النفسيّة التي قد تظهر بعد الزواج.

- **ثالثًا: مرحلة الركود الجنسيّ:** بين السادسة والثانية عشرة: تنتشر الطاقة الجنسيّة في الجسم كلّه، إذ لا تظهر أيّ مشاكل جنسيّة ملحّة. وتبرز هذه الطاقة في ثلاثة مجالات:

أ - **المجال العضليّ:** يحتاج الجسم في هذه المرحلة إلى حركة دائبة، إلى النشاط واللعب. كما ينمو الجسم والعضلات بطريقة سريعة، ومن المهمّ أن نترك بعض الوقت للأطفال لممارسة الأنشطة البدنيّة.

ب- **المجال الذهنيّ:** فهذا السنّ هو سنّ الأسئلة والاستفسارات. لماذا؟... كيف؟ يريد الطفل أن يستوعب أكبر قدر ممكن من المعلومات.

ج - **المجال الاجتماعيّ:** فبعد خروج الطفل من إطار أسرته، نراه

يتعرّف إلى أصدقاء الدراسة والجيران، وهكذا يجد نفسه في مجتمع أوسع بعد أن كان متعلّقًا بوالديه فقط (المرحلة الأوديبيّة).

علينا في مرحلة الركود الجنسيّ الاهتمام بالأمور الآتية:

١ - ألّا نضع الطفل في مواقف مثيرة مثل الصور والمجلّات والأفلام الخليعة.

٢ - أن نبعده عن الزملاء الأكبر منه سنًّا أو الخدم.

٣ - أن نعزله عن غرفة الوالدين أثناء النوم.

٤ - أن نولي العلاقة العاطفيّة بين الوالدين اهتمامًا كبيرًا لأنّ لها دورًا فعّالًا في تربية الطفل أثناء هذه المرحلة.

- **رابعًا: مرحلة المراهقة:** تعود الطاقة الجنسيّة فيها لتتركّز في المناطق التناسليّة استعدادًا للزواج.

من هنا نرى أنّ الطاقة الجنسيّة في الإنسان تمرّ بمراحل التذبذب حتّى تصل إلى التركيز والاتّزان. فتكون مرحلة تركيز من الولادة حتّى الخامسة، ومرحلة شموليّة من السادسة حتّى الثانية عشرة، ومرحلة تركيز مرّة أخرى في فترة المراهقة. وقد يقال إنّ قمّة اتّزان الشخصيّة يكون في مرحلة الشموليّة، بمعنى أنّ في هذه الحالة تكون الطاقة مصدرًا مستمرًّا لفائدة الإنسان على مختلف أوجه النشاط. وعليه فإنّ صورة الإنسان الناضج المثلى هي مرحلة الطفولة من ٦-١٢ سنة: «**إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد..**» (متّى ١٨: ٣). وهدف حياتنا الروحيّة ليس الاستمرار في الطفولة بل العودة إليها، والفرق بين الاثنين واضح، ففي العودة نكون قد اكتسبنا الكثير من مرحلة المراهقة والنضج، لتكتمل بالطفولة الجديدة.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

توجيه الطاقة الجنسيَّة

• أهمِّيَّة توجيه الطاقة الجنسيَّة

ذكرنا في ما سبق أنّ الطاقة الجنسيَّة هي طاقة خيِّرة وحسنة، وهي كذلك طاقة وظيفيَّة، بمعنى أنّها تخدم هدفًا معيّنًا، ألّا وهو تكوين علاقات بين البشر وبنيان المجتمع البشريّ عن طريق الحبّ والإنجاب. وعلى ذلك فإنّ الطاقة الجنسيَّة فينا تخدم هدفًا، وهي ليست للتمتّع والتلذّذ، وبقدر ما نحوّلها من دون تأدية هذه الوظيفة ونستغلّها في أهداف أنانيّة نكون قد أفرغناها من معناها وهدفها. من هنا تبرز لنا أهمِّيَّة توجيه الطاقة الجنسيَّة في أجسادنا، فلو كانت هذه الطاقة مركّزة في عضو معيّن من أعضاء الجسم، لما وُجِد مبرّرٌ للتوجيه. لكنّ الوضع مختلف، فهي كما ذكرنا تعمل في مستويات مختلفة بالجسم والعقل والقلب... إلخ. لذا علينا أن نتعلّم كيف نتصرّف فيها ونتحكّم، خاصّة وإنّها طاقة محدودة فينا، وبالتالي فإنّ استخدامها في أحد المجالات سيؤثِّر بالقطع في المجالات الأخرى.

كلّنا يعرف أنّ الإنسان يحتاج إلى النوم بعد الغداء لأنّ المعدة والأمعاء تستأثر بقدر كبير من الدم ممّا يؤثِّر في تركيز الفرد ونشاطه. وبالمعنى نفسه نقول إنّ استغلال الطاقة الجنسيّة في أحد مجالاتها

يحدث تأثيرًا في بقيّة المجالات، لذا وجب علينا أن نحكم حسن استغلال هذه الطاقة من دون كبت. ومن المهمّ توضيح الفرق بين لفظَي الكبت وضبط النفس قبل التعرّض لبعض المجالات التي تتوزّع فيها الطاقة الجنسيَّة.

• الفرق بين الكبت وضبط النفس

الكبت هو عمليّة ناتجة من خوف أعمى يجعل الإنسان ينكر حقيقة معيّنة، ويتصرّف كأنّها غير موجودة فيه، في حين أنّها تكمن في جزء من كيانه منتظرة فرصة لتظهر فيها. الكبت هو رفض الاعتراف بحقيقة موجودة بالفعل.

فإذا طبّقنا ذلك على الطاقة الجنسيّة نقول إنّ كبت الطاقة الجنسيّة لا جدوى منه، لأنّه من غير المعقول أن تكبت طاقة هائلة لفترة طويلة من دون أن تظهر بطريقة أو بأخرى. وهناك روحانيّة معيّنة أساسها أنّ كبت الجنس شيء مستحبّ، بمعنى أنّك تحاول أن تتصرّف وكأنّ هذا البعد غير موجود فيك إطلاقًا. لكن الواقع يخالف ذلك، فتكون النتيجة أن يظهر نفسه من منافذ أخرى في حياتك، تمامًا كالأخطبوط الذي يحاول أن يخرج رأسه من هنا، فإن حاولت إعاقته، أخرجه من الناحية الأخرى وهكذا. وينتج من هذا الصراع الداخليّ الكثير من الأمراض النفسيّة مثل الوسواس والعُصاب... إلخ.

أما ضبط النفس فهو شيء مختلف تمامًا وهو ناتج من وعي حقيقة ما، فيكون تصرّف الإنسان إزاء هذه الحقيقة واعيًا وإراديًّا. وبذلك يقرِّر الفرد كيف يتحكّم في طاقته الجنسيَّة ويوجّهها توجيهًا سليمًا، بأن يعطيها سبيلًا ومنفذًا، والهدف من ذلك ليس عمليّة الضبط بحدّ ذاتها، بل التدبير والتوجيه.

coptic-books.blogspot.com

ولكي ندرك الفرق بين الكبت وضبط النفس أسوق لكم هذا المثال: تصوّروا مدرِّسًا يدير أمور فصله عن طريق القوّة والعنف، بسلطة الخوف. فيكون من الطبيعيّ أن تروه ممسكًا بزمام الفصل لمدّة ربع ساعة أو نصف ساعة لأنّ التلاميذ خائفون. ولكن بمجرّد أن يخفّف الضغط عليهم يحدث انفجار في الفصل، لأنّه كبت التلاميذ ولم يضبطهم، لقد كبت النشاط الموجود فيهم، وفي أوّل فرصة سانحة انفجرت هذه الطاقة الكامنة بطريقة عشوائيّة غير منظّمة. في حين نرى المدرِّس الذي يحسن تدبير الفصل عن طريق إعطاء التلاميذ الفرصة من وقت لآخر للتعبير عن أفكارهم ونشاطهم، يمسك بزمام الأمور من دون خوف أو إرهاب. وهو يضبط نشاط الفصل في الوقت نفسه الذي يعطيه الفرصة للانطلاق والتعبير.

وقياسًا على ذلك نقول إنّه في المجال النفسيّ، حين أكون متخوّفًا من هذه الحقيقة الموجودة بداخلي، فإنّي أحاول أن أكبت أيّ ظاهرة جنسيَّة عندي. والنتيجة أنّ هذه الطاقة المكبوتة ستنفجر فجأة بطريقة عشوائيّة، إذا ما وجدت الفرصة المواتية، وبالطبع سيكون الحال أسوأ كثيرًا ممّا لو كنت قد تصرّفت بحكمة من البداية.

يقول المفكِّر الفرنسيّ الشهير پاسكال:

«L'homme n'est ni ange ni bête, mais le malheur veut que qui veut faire l'ange fait la bête.»

بمعنى أنّ الإنسان ليس ملاكًا ولا حيوانًا، لكن لسوء الحظّ أنّ مَن يريد أن يمثِّل دور الملاك يتحوّل إلى حيوان. هناك روحانيّة معيّنة تطلب إليك أن تكون ملاكًا، ولكنّك إنسان، فالملاك ليس لديه جسد، وهذا شأنه. أمّا نحن فقد أراد الله أن يكون لنا جسد بكلّ ما فيه من غرائز ونزعات، وعلينا أن نقبله برضى، بل ونحبّه، فهو جزء من

كياننا. لا تحاول أن تعيش كأنَّ لا جسد لك، لا تحاول لعب دور الملاك فربّما تنقلب إلى حيوان. فبضبط النفس نقبل البعد الجسديّ لكياننا قبولًا كاملًا ولا نترك له الزمام بل نوجّهه توجيهًا سليمًا.

• مجالات توزيع الطاقة الجنسيَّة في الإنسان

١ - الرياضة البدنيّة والتعبير الجسديّ

من الملاحظ أنّ الإنسان الذي يمارس إحدى الرياضات البدنيّة يكون أقلّ تعرّضًا للرغبات الجنسيّة، لأنّه يفرغ قدرًا كبيرًا من طاقته الجنسيّة في اللعبة التي يمارسها. وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ الشاب الذي يمكث في المنزل خلال أشهر الإجازة، لا يجد شيئًا يفعله، نراه يغرق في بحر من المشاكل الجنسيَّة. وقد تعرّضنا لأثر دخول الكهرباء القرية وما صاحبها من وسائل التسلية والترفيه في خفض معدّلات الزيادة السكّانيّة، فالإنسان حيث لا يجد أمامه سوى نفسه، لا يملك أيّ عمل سوى النشاط الجنسيّ. ومن هنا يبرز دور الوالدين والمربّين في شغل أوقات فراغ الشباب أثناء الإجازة. والرياضة البدنيّة هي إحدى المجالات النافعة التي تشغل أوقات فراغ الشباب، إذ يستغلّ فيها قدرًا كبيرًا من الطاقة الجنسيّة.

والتعبير الجسديّ له أوجه مختلفة غير الرياضة البدنيّة، فهناك رقص الباليه الراقي مثلًا. ومَن يشاهد فتيان وفتيات معهد الباليه في الجيزة، وهم يقضون ساعات في التدريب على الرقص، يدرك أنّ الجسم يرتقي عن طريق الحركات، ويتّخذ صورة عليا يسمو بها بطاقته الجنسيّة على مستوى بدنيّ فنّيّ. واليوجا هي فنّ آخر وطريقة تعبير جسديّ أخرى يستطيع من خلالها الإنسان أن يتدرّب على ضبط الذات بواسطة أوضاع جسديّة معيّنة حتّى يكتسب القدرة على التحكّم في كيانه كلّه.

coptic-books.blogspot.com

٢ - الجمال والتذوّق الفنّيّ

هناك صلة عميقة بين التذوّق الفنّيّ والجانب الجنسيّ في الإنسان، فكلّ ما هو جميل يرقّي غرائزنا السفلى إلى مستوى وجدانيّ أعلى. لذلك فإنّ رقّة المشاعر والتكوين الذوقيّ في الإنسان هما وسيلة قيّمة لإعلاء الطاقة الجنسيّة. لكن ثمّة خطورة حين يتخطّى الإنسان حدًّا معيّنًا يتّخذ بعده التذوّق الفنّيّ والجمال اتّجاهًا عكسيًّا، وبدلًا من أن تكون حركة انطلاقيّة بنّاءة تصبح حركة انطوائيّة هدّامة. فيزيد الشعور بالجمال على مرحلة معيّنة ويشعل المشاعر، فيفقد الإنسان سيطرته على ذاته، وتنقلب هذه المشاعر إلى وجه تناسليّ بحت، والخطّ الفاصل بين الموقفين دقيق جدًّا. فمن السهل أن ينقلب التذوّق الفنّيّ إلى شهوة بحتة. فالتوازن بينهما صعب التحقيق، لكنّه في الوقت نفسه ممكن.

يجب أن يظلّ التذوّق الفنّيّ على مستوى الإعجاب والاندهاش، على مستوى التأمّل والانطلاق. يجب أن يكون الإنسان في حالة اختطاف أمام الجمال، وحين يتحوّل هذا الشعور إلى شهوة، تحدث الكارثة. لقد نظر آدم إلى الثمرة، والنظر إلى شيء جميل والإعجاب به ليس خطأً، لكنّ الخطأ حدث حين أكل منها، فعمليّة الأكل حوّلت التذوّق الفنّيّ المجّانيّ إلى عمليّة استهلاكيّة، والتذوّق الفنّيّ يجب أن يظلّ حركة مجّانيّة. هذه هي خطورة الجمال، فهو شيء حسن لكنّه خطير. فهل يجب أن تمنعنا خطورته من الإحساس به؟ كلّا لأنّ الجمال يبني مشاعرنا وعواطفنا، وهو وسيلة ارتقاء إلى أعلى.

وهناك مواقف كثيرة تستدعي من الإنسان أن يضبط نفسه حين يجدها غير قادرة، وبالتمرين لن يكون محتاجًا إلى استخدام الفرامل كثيرًا. في البداية سيضطرّ، كمَن يتعلّم القيادة، إلى استخدام الفرامل

لأتفه الأسباب، وبالممارسة، سيتمكّن من التحكّم في نفسه، وهو يعرف أنّ هذه النظرة قد طالت عن الحدّ المعقول، فلا داعي لها، والحدّ الفاصل بين الوضعين هو خيط رفيع جدًّا. هناك بعض المواقف لا تمثّل خطورة لي في حين أنّها تكون سبب سقوط إنسان آخر، وعليّ حين أشعر، بخبرتي السابقة، أنّني لن أستطيع الاستمرار صامدًا أن أقول كفى.

قد يرى بعضهم أنّ هذا لعب بالنار، ولكنّي، أختلف معهم، لأنّي أحاول أن أستغلّ طاقتي الجنسيّة في بنيان كياني لأقصى حدّ. هذه الروحانيّة مبنيّة على الإيجاب وليس الرفض. ونريد روحانيّة تأخذ من كلّ ما هو حسن وخير وجميل، كلّ ما يفيد في بناء كياننا، لكن بشرط أن أكون مخلصًا مع نفسي، ومالكًا زمام نفسي بقدر كافٍ حتّى أستطيع أن أقول «كفى» في الوقت المناسب. وعلى الجانب الآخر نجد روحانيّة الرفض التي تقول: «ما دامت هناك خطورة من أن تسقط يومًا ما فلا داعي للمخاطرة».

٣ - الصداقة والحبّ والاختلاط

أ - الاختلاط: يرقّي المشاعر الجنسيّة لدى الجنسين، ويساعد على اتّزان الشخصيّة، ويخفّف من حدّة الشحنة الشهوانيّة الموجودة في الجنس. فحين تعيش الاختلاط فإنّك تنظر إلى الجنس الآخر نظرة إنسانيّة وليست شهوانيّة، وتتعرّف إليه إنسانًا لا شكلًا وجسدًا فحسب. لذلك أقول إنّ الاختلاط فيه إعلاء الطاقة الجنسيّة، وهذا ما اكتشفته في أثناء عملي بالتدريس.

كنت مشرفًا على تلاميذ الصفّ الثالث الثانويّ بمدرسة في القاهرة، وهي مقتصرة على البنين فقط. وفي الحقيقة كانوا أولادًا غريبي الأطوار، فما إن يروا فتاة في أعلى طابق بعمارة

coptic-books.blogspot.com

أمام المدرسة حتّى يحدث هرج وتعليقات غير لائقة، وقد نصحتهم كثيرًا من دون جدوى. ولوجود عجز في مدرّسي الرياضيّات والعلوم اضطررنا إلى إحضار تلميذات مدرسة أخرى ليتلقّين الدروس مع تلاميذ مدرستنا. فوقتئذٍ لاحظت مدى التغيير في تصرّفات التلاميذ. فبالتدريج بدأ الاختلاط، إذ اقترب بعضهم من بعض وراحوا يتكلّمون ويتحادثون، فتعارفوا ولعبوا تحت رعاية المشرفات، وبهذا تغيَّر الجوّ الذي بدأ مقلقًا في اليوم الأوّل. أصبح الشابّ رقيقًا ومهندمًا، لا يتحدّث حديثًا سخيفًا، ولا يلقي النكت غير اللائقة، وأصبح يتصرّف تصرّفًا إنسانيًّا. والبنت من جانبها أصبحت منطلقة بدلًا من أن تكون خجولة ومنطوية. يومها بدأت أدرك أهمّيّة الاختلاط بين الجنسين حين يتمّ في جوّ سليم، لا الاختلاط العشوائيّ الذي يتمّ بدون رقابة والذي قد يؤدّي إلى كارثة يومًا ما.

ب- **الصداقة**: ولها أيضًا دور كبير في هذا المجال، لأنّ الإنسان الذي يعيش وحيدًا منطويًا على ذاته، يعاني كثيرًا من مشاكل جنسيّة ملحّة لا يستطيع التغلّب عليها. هذه الظاهرة تبرز بوضوح في سنّ المراهقة، حين تفتح الصداقة أمام الشاب مجالًا كبيرًا للتعبير عن مشاعره وعواطفه في علاقة صداقة بصديق من الجنس نفسه.

لكن، هل يستطيع المربّي أن يحلّ محلّ الصديق لتلميذ عمره ١٥ سنة؟ هناك موضوعات يحكيها التلميذ لأنداده من السنّ نفسها فقط، كما أنّ هناك موضوعات يحكيها لإنسان أكبر منه سنًّا. والمراهق يحتاج إلى الاثنين بالدرجة نفسها، فالمرشد والمربّي لا يغني عن صديق من العمر نفسه، كذلك الصديق لا يغني عن الاسترشاد بشخصٍ أكثر نضجًا. هذا يجعلني أحذّر مَن يقوم

بإرشاد النشء وتوجيهه ألّا يحاول أن يكون كفردٍ منهم، لأنّ المراهق أو الطفل لا ينتظر منه ذلك، بل يتوقع منه الصورة العليا للبالغ الناضج. لا تشوّه هذه الصورة بصداقة متكلّفة رخيصة، لا تمثِّل وتجعل من نفسك طفلًا. هم يريدون أن تكون أنت الكبير وهم الصغار.

في هذا المجال أذكر طفلًا بلغ الرابعة عشر من عمره، وكان يعيش مع والدته المطلّقة التي كانت تمثِّل في نظره دور المرشد. هذه السيّدة قابلتني ذات مرّة، وروت لي كيف تعامل طفلها معاملة الصديق، وتطلب إليه أن يقصّ عليها أسراره، ليس بصفتها والدته، بل أخته. قلت لها أنت مخطئة يا سيّدتي. هو لا يحتاج إلى صديق لأنّ أصدقاءه كثيرون، أمّا الوالدة فهي واحدة وحيدة. وشاءت الأقدار أن يأتي هذا الصبيّ ليقابلني في اليوم التالي، ويشكو إليّ من أنّ أمّه تعامله معاملة الأصدقاء في حين أنّه يحتاج إليها أمًّا. هذه السيّدة كانت لا تدري أنّ طفلها يحتاج إلى والدة، أمّا الأصدقاء فهم من حوله كثيرون.

ج - **الحبّ**: ينقّي الجنس ويعطيه بُعده الحقيقيّ وهدفه النهائيّ. الجنس بدون حبّ يصبح حركة شهوانيّة خالية من أيّ معنى. الحبّ يمتصّ كلّ الطاقة التي بالجنس ويسمو بها إلى مستوى العلاقة الإنسانيّة الفريدة، لذا قلت إنّ الطاقة الجنسيّة هي طاقة وظيفيّة، وهدفها تحقيق الحبّ وتوطيد العلاقات البشريّة.

يجب أن نؤكّد أنّ النوادي والمعسكرات والرحلات والندوات والمناقشات والأنشطة بما فيها من صداقة واختلاط وروابط هي في غاية الأهمّيّة خاصّة في حياة الشباب، لأنّها تساعدهم على ترجمة طاقاتهم الحيويّة إلى علاقات اجتماعية. والتبتّل الذي يعيشه الرهبان وبعض الكهنة من المفروض أن يتمّ في إطار

coptic-books.blogspot.com

الجماعة. وما يلفت النظر أنّ الحياة الرهبانيّة وحياة الجماعة قد ظهرتا في تاريخ الكنيسة بالوقت نفسه تقريبًا. لأنّ التبتّل هو حرمان من علاقة فريدة بشخص من الجنس الآخر، وهي تضحية كبرى وصعبة، يحتاج الإنسان في مقابلها إلى المزيد من العلاقات الاجتماعيّة، إلى علاقة صداقة وسط جماعة لتساعده على أن يعيش هذا البعد.

٤ - العمل والدراسة والنشاط

ممّا لا شكّ فيه أنّ العمل يستهلك قدرًا كبيرًا من طاقتنا الجنسيّة، لذلك من المهمّ أن يكون لدى كلّ إنسان عمل يؤدّيه، وقبل ذلك أن يكون يحبّه. وهذا يتماشى مع قول فرويد: «إنّ الحضارة هي نتيجة لإعلاء طاقتنا الجنسيّة». فكلّ نشاط وكلّ عمل هما لتوجيه هذه الطاقة. وهذا الكلام ينطبق أيضًا على الدراسة عند مَن لم يصل إلى سنّ العمل بعد. فالدراسة تجعل العقل يمتصّ قدرًا كبيرًا من الطاقة الجنسيّة. لكن قد يحدث أنّ زيادة أوقات الدراسة والاستذكار عن احتمال الفرد تجعل جسمه في حالة توتّر، ممّا يدفعه إلى البحث عن الشهوة. لذا يجب أن تكون المذاكرة مصحوبة بفترات من الرياضة البدنيّة والنشاط الجسمانيّ للترفيه عن العقل.

٥ - الخدمة والبذل

وهذه ناحية مهمّة جدًّا لأنّ كثيرًا من الناس يعتقدون أنّ الحبّ هو شعور عاطفيّ وحسب، في حين أنّه قدرة على البذل والتضحية قبل أن يكون تبادل مشاعر وتمتّع بالطرف الآخر. يكون الحبّ عادةً في حياة العامّة إحساسًا عاطفيًّا داخليًّا، إحساسًا بلذّة، لكنّ الحبّ هو أكثر من ذلك. إن أردت أن تتعلّم الحبّ عليك أن تتعلّم التضحية والبذل. فمن

السهل على الإنسان أن يشعر بميل إلى شخص ما، لكن ليس بالقدر نفسه من السهولة يستطيع أن يخدمه ويضحّي من أجله. فلنعلّم أطفالنا وشبابنا البذل والتضحية والخدمة المجّانيّة إذا أردنا أن نعلّمهم الحبّ.

٦ - الصلاة والتصوّف

ما هي العلاقة بين الصلاة والتصوّف، واستغلال الطاقة الجنسيّة؟ إذا كان الإنسان يعيش صلاته بعمق، لا أداء فريضة وواجب وحسب؛ إذا تمّت الصلاة نابعةً من الأعماق، لا تصرّفًا روتينيًّا؛ عندها أؤكّد لكم أنّ المرء سيستهلك في أثناء صلاته قدرًا كبيرًا من قدراته العاطفيّة والبدنيّة والجنسيّة. إذا كان الصلاة والتصوّف هما الحبّ الأعلى - وهما كذلك - فيجب أن يكون بهما هذا البعد. وقد ذكرنا دور العلاقات الاجتماعيّة في حياة المتبتل، وهنا نضيف دور الصلاة. فالصلاة تفتح للإنسان مجالًا غير محدود للتعبير عن حبّه الأعلى. والراهب الذي لا يصلّي يجد نفسه دائم الميل إلى الشهوات الجنسيَّة، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون حب، إمّا حبّ الله، إمّا حبّ بشريّ.

في ضوء هذا كلّه، ما هو موقف الراهب المتوحِّد؟ الراهب المتوحِّد وصل في علاقته بالله إلى مرحلة يعتبره فيها الصديق العشيق، لذا فهو يعيش معه في حضور تامّ. لكنّ التوحّد التامّ بدون جماعة يعتبر حالة صعبة تحتاج إلى قدر كبير من اتّزان الشخصيّة والنضج، حتّى يجمع الإنسان بين التوحّد وانشراح القلب. والرهبان المتوحّدون خارج الأديرة يحتاجون دائمًا إلى العودة للدير لبعض الوقت ليسترشدوا بباقي الرهبان.

التوحّد الكامل عمل خارق لا يستطيع القيام به سوى قلّة كالقدّيس أنطونيوس والأنبا بولا، وهي حالات نادرة، لا أريد

coptic-books.blogspot.com

استبعادها. إنّما القاعدة العامّة تقول بأنّ المتبتّل يحتاج إلى حياة جماعيّة وصلاة من القلب، يحتاج إلى تصوّف بكلّ ما في الكلمة من معنى. لأنّ التصوّف هو حبّ عشيق عشيقته. التصوّف بالمعنى الأصليّ للكلمة ليس صلاة عاديّة، بل هو صلاة لها طابع عشقيّ جنونيّ إن جاز التعبير. وكلمة تصوّف لها المعنى نفسه في جميع الأديان والمذاهب. هذه هي الحياة التصوّفيّة، والإنسان المتبتل إذا لم يكن عنده البعد التصوّفيّ هذا فهو بالطبع لن يستطيع أن يحيا حياة التبتل. ليس هذا وحسب، بل إنّ أيّ إنسان إن لم يكن عنده هذا البعد ينقصه شيءٌ أساسيّ. فمهما كانت درجة الحبّ وعمقه في الحياة الزوجيّة، هناك بعد مطلق لانهائيّ يحتاج إليه الفرد هو الصلاة وحبّ الله.

الفصل الثالث

المسيحيّ وجسده

• وحدة كيان الإنسان

يميل البشر إلى تقسيم الإنسان إلى وحدات جزئيّة. فهو في نظر بعضنا عبارة عن عدّة مستويات مستقلّة: المستوى التناسليّ ومركزه الأعضاء التناسليّة، والمستوى العقليّ ومركزه المخّ، وبين هذين المستويين، المستوى العاطفيّ الوجدانيّ ومركزه القلب. وينظر آخرون إلى الإنسان على كونه عبارة عن جسد وروح. ولكنّي أرفض هذا التقسيم الذي يفقد الإنسان وحدته في كيانه. فوجود القلب في وسط جسم الإنسان يجعله يربط بين ظاهرة جنسيّة عشوائيّة، وظاهرة عقليّة روحيّة. من خلال القلب نستطيع أن نصبغ الجنس بصبغة عاطفيّة وجدانيّة تمامًا كما نستطيع أن نفعل الشيء نفسه في ما يخصّ أفكارنا. الإنسان المثاليّ هو الذي يستطيع أن يوحّد كيانه.

هدف الحياة الروحيّة ليس الصلاة المستمرّة أو الصوم أو حضور القدّاسات، فكلّ هذه وسائل وليست هدفًا. والهدف من اللعب ومن الدراسة ومن الزواج ومن جميع نواحي النشاط البشريّ هو أن تكون إنسانًا كاملًا أو بمعنى آخر أن تحقّق ذاتك.

coptic-books.blogspot.com

• المسيحيّة دين التجسّد وقيامة الأجساد

يحلو لبعضهم أن يتصوّر الإنسان روحًا ترفرف فوق الجسد، وكأنّ المسيحيّة خصم لدود للجسد، وهذا غير صحيح. فالمسيحيّة هي دين التجسّد الذي من خلاله جاء الله ليشاركنا في هذا الجسد، أتى ليقدّس الجسد لا ليرفضه. والتجسّد هو أساس المسيحيّة: «**والكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا**» (يو ١ : ١٤)، وهذا الانغماس في الجسد الذي تمّ في المسيح يدلّ على أنّ الجسد ليس غريبًا عن عالم الروح.

من ناحية أخرى نجد أنّ المسيحيّة تؤمن بقيامة الأجساد، لا بخلود الروح كما كانت عقيدة المصريّين القدماء. يقيننا أنّ الإنسان سوف يحيا حياته الأبديّة بجسده وروحه معًا. والدليل على هذا أنّ المسيح قام من بين الأموات بجسده، وهكذا صعد إلى السموات بجسده، ولا يزال حتّى الآن مع الآب بجسده. والمسيحيّة تقدّس الجسد وتهتمّ به، وتعلن أنّ الإنسان بدون جسده هو إنسان غير كامل، وأرواحنا سوف تتّخذ لها جسدًا جديدًا، جسد القيامة، الجسد النورانيّ.

ومَن يتأمّل في حياة الربّ يسوع على الأرض يجد أنّ كلّ المعجزات التي صنعها المسيح مشيرًا بها إلى ملكوت الله على الأرض كانت تمسّ الجسد، حتّى إنّه حين أراد أن يرمز إلى ملكوت السموات قال لهم: «**العميان يبصرون والبرص يطهرون والصمّ يسمعون**» (متّى ١١ : ٥). لم يأتِ المسيح ليخلّص نفوسنا وحسب بل وأجسادنا أيضًا، وخلاصه يشمل جميع مجالات كيان الإنسان. وكلّ الأسرار المسيحيّة التي ننال بها النعم الإلهيّة تستعين بتعبيرات جسديّة كاللمس والألفاظ، والطعام والزيت والماء... إلخ.

إنَّ الكنيسة بدورها مقتدية بالمسيح أولت الجسد اهتمامًا كبيرًا

يساوي اهتمامها بالروح، إذ نجدها تهتمّ بالمستشفيات والمستوصفات ورعاية الفقراء والمنكوبين. كذلك تهتمّ الكنيسة بالعقول، فتفتح المدارس والمراكز الثقافيّة والمكتبات لأنّ ملكوت الله في خلاص الإنسان خلاصًا كاملًا شاملًا.

• الدنس هو صورة من صور العبوديّة

كثيرًا ما نربط الدنس بالجسد، والطهارة بالروح. فيصبح كلّ ما هو جسديّ نوعًا من الدنس، وكلّ ما هو روحيّ طاهرًا بالتبعيّة. وقد ذكرنا في المقدّمة أنّ هذه الفكرة السيِّئة عن الجسد ليست مسيحيّة، بل هي فكرة أفلاطونيّة، تبلورت في مذهب «المانية» وأثّرت إلى حدّ ما في الكنيسة أثناء عصورها الأولى وحتّى الآن.

لقد تجسّد المسيح وأخذ صورة عبد حتّى يحرّرنا من كلّ عبوديّة. وكلامي في هذا المجال لا يهدف إلّا إلى استغلال كلّ طاقاتنا لبنيان ذواتنا. ومن هذا المنطلق نتكلّم على مفهوم الطاهر والدنس. فحين تنقلب علاقة الجسد بالروح، ويصبح الجسد مسيطرًا على الروح، وقتها نصف الإنسان بالدنس. فالدنس هو العبوديّة، والإنسان الدنس هو الإنسان الذي فقد سيطرته على ذاته، وأصبح عبدًا لغرائز معيّنة، لدرجة أنّه فقد حرّيّته، وبالتالي إنسانيّته. وتطبيقًا لهذا المفهوم يمكن القول إنّ الغضب اللاواعيّ هو نوع من الدنس، بحيث تتسلّط مشاعري وأعصابي على تصرّفاتي، وأفقد السيطرة التامّة على كياني. يقول القدّيس بولس: «**اغضبوا ولا تَخطَأُوا**» (أف ٤ : ٢٦). فهل يستطيع الإنسان أن يغضب من دون أن يَخطأ؟ إنْ غضبتَ وفقدتَ السيطرة على ذاتك وأفلت الزمام من يدك، يكون غضبك مجرّد ردّ فعل عشوائيّ تلقائيّ غير محكم، وهذا خطأ. لكن تستطيع أن تغضب من دون أن

coptic-books.blogspot.com

تَخطأ إذا تمّ ذلك بقرار مسبق منك.

كنتُ مسؤولًا عن القسم الإعداديّ في المدرسة، وكثيرًا ما كنت أتعرّض لمواقف مثيرة للغضب، يظلّ جسمي بعدها بساعات يرتجف، وأصيح بأعلى صوتي بدون مبرّر. وفي إحدى المرّات رجعت إلى نفسي، واكتشفت أنّ هذا التصرّف غير سليم. لكنّ هناك مواقف تستلزم أن تُشعر الذي أمامك بأنّك غاضب وغير راضٍ عن تصرّف ما، فبعض الناس لا يفهمون إلّا بهذه الطريقة. فعليك أن تغضب من دون غضب. فكيف يتمّ ذلك؟ كنت أقرّر في قرارة نفسي أنّني بعد ربع ساعة مثلًا يجب أن أغضب، وبالفعل بعد ربع ساعة أصعد إلى الفصل، وأنتهر التلاميذ، ثم أخرج وكأنّ شيئًا لم يحدث، وهم يعتقدون أنّني في قمّة الإثارة، في حين أعود في منتهى الهدوء. هذا هو الغضب الذي أقصده، أن تغضب بقرار مسبق ثمّ تعود إلى حالتك العاديّة.

وتطبيقًا لذلك يمكن القول إنّ الكراهية التي تجعل الانفعالات الشرّيرة تتغلّب على الإنسان هي بدورها نوع آخر من الشهوة والدنس. إذن يشمل الدنس كلّ انفعال مهما كان نوعه يسيطر على الإنسان. فحبّ المال حين يجعلك عبدًا له هو نوع من أنواع الدنس. بل أكثر من هذا، أحيانًا يكون العمل الذي يشغلك عن الاهتمام بمَن حولك نوعًا من أنواع الدنس. وعلى النقيض من هذا، فالطاهر هو كلّ ما يسمو بك ويرقيك دفعة إلى الأمام. فبعض النظرات والحركات التي قد نعتبرها دنسة ظاهريًّا، تكون في نظر الشخص ذاته طاهرة لأنّها تعطيه انطلاقة للأمام.

هذه الروحانيّة التي نتكلّم عليها تتطلّب الكثير من الأمانة، فكن أمينًا مع نفسك، وبالتالي سيكون لديك شجاعة كبيرة. وعلى الطرف الآخر هناك روحانيّة الأمان التي تجعلك دائمًا على الجانب الآمن،

لكنّك لن تصل إلى القمّة. أمّا الروحانيّة التي أحدّثكم عنها فهي روحانيّة الشجاعة والمجازفة المدروسة. بعضنا يحبّ أن يعيش في الوادي حيث الأمان بجوار المنزل والعمل والأهل، وعلى النقيض من هذا هناك أناس يهوون المخاطرة وتسلّق القمم الشامخة واكتشاف الطبيعة، وبالتأكيد هم يستمتعون بحياة أفضل. وهناك مثل فرنسيّ يقول: «مَن لا يخاطر بشيء، لن يحصل على شيء».

والخلاصة أنّ الدنس يساوي العبوديّة. دنس الجسد نسمّيه الشهوة، حين يفقد الإنسان سطيرته على جسده. ودنس العاطفة نسمّيه الهوى، حين يفقد الإنسان سيطرته على عواطفه. بل أكثر من هذا، هناك دنس الفكر حين يقع الإنسان عبدًا لهواجس وهموم تجعل النوم يهرب من عينيه.

• الصراع بين الجسد والروح

يتحقّق كمال الإنسان حين يحدث الانسجام والتنسيق بين جسده وروحه، وقتئذٍ يصل إلى قمّة الحياة الروحيّة. وطالما وجدت نزاعًا بين رغبات الجسد ورغبات الروح، فأنت لم تصل بعد إلى كمال الحياة الروحيّة. لهذا تعرّضنا بإسهاب لقضيّة توجيه الطاقة الجنسيّة، لكن علينا أن نعترف أنّ الأمر ليس سهلًا. فلا تظنّ أنّ الوحدة المنشودة بين الجسد والروح هي وحدة تلقائيّة أو أنّها سهلة التحقيق. فالطاقة الجنسيّة تكون حسنة بقدر ما تكون تحت سيطرة الروح، حين تستخدم وسيلة لتكوين الذات. لكن حين يفلت الزمام من يدك وتتحوّل إلى طاقة عشوائيّة، تصبح ضارّة لأنّها تعاكس انطلاق الروح. تمامًا كالحصان البرّيّ، فهو غير صالح للخدمة ما دام غير مروّض ترويضًا كاملًا، وبالطبع سوف يختلف الوضع تمامًا بعد ترويضه.

coptic-books.blogspot.com

ما دام الإنسان غير متّزن روحيًّا فسوف يعاني كثيرًا النزاع بين رغبات جسده ورغبات روحه، وكلّ التدريبات الروحيّة التي نمارسها كالصيام وغيره هي وسائل لتحقيق هذا الاتّزان. فالصيام ليس هدفًا في حدّ ذاته، وهو ليس بغرض إذلال الجسد كما يتصوّر بعضهم. هدف الصيام الأساسيّ هو ترويض الجسد لتحقيق الاتّزان الروحيّ. كذلك الحال في ما يخصّ أعمال التقشّف وغيرها من الوسائل التي نمارسها، فكلّها أساليب تمكّن الإنسان من اكتشاف حرّيّة داخليّة كاملة. وإن انقلبت هذه الوسائل وأصبحت عوائق في سبيل اكتساب الحرّيّة، نكون قد أسأنا فهمها وكيفيّة استخدامها. إن لم يكن صيامي وسيلة لمزيد من الفرح الروحيّ والخدمة والعمل والتقرّب من الله فلا داعي له. هذا ما علّمه المسيح لليهود الذين حفظوا السبت حتّى إنّهم كانوا يهملون علاج المريض حفاظًا على قدسيّة يوم الربّ: «**ثم قال لهم إنّ السبت جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت**» (مر ٢: ٢٧).

على الإنسان أن يصل بأيّ وسيلة إلى تحقيق هذا الاتّزان بين روحه وجسده، فالجسد حين يوضع في مكانه، بكلّ طاقاته، فبالطبع سوف يخدم الحياة الروحيّة بقدر كبير، لأنّ الحياة الروحيّة التي لا تستغلّ قدرات الجسد هي حياة هزيلة. فالصلاة التي لا تستخدم الطاقات النابعة من الجسد والوجدان هي صلاة ضعيفة جافّة، ينقصها غذاء. وحاليًا تعلّم المسيحيّون في الغرب من الهنود الطرق الجسديّة لتنمية الصلاة (اليوچا)، لأنّ الجسد هو وسيلة حيّة للتعبير عن الروح.

لكن كيف نفسّر وجود هذا الصراع بين الجسد والروح في حين أنّنا مخلوقون على صورة الله كمثاله؟ لقد خلق الله الإنسان على صورته ككيان روحيّ حرّ ومحبّ ومتميّز بالسيطرة الكاملة على جسده: «**وكانا عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان**» (تك ٢: ٢٥). فالعري قبل

الخطيئة لم يكن مصدر شهوة للإنسان. كان ينظر إلى الآخر في عريه نظرة طاهرة راقية، وكان الجسم في نظره وسيلة لشفافية النفس، ممّا يدلّ على حالة سيطرة واتّزان كاملين. هذه هي صورة الإنسان قبل الخطيئة.

وحين خضع الإنسان لإغراء الثمرة التي ترمز إلى الأرض والشهوة وجاذبيّة المادّة، وضع نفسه في مرتبة أدنى من المادّة بعد أن كان يسيطر عليها، ففقد إرادته وحرّيّته حين أكل من الثمرة المحرّمة. وقتها حدث انقلاب في علاقة الجسد بالروح. حين سمع صوت الله يناديه في الجنّة أجاب آدم: «**إنّي سمعت صوتك في الجنّة فتخشّيتُ لأنّي عريان فاختبأت**» (تك ٣: ١٠). خضع الإنسان للشهوة فسيطرت عليه، وبالتالي أصبح الجسد مصدر عثرة لديه. وكلّ هدفنا الآن هو استعادة الحالة الأولى، حالة البراءة، وهي أن ننظر إلى عرينا وعري الآخرين بلا دنس، وهذا ليس مستحيلًا. فبالتأكيد سوف نصل إليه في الحياة الأخرى، لكن قد يصل إليه بعضنا الآن إلى حدّ ما، بحيث يستطيع أن ينظر بدون شهوة إلى أشياء نعتبرها دنسة، لأنّها تمثّل مصدر عثرة عند بعضهم. هدفنا أن نعود إلى حالة الإنسان الأوّل الذي خلق على صورة الله الكاملة.

• حتّامَ تقهر جسدك؟

ذهبتَ إلى مزرعة لتربية الخيول البرّيّة، وطُلب إليك أن تختار أحد الخيول لاستعمالك الشخصيّ. هل ستختار حصانًا هزيلًا لكي يسير بك ببطء، ويكون مطيعًا؟ لا أعتقد هذا، فأغلب الظنّ أنّك سوف تختار حصانًا قويًّا متمرّدًا، ربّما سيسبّب لك بعض المتاعب في البداية، وقد تسقط على الأرض بسببه. لكن بعد فترة من استخدام

coptic-books.blogspot.com

السوط والقهر والترويض، ستصل إلى مرحلة يطيعك فيها بمجرد الإشارة، بحيث تجعله يجري في سرعة البرق، لكنّك ستكون متأكّدًا أنّه في أيّ لحظة وبحركة بسيطة منك على لجامه سيمتثل لأمرك لأنّك روّضته.

هذا الحصان يمثّل جسدك، أنا ممكن أن أتمنّى جسدًا لا يشعر بأيّ رغبة جنسيّة وأقول: الحمد لك يا ربّ، أشكرك لأنّي بعيد عن كلّ التجارب المضادّة للطهارة. لكن هذا غير صحيح. فمن المفروض أن تتمنّى أن يكون جسدك مثل الحصان البرّيّ، لكن بشرط أن تكون أقوى منه، ولا تستسلم لرغباته، وإذا رماك على الأرض تركبه مرّة أخرى لتقوده، وشيئًا فشيئًا تروّضه، ويكون لك مصدر غنى، تمامًا كما يكون الحصان القويّ لصاحبه أثناء السباق.

فليكن لك طاقة جنسيّة كبيرة، بشرط أن يكون لديك القدرة على التحكّم فيها، حينئذ تستطيع أن تترك لها المجال والحرّيّة. إمنح الحرّيّة لجسدك، امنح الحرّيّة لعينيك، لا تخف، لأنّك حين تشعر بالخطر، ستملك الزمام عندها. ستأمر جسدك فتجده مطيعًا. هذه هي قمّة الحياة الروحيّة. قمّة الحياة الروحيّة ليست في أن تعيش مكبوتًا منقبضًا وأنت تقيّد حركة جسدك، لكن أن تطلقه بحرّيّة وأنت قادر على أن تتحكّم فيه.

نستطيع القول إنّ في الحياة الروحيّة مرحلة تحتاج إلى الضبط والربط والتقشّف والخشونة مع الذات، لدرجة كراهية الذات، وهذا ما فعله الآباء والرهبان في الصحارى والبراري. لكن بعد هذه المرحلة هناك مرحلة انطلاق، لأنّ التقشّف ليس هدفًا بحدّ ذاته، بل هو وسيلة للتحكّم في جسدي، وبعد أن أتمكّن من السيطرة عليه، أستطيع أن أستغلّه لتحقيق حياة روحيّة أسمى. هناك خطورة في روحانيّتنا الشرقيّة

تكمن في الوقوف على المرحلة الأولى من دون أن نفكّر في المرحلة التي تليها، مرحلة حرّيّة أبناء الله. الله لا يريد الإنسان المكبّل، بل يريد إنسانًا طليقًا حرًّا. لكن لا تعتقد أنّ المؤمن يستطيع أن يعيش المرحلة الثانية من دون المرور بالأولى.

• صورة جديدة للقداسة

لديَّ القناعة الثابتة بأنّ هذه الطريقة التي أرشدك إليها تصل بالإنسان إلى قداسة لا تقلّ، بل قد تزيد عن قداسة التحفّظات. فنحن لا نزال نحتفظ بفكرة معيّنة عن القداسة، نراها في إنسان أطلق لحيته، وارتدى الملابس الخشنة، وتناول الخبز الجافّ والنباتات البرّيّة... إلخ. وأحيانًا نعتقد أنّ هذه هي صورة القداسة المثلى، بمعنى أنّ القدّيس لا يكون إلّا بهذا الشكل. هل تصوّرتم قدّيسًا يرتدي بنطلونًا وقميصًا ورباط عنق، ويأكل كباقي البشر، ويذهب إلى عمله المعتاد؟ مريم العذراء وهي أمّ القدّيسين، عاشت حياة عاديّة بدون تصوّف ولا توحّد، والقدّيس يوسف فعل الشيء نفسه.

نحن في أشدّ الحاجة إلى مثل أعلى للقداسة العلمانيّة، القداسة وسط العالم. أن يعيش الإنسان في العالم، وهو ليس من العالم. ولنرجع إلى رسالة القدّيس بولس الأولى إلى أهل قورنتس: «**فأقول هذا أيّها الأخوة إنّ الزمان قصير، ينبغي أن يكون الذين لهم نساء كأنّهم لا نساء لهم، والباكون كأنّهم لا يبكون، الفرحون كأنّهم لا يفرحون، والمشترون كأنّهم لا يملكون، والمستعملون هذا العالم كأنّهم لا يستعملونه لأنّ هيئة هذا العالم في زوال**» (١ قور ٧: ٢٩-٣١). يمكنك أن تعيش في العالم من دون أن تتقيّد به، وتشاهد التليفزيون من دون أن تكون عبدًا له. ويمكن أن تملك مالًا في جيبك، وكأنّك ليس

coptic-books.blogspot.com

لديك، وعندك زوجة وكأنّك متبتل. القداسة التي يحدّثنا عنها الرسول بولس هي أصعب بكثير من قداسة التحفّظات، أن تستعمل العالم من دون أن تتقيّد به، أن تحيا حرّيّة أبناء الله في استخدامك الأشياء. هي نوع من التجرّد الداخليّ الذي يجعلك تحيا حياة حقيقة من دون أن تكون عبدًا للمادّة أو للشهوة. تستطيع أن تتحاشى النظر إلى الجنس الآخر، ولكنّك تستطيع أيضًا أن تنقّي قلبك، حتّى إذا ما نظرت نحوه كانت نظرتك عفيفة. هذا هو الهدف، أن تعيش في العالم من دون أن تكون منه.

الفصل الرابع

التجارب النفسيّة

• كلّ تقدّم بشريّ هو نتيجة عقبة تخطّاها الإنسان

إنّ سرّ تقدّم البشريّة يكمن في أنّ العقبات التي تصادف الإنسان يحوّلها دائمًا إلى وسائل تقدّم. فعلى سبيل المثال نجد أنّ فيضان النيل كان بمثابة كارثة للإنسان المصريّ في بعض السنوات: قرى تغرق بكاملها، ويصبح السير مستحيلًا على بعض طرق المواصلات البرّيّة. وتساءل الإنسان المصريّ: هل من الممكن تحويل هذه الظاهرة الطبيعيّة الضارّة إلى شيء نافع؟ وجاءت فكرة بناء سدّ أو خزّان على النيل، وأصبح من الممكن التحكّم في هذا الفيضان والتصرّف فيه بحسب الرغبة عن طريق فتحات في جسم السدّ، كما أمكن وضع توربينات أمام هذه الفتحات لتوليد الكهرباء، وأمكن أيضًا حفر قنوات جديدة لاستزراع مساحات كبيرة من الصحراء. كلّ هذه الفوائد وغيرها تمت وكانت ثمرة لظاهرة ضارّة هي فيضان النيل.

هذا الكلام ينطبق أيضًا على التحكّم في النار أو الريح، وبهذا تمكّن الإنسان من استخدام هذه الظواهر الطبيعيّة المدمّرة في أغراض مفيدة. وأنت الآن تستطيع أن تتصرّف في طاقتك الجنسيّة بالطريقة نفسها: لا تعتبرها كارثة لحقت بك ولا يمكنك التغلّب عليها. حاول

coptic-books.blogspot.com

في المرحلة الأولى أن تبني سدًّا حين تلاحظ أنّك غير قادر عليها. فأنت تحتاج إلى ضبط هذه القوّة وليس إلى كبتها لأنّك تعي وتدرك أهمّيّتها في حياتك. ثمّ بعد أن تضبط هذا التيّار الجارف، تستطيع أن تفتح له بعض الفتحات كما تشاء، ولا تخف لأنّك متحكّم في هذه الطاقة. فحيث توجد طاقة توجد فائدة، وعليك أن تعرف كيف تستفيد منها.

• كيف تستفيد من التجارب الشرّيرة؟

ما نطلق عليه التجارب والأفكار الشرّيرة نستطيع أن نحوّله إلى وسائل في حياتنا الروحيّة. فإذا كنت تتعرّض لأفكار شرّيرة تمسّ الطهارة، يمكنك أن تحوّلها إلى أفكار مقدّسة. هذا الجسم الذي تنظر إليه بنظرة شهوانيّة، حاول أن يكون لك وسيلة لتمجيد الله الخالق مصدر كلّ جمال. هذا يحتاج إلى بعض التدريب. في البداية سوف يكون الأمر صعبًا، لكن بالتدريج سوف تتعلّم كيف تحوّل الفكر الشرّير إلى فكر طاهر. مجّدوا الله في أجسادكم، مجّدوه في كلّ جمال، مجّدوه من خلال التجربة. فقمّة الحياة الروحيّة هي أن يصبح العالم في نظرك طاهرًا مقدّسًا شفّافًا. ولنقتدِ بالقدّيس فرنسيس الأسيزيّ الذي كان يمجّد الله من خلال المخلوقات. هذه هي روحانيّة القبول التي هي على نقيض روحانيّة الرفض. وبذلك تصبح الطبيعة والمخلوقات سلّمًا نصعد بواسطته إلى الله.

• دور قوّة الله في محاربة التجارب الشرّيرة

بدون قوّة الله لا تستطيع أن تتغلّب على شهوة: «**وما هو مستحيل لدى الإنسان فهو ممكن لدى الله**» (لو ١ : ٣٧). تأكّد أن الإنسان الذي

لا يصلّي لن يقدر على التغلّب على شهوته: «**صلّوا واسهروا حتّى لا تسقطوا في تجربة**» (متّى ٢٦ : ٤١). كثيرًا ما يشكّ الشباب في مقدرتهم على الصمود في وجه التجارب الجنسيّة، فإن سألت أحدهم: هل تصلّي؟ يجيب: لا. إن كنت لا تصلّي فأنت غير قادر على مقاومة التجربة. لا تتعجّب، فإنّك إن طلبت إلى أحد الأفراد أن يحمل حملًا ثقيلًا في حين أنّه لم يتناول أيّ طعام منذ أسبوع، بالطبع لن يستطيع تلبية طلبك. كذلك مَن لا يتغذّى روحيًّا لن يستطيع التغلّب على بعض المواقف التي تفوق قدرة الإنسان العاديّ.

• دور الاختبار في مسألة الجنس

أريد أن أتطرّق هنا إلى دور الاختبار في موضوع الجنس. إلى أيّ مدى يستطيع الإنسان أن يختبر نفسه؟ هناك اختبارات لو مارسناها لكانت فيها النهاية. فعلى سبيل المثال، إذا أراد شخص أن يجرّب الانتحار حتّى يدرس مشاعر المنتحر، فتجربته لن تتكرَّر، ومَن يخوضها مرّة سيعرف معنى الانتحار، لكن سينتهي أجَله. أيضًا مَن يريد أن يختبر حريق منزله، سيستطيع بالتأكيد أن يخوض هذه التجربة وفي نهايتها لن يكون عنده منزل إطلاقًا.

من ناحية أخرى، يستطيع الإنسان أن يختبر بعض الحقائق من دون أن يصل إلى مرحلة اللاعودة. فيمكنني أن أقفز من فوق هذه المنضدة إلى الأرض حتّى أعرف معنى القفز. أيضًا أستطيع أن أقفز من فوق سور ارتفاعه متر أو متران، لكن لا يوجد أيّ مبرّر لأن أقفز من فوق سطح إحدى العمارات العالية لمجرّد معرفة معنى القفز.

فإن طبّقنا ذلك على موضوع الجنس، سنجد أنّ لدى كلّ إنسان من الخبرات ما يكفي ليفكّر. كلّنا اختبرنا الجنس بطريقة أو بأخرى،

coptic-books.blogspot.com

كلّنا بشر من لحم ودم وأحاسيس وغرائز ولسنا حجارةً. كلّ فرد منّا عاش يومًا ما تجارب جنسيّة معيّنة في داخله، وهو بذلك يعرف معنى الاختبار الجنسيّ، ولا يوجد أيّ مبرّر لأن يطلب ممارسة تجربة جنسيّة كاملة. بالعكس، فالبعد أحيانًا عن هذه التجربة يجعلك أكثر فطنة. قد يتعجّب بعضهم كيف أتحدّث أنا الراهب والكاهن عن الموضوع. أتحدّث عن الجنس والزواج ولم يسبق لي الزواج. هذا صحيح، ولكن أنا عندي بُعد معيّن في هذا الشأن، ولديَّ من الخبرة قدر مثل أيّ إنسان. إنّ الراهب ليس خاليًا من تجارب معيّنة في هذا المجال، وكلّ فرد يعيش بعض هذه التجارب في أثناء فترة من حياته. هذا القدر من الخبرة المحدودة مع القراءة والتفكير العميق يمكّنني من التحدّث معكم في هذا الموضوع البالغ الأهمّيّة.

ما ينقص الشباب هو التفكير والبحث والدراسة وليس الخبرة. فعندكم قدر كافٍ من الخبرات، واللبيب يفهم من مجرّد الإشارة، أمّا تكرار الخبرات الجنسيّة فهو يعمي الإنسان ويغلق مداركه. وانطلاقًا من خبراتنا السابقة علينا أن نفكّر تفكيرًا عميقًا لنصل إلى اقتناع ذاتيّ. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أراها صحيحة ليصل الإنسان إلى مبادئ نابعة من ذاته يكون مقتنعًا بها.

• دور الإرادة والتربية في محاربة التجارب الجنسيّة

لا يكفي تزويد النشء معلوماتٍ صحيحة عن الجنس والحبّ والزواج، بل علينا أيضًا أن نُنمّي فيهم قوّة الإرادة والشخصيّة، حتّى يستطيعوا محاربة التجارب الجنسيّة التي سوف يتعرّضون لها كثيرًا. فكيف يتمّ ذلك؟ حين تطلب إلى الطفل أن يجلس مستقيمًا وهو يذاكر، فهذا الطلب البسيط الصعب التنفيذ في نظره سيجعله يكتسب بالتدريج

المقدرة على التحكّم في جسده، وبالتالي سيكون له أثر إيجابيّ في قدرته على مقاومة الشهوات الجسديّة متى تعرّض لها. وحين نطلب إليه عدم التحدّث إلّا بعد الاستئذان برفع إصبعه، وحين نشجّعه على الصيام في سنّ مبكر، وحين نساعده على الإمساك عن التبوّل لفترة ما، كلّ هذه الأمور البسيطة تقوّي إرادته. كما أنّ النظام المدرسيّ بشدّته وتفاصيله التي قد تبدو في بعض الأحيان غير ضروريّة، تكون في غاية الأهمّيّة في حياة النشء.

شخصيّة الإنسان وحدة لا تتجزّأ، وحين تقوّي إحدى مجالاتها يتقوّى الجسم كلّه. ومن هنا كان التركيز على دور الإرادة، لأنّ الغريزة الجنسيّة من أقوى الغرائز في الإنسان، ومن الصعب التحكّم فيها إذا لم نُعدّ الطفل على مواجهتها في سنّ مبكرة.

• الاستمناء (العادة السرّيّة)

الاستمناء لفظ مشتقّ من المنيّ أو الحيوانات المنويّة التي تحمل بذور الحياة في الرجل. وهو عمليّة تعرِّض الشاب إلى إثارة جنسيّة قد تبلغ القمّة وينتج عنها إفراز (السائل المنويّ) من جسمه، مصحوبًا بشعور لذيذ. هذا السائل يحتوي على حوالى الـ ٦٠ مليون حيوان منويّ صغير في كلّ سم ^{٣} ، يكفي واحد منها فقط لتلقيح البويضة. ثمّ يتبع عمليّة الاستمناء نوع من الراحة العصبيّة والاسترخاء بعد قمّة من التوتّر. هذا عند الرجل، أمّا عند المرأة فهناك أيضًا ممارسة العادة السرّيّة. لذلك فحين نتحدّث عن العادة السرّيّة نقصد الجنسين على السواء.

والعادة السرّيّة مشكلة عامّة ومنتشرة لدى الأغلبيّة الساحقة من شباب العالم، ولكنّها منتشرة أكثر لدى الفتيان حيث إنّ ٧٥٪ من

coptic-books.blogspot.com

الطاقة الجنسيّة لديهم تتركّز في الأعضاء التناسليّة، و٢٥٪ فقط في المجال العاطفيّ والعلاقات الاجتماعيّة. أمّا لدى الفتيات، فالنسبة تقريبًا عكسيّة، لذا نجد أن العادة السرّيّة لديهنّ أقلّ إلحاحًا، والمشكلة عندهنّ تكون عاطفيّة في المقام الأوّل.

تلكم باختصار فكرة بسيطة عن العادة السرّيّة من دون الدخول في التفاصيل. فهناك الكثير من المؤلّفات التي تناولت هذا الموضوع بالشرح المسهب، وهذا ليس هدفنا، إذ نكتفي بهذا التلميح، حتّى يعرف كلّ شاب في حدود خبرته الشخصيّة المقصود من هذه الكلمة.

• العادة السرّيّة بين الرفض التامّ والإباحة

نتساءل بغضّ النظر عن مسألة الحرام والحلال: **لماذا نرى أنّ ممارسة العادة السرّيّة خطأ؟** وهو سؤال غريب بلا شكّ حين يطرح في مجتمعنا المصريّ، حيث نحكم على كلّ التصرّفات البشريّة بمقياس واحد، هو مقياس الحلال والحرام، لكنّ الوضع يختلف كثيرًا في المجتمعات الغربيّة.

في هذا الصدد نشر دكتور كاربونتيه في فرنسا تقريرًا أبرز فيه مزايا ممارسة العادة السرّيّة وفوائدها، وحثّ الشباب على التمتّع بها كما يشاؤون. فهي في رأيه ليست خطيئة، وليس فيها ضرر لأحد، لكن هي للمتعة الشخصيّة فقط. وبالفعل يسأل المراهق: أنا حين أمارس العادة السرّيّة بمفردي لا أضرّ الله ولا الآخرين ولا نفسي، **فلماذا ننهاه عنها؟** وهو سؤال في موضعه يجب أن نجيب عنه. فقديمًا قالوا إنّ العادة السرّيّة تسبّب العقم وهبوط القلب، حتّى يمنعوا المراهقين عن ممارستها، بل تمادى بعضهم وادّعى أنّها تسبّب الجنون. وحاليًّا يقول الأطبّاء إنّ العادة السرّيّة بريئة من هذه التهم كلّها، فهي ليست مضرّة

صحّيًّا إنْ لم تتكرّر بصورة مبالغ فيها. **فعلى أيّ أساس يقتنع المراهق بالامتناع عن الشعور بلذّة يجدها غير ضارّة؟** هذا هو السؤال.

هنا أودّ أن ألفت نظركم إلى أنّ تصرّفاتنا الأخلاقيّة يجب ألّا تنبع من قوانين خارجيّة، بل أن تكون صادرة عن اقتناع داخليّ مبنيّ على تفكير وخبرة، وهذا هو أحد أهداف المؤتمرات والندوات الدينيّة. فكلّ تصرّف غير ناجم عن اقتناع ذاتيّ هو تصرّف طفوليّ، وكثيرًا ما نثبّت الناس في مرحلة طفوليّة من التفكير، خوفًا من أن يخطئوا إذا ما فكّروا. لا بدّ من الانتقال من مرحلة الطفولة المبنيّة على التحذيرات والقوانين المفروضة من دون فهم إلى مرحلة الرشد، إذ نحاول إدراك الحقيقة، مستعينين بخبرتنا الشخصيّة المرتكزة على العقل والدين والعلوم، للوصول إلى نظرة واضحة جليّة.

• العادة السرّيّة تستنزف الطاقة الجنسيّة

إذا عدنا إلى السؤال الذي طرحناه، نرى أنّ الإجابة عنه سهلة جدًّا. فلو كان الإنسان مجرّد جسم وبدن وصحّة وحسب، لقلنا إنّه لا ضرر من ممارسة العادة السرّيّة في حدود معيّنة. لكنّ الحقيقة بخلاف ذلك. فالإنسان كائن متكامل له أبعاد أخرى. فإن لم يكن هناك ضررٌ على المستوى البدنيّ، فهناك بالتأكيد أضرار تلحق بالمستويات الأخرى: النفسيّة والاجتماعيّة والروحيّة.

وحتّى نستوضح هذه النقطة أقول إنّ العادة السرّيّة تستنزف قدرًا كبيرًا من الطاقة الجنسيّة في الإنسان، ويكون هذا على حساب استعمالها في المجال الاجتماعيّ الذي خلقت لأجله. فكما أسلفنا القول إنّ الطاقة الجنسيّة هي طاقة ترابط بين البشر، وهي في جوهرها حركة انطلاقيّة من الذات إلى الآخر، وانعكاس هذه الحركة - أعني

coptic-books.blogspot.com

من الذات وإليها - عن طريق ممارسة العادة السرّيّة يجعلها حركة بدون هدف. والنتيجة هي انغلاق على الذات وانطواء عليها. والشابّ حين يمارس العادة السرّيّة يعيش فترة من التلذّذ الذاتيّ الذي يسمّى في التحليل النفسيّ (self eroticism) أو حبّ الذات، وهي حركة انطوائيّة تجعل الإنسان منغلقًا وغير قادر على تكوين علاقات بالآخرين.

ولتوضيح هذه الحقيقة أقول إنّ الابتسامة مثلًا هي جزء من الطاقة الجنسيّة يظهر على الوجه في صورة البشاشة. قد يتعجّب بعضكم من هذا القول لكنّها حقيقة. والنظرة البرّاقة الشفّافة المفتوحة هي صورة أخرى من صور الطاقة الجنسيّة سمت إلى أعلى وتجلّت في العينين **«إذا كانت عينك نيّرة فجسدك كلّه يكون نيّرًا»** (متّى ٦ : ٢٢)، ماذا يقصد المسيح بهذه الكلمات؟ يستطيع الإنسان أن يستهلك الطاقة الجنسيّة الكامنة فيه من أعلى أو من أسفل. فإن استهلكها من أسفل، حرم الجزء الأعلى من كيانه منها. وهناك أيضًا مجالات كثيرة أخرى يمكنها الاستفادة من طاقتنا الجنسيّة، إلى جانب الابتسامة والنظرة، هناك أيضًا القلب والعاطفة، والعقل والتفكير. إذ ثمّة نوعٌ من العبقريّة مرتبط بحسن تدبير الطاقة الجنسيّة. وقد قرأت حكمة تحمل هذا المعنى: **«احفظ منيّك، فإنّه مخّ ساقيك ونور عينيك»**. أعجبتني هذه الحكمة لأنها ربطت بإيجاز بليغ الطاقة الجنسيّة بطاقة العقل والبدن ونور العينين.

وبناءً على ما تقدّم، يكون من الصعب القول إنّ مَن يمارس العادة السرّيّة لا يضرّ أحدًا. بالطبع هو لم يفعل شيئًا مُضرًّا بالمجتمع ضررًا مباشرًا، لكنّه حُرِم شيئًا له الحقّ فيه، وهنا مصدر الخطأ. إنّها صورة من صور خطيئة الإهمال، إهمال عمل خير كان من الممكن أن يقوم به: **«مَن استطاع أن يفعل خيرًا ولم يفعله فعليه خطيئة»** (يعقوب ٤ :

١٧). أستطيع أن أجعل وجهي مبتسمًا للجميع، ولكن نتيجة حركة انطوائيّة أنانيّة أسير عابس الوجه. ألم ألحق الضرر بالمجتمع من حولي حين أحرمه ابتسامتي؟

• الدوافع إلى تكرار ممارسة العادة السرّيّة لدى الشباب

واستكمالًا لهذا الموضوع، أودّ أن ألفت النظر إلى بعض العوامل التي تثير الرغبة الجنسيّة لدى الشباب، وبالتالي تدفعه إلى تكرار ممارسة العادة السرّيّة:

١ - المؤثّرات الحضاريّة سواء أعن طريق البصر كانت مثل المشاهد المثيرة في بعض الأفلام أو الصور الخليعة، أم عن طريق التخيّل من خلال قراءة الروايات والقصص الهابطة. ففي كلتا الحالتين يستجيب المخّ بإفراز بعض الهرمونات التي تسبّب إلحاحًا جنسيًّا.

٢ - إستخدام بعض الأدوية والعقاقير التي تثير الرغبة الجنسيّة.

٣ - زيادة عدد ساعات النوم عن المعدّل الطبيعيّ لمدّة طويلة أو قلّتها.

٤ - الإفراط الشديد في الطعام، وأحيانًا الصيام الطويل.

٥ - التوتّر الناتج من سرعة إيقاع الحياة خاصّة في المدن المزدحمة بالسكّان.

٦ - الإحساس بالوحدة والشعور بعدم حبّ الجماعة أو الأسرة.

٧ - الأزمات النفسيّة مثل الرسوب في الامتحان أو الفشل في الحبّ.

٨ - عُقد في الطفولة.

٩ - التعب والإرهاق الشديدان.

تلك هي بعض الأسباب التي يجب أن يتنبّه إليها الشباب حتّى يستطيع الإقلاع عن ممارسة العادة السرّيّة. لكن أودّ أن أركّز في هذا الصدد على نقطة في غاية الأهمّيّة، وهي أنّ الشباب إذا لاحظ أنّ أحد

coptic-books.blogspot.com

هذه الأسباب أو بعضها يؤثّر فيه بصورة ملحوظة ممّا يدفعه إلى الإثارة الجنسيّة وبالتالي ممارسة العادة السرّيّة، فعليه أن يستفيد من هذه الخبرة ويحاول أن يتجنّب المواقف نفسها حتّى لا يسقط مرّة أخرى.

نقطة أخرى جديرة بالذكر، وهي أنّ تأثير هذه المؤثّرات يختلف من شخص لآخر. فالمؤثّر الذي يؤثّر فيك قد لا يكون له الدرجة نفسها من التأثير في زميلك، فبعض المناظر تؤثّر في المراهق بدرجة أكبر من تأثيرها في البالغ. أعود هنا وأكرّر أنّ الحلال والحرام مرتبطان بمواقف معيّنة تختلف من شخص لشخص. فالحرام هو الشيء الذي يجعلك تفقد سيطرتك على ذاتك، في حين أنّ الشيء نفسه قد لا يكون له تأثير في الآخر. بل إنّ الأمر يتعدّى الاختلافات بين الأشخاص. فأنت اليوم في حالة نفسيّة لا تسمح لك بمشاهدة هذا المنظر، في حين أنّك بالأمس كنت تراه من دون أن تتأثّر، وما كان بالأمس حلالًا أصبح اليوم حرامًا، وهكذا. لك ضمير تستطيع به الحكم على هذه المواقف، وكلّ ما يبني الإنسان روحيًّا هو حلال، وكلّ ما يهدمه هو حرام.

ونتساءل: **هل يمكن أن تكون بعض المناظر الجنسيّة بنّاءة للإنسان؟** أقول نعم، تمامًا كما يمكن أن تكون هدّامة، وهذا يتوقّف على حالتك وظروفك. فنظرة الإنسان إلى الجنس الآخر قد تكون بنّاءة حين تكون حركة انطلاقيّة تخرجه من ذاته، وتجعله منطلقًا ومبتسمًا. وقد تكون النظرة نفسها مصدر شهوة وأنانيّة. وكلّ هذا مرتبط بنوعيّة نظرتك: «**فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّرًا، وإن كانت عينك شرّيرة فجسدك كلّه يكون مظلمًا**» (متّى ٥: ٢٢ - ٢٣). والمفروض أن تكون نظرتك نظرة حياة وانطلاق، والمسيح حين يقول: «**كلّ مَن نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى في قلبه**» (متّى ٥:

٢٨)، لم يقصد نظرة الإنسان إلى امرأة فقط، ولا يريد منك أن تفقأ عينيك أو أن تذهب إلى مغارة في الجبل. المسيح يتحدّث عن النظرة الشهوانيّة الانطوائيّة الأنانيّة، وهنا موطن الخطأ. لكن هناك على الجانب الآخر نظرة طاهرة بنّاءة تكون بمثابة انطلاق للفرد.

• قضيّة العادة السرّيّة ليست دينيّة بحتة

إنّ قضيّة العادة السرّيّة لها أبعاد كثيرة وليست مقتصرة على البعد الدينيّ، إذ لها بعد إنسانيّ واجتماعيّ، وآخر طبّيّ بيولوجيّ. وعليه، حين يصارحني أحد الشباب بأنّه يمارس العادة السرّيّة، لا أصدمه بأنّه مجرم لكن أنصحه بأن يعالج نفسه، تمامًا كما يعالج عسر الهضم أو الصداع. فما دام الشاب يحاول التخلّص من هذه العادة لا أعتبر الموضوع خطيرًا جدًّا، حتّى وإن سقط مرارًا وتكرارًا. ما دام يحاول مرارًا بكلّ جهده أن يتخلّص منها فلا خوف عليه. بل إنّها في الكثير من الأحيان تكون في نظره وسيلة للتقرّب إلى الله والإحساس برحمته وبالضعف البشريّ. فعلى المرشد الروحيّ أن يطمئن الشاب ويشجّعه: أنت لا تريد السقوط وهذه اللحظة التي سقطتَ فيها لا تعبّر عن إرادتك الكاملة. خذ الموضوع ببساطة، وحاول تخطّي الأزمة. وفي رأيي هذا هو الموقف المتّزن الذي لا يحكم على العادة السرّيّة حكمًا نهائيًّا صارمًا، وفي الوقت نفسه لا يشجّع على ممارستها.

coptic-books.blogspot.com

الخاتمة

الجنس مقدّس!! إنّه مصدر الحياة، والحياة مقدّسة، وهي أثمن ما يمتلكه الإنسان، فلماذا لا يكون نبع الحياة أكثر احترامًا وتبجيلًا؟ من خلال الجنس تنساب الحياة من أيدي الله إلى الطفل في مهده. من خلال الجنس تنساب الحياة من أيدي الله في السماء، لتعود إلى قلب الله في السماء. من خلال الجنس انسابت الحياة من أيدي الله إليك. ولم يدخل أيّ إنسان في الحياة إلّا من خلال الجنس.

أعلن ملاك الربّ أنّ المسيح هو ثمرة رحم، وبولادته تقدّس الجنس. قال المسيح: «**طوبى لأنقياء القلب**»، وبمعنى آخر «**فليكن الجنس مقدّسًا**». لقد غلف المسيح الجنس في حياة المتزوّجين بثوب سرّ الزواج المقدّس، وفعل هذا لأنّ الغرض من الجنس واستخدامه السليم هما على درجة كبيرة من البهاء والجلال.

فالجنس هو عمليّة سامية، وعن طريقه يشارك الفرد في قوّة الله: «**أنتم آلهة!**» يقول المزمور (٨٢: ٦)، وعن طريقه يصبح الرجال والنساء مثل الله قادرين على الخلق، إنّهم يخلقون «ثمارًا» تعيش إلى الأبد. الجنس هو «الفرصة» التي يستخدمها الله لصنع الخلود، وبهذا يكون غرض الجنس ونهايته في السماء.

الجنس هو أسمى قدرة طبيعيّة عند الرجل والمرأة على السواء. فالطفل لا يتمّ خلقه بواسطة العين أو الفم أو اليد أو القلب. لا يستطيع أيّ عضو بشريّ أن يساهم في عمليّة الخلق باستثناء الجنس. لذا فالأعضاء التناسليّة هي الأكثر قداسة من بين أعضاء الجسم، بحيث تقاس قداستها من خلال وظيفتها.

الجنس مقدّس، وهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحبّ، و«**الله محبّة**» (١ يو ٤: ٨). ويجب أن يعكس الجنس صورة الصفاء الإلهيّ، وأن يُحترم لأنّه يعكس ضوء السماء وحياتها. نطلق على سوء استخدام الجنس اللفظ القبيح «شهوة». والشهوة هي من الشيطان، إنّها ظلمة وجحيم. الحبّ يطهّر، أمّا الشهوة فهي تهلك شخصين يمارسانها معًا، ويهلك كلّ منهما الآخر، ثمّ يدّعيان أنّ هذه الطريقة هي التي يثبتان بها حبّهما!!

الجنس مقدّس، وهو ليس مجال مزاح سخيف، أو شيئًا مضحكًا. يعتبر نوعٌ من اختلال العقل أن نسخر من أعضاء الجسم التي بها أعطينا الحياة، وبها أعطينا نصيبًا أبديًّا.

الجنس مقدّس، ويجب أن نحافظ عليه حفاظنا على جوهرة نفيسة وأن نكسوه بثياب الحشمة. فالمحافظة على نقاء الجنس تستحقّ أيّ تضحية، والمحافظة على قدسيّته تستحقّ الاستشهاد، لأنّه لم يجعل للتفاخر، وهو ليس أداة إغراء أو ألعوبة. لم يُجعل الجنس لنسيء استخدامه، ولا لنتمرّغ فيه، ولم يجعل لكي يباع بقبلة مجنونة أو بكأس من الخمر. لكن الجنس المنضبط يخلق رجلًا، والجنس غير الملطّخ يخلق امرأة. لأنّ الجنس مقدّسٌ، احفظه مقدّسًا، وساعد الآخرين على أن يطهّروه.

coptic-books.blogspot.com

الباب الثاني

بيولوجيا الجنس

في هذا الباب سنتعرّض ببعض الإيجاز لدراسة الجهاز التناسليّ عند كلٍّ من الرجل والمرأة، وذلك لكونه الموضوع المشترك تقريبًا في كلّ الكتب التي تناقش الجنس. وسنحاول التركيز على بعض الجوانب آخذين في الاعتبار جانب الأعضاء التناسليَّة التشريحيّ، ثمّ جانبها الفسيولوجيّ وكيف تؤدّي وظائفها الطبيعيّة. يبقى أن ننبّه إلى أمر، وهو أنّنا في معرض هذه الدراسة الموجزة، علينا أن نسمّي الأشياء بأسمائها العلميّة من دون أيّ التواء أو حرج.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

الجهاز التناسلي عند الرجل

• التركيب التشريحيّ

وهو يتكوّن من خصيتين، يخرج من كلّ واحدة قناة طويلة تسمّى القناة الناقلة، تمرّ عبرها الحيوانات المنويّة التي تكوّنت بالخصية. ثمّ تصبّ كلّ قناة في الحويصلة المنويّة، وهي عبارة عن كيس صغير يقع خلف المثانة البوليّة حيث يتمّ تخزين الحيوانات المنويّة لحين الحاجة، كما يتمّ أيضًا إفراز الجزء الأكبر من السائل المنويّ فيها، وهو ضروريّ لتغذية الحيوانات المنويّة. ويخرج من كلّ حويصلة منويّة قناة قاذفة تمرّ عبر البروستاتا لتصبّ في قناة مجرى البول بالقضيب الذي هو العضو الذكريّ الخارجيّ. والخصيتان هما غدتا الذكر الأكثر أهمّيّة، فهما بمثابة مصنع لإنتاج الحيوانات المنويّة بالملايين، كما أنّهما تفرزان مادّة كيميائيّة (هرمون التستستيرون) تنتقل عن طريق الدم وتكسب الرجل مظاهر ذكورته الخارجيّة كلّها.

• فسيولوجيا الجهاز التناسليّ عند الرجل

حين يتعرّض الرجل لإثارة جنسيّة جسديّة أو نفسيّة، ينتصب قضيبه، وحين تزداد الإثارة تنقبض الحويصلة المنويّة لتفرغ محتوياتها

coptic-books.blogspot.com

من السائل المنويّ والحيوانات المنويّة. وتسهّل البروستاتا مرور هذا السائل إلى الخارج عن طريق قناة مجرى البول، في حين أنّها تمنع مرور البول في الاتّجاه نفسه، فينتج من ذلك خروج السائل المنويّ على دفعات تُعْرَف بالقذف.

ويحتوي السائل المنويّ على أعداد كبيرة من الحيوانات المنويّة، كلّ واحد منها مكوّن من رأس وذيل يساعده على الحركة للوصول إلى البويضة التي تحتاج إلى حيوان منويّ واحد لتلقيحها. وبعد إتمام القذف يرتخي القضيب، ويعود إلى وضعه الطبيعيّ. ومن المعروف أنّ تكوين السائل المنويّ يبدأ عند الفتى في سنّ البلوغ (١٣-١٤) سنة. وقد يحدث أحيانًا انتصاب القضيب وتفريغ السائل المنويّ أثناء النوم وهو ما يُعرف بالاحتلام تحت تأثير بعض الأحلام المثيرة، هذا بخلاف الاستمناء (العادة السرّيّة) الذي يحدث بتأثيرات إراديّة واعية، وقد تعرّضنا له في الباب الأوّل.

• العقم والعجز لدى الرجل

العقم هو عدم مقدرة الرجل على الإنجاب، وقد يكون ذلك بسبب نقص في عدد الحيوانات المنويّة لضمور في الخصيتين، أو بسبب انسداد في الأوعية التي تمرّ فيها الحيوانات المنويّة. وهذا لا يؤثّر في مقدرة الرجل على إتمام الاتّصال الجنسيّ ونزول السائل المنويّ خاليًا من الحيوانات المنويّة أو حاويًا عددٍ منها. وفي بعض حالاتِ العقم التي يكون سببها انسداد في الأوعية الناقلة يمكن علاجها بعمليّة جراحيّة. أمّا العجز فهو عدم قدرة الرجل على إتمام الاتّصال الجنسيّ بسبب مرض عضويّ أو نفسيّ.

• الإخصاء

هو عمليّة استئصال الخصيتين من الرجل، وبهذا يُحرم تمامًا الطاقةَ الجنسيّة، ويصبح بدون أيّ رغبة أو ميل جنسيّ نتيجة لغياب هرمون التستستيرون. وكانت هذه العمليّة تجرى قديمًا للرجال الذين كانوا يحرسون نساء الأمراء والملوك، ويقومون على خدمتهنّ، مثل خَصيّ ملكة أثيوبيا الذي ورد ذكره في الكتاب المقدّس (أع ٨: ٢٧). ونتيجة لهذه العمليّة، يفقد الرجل القدرة على الإنجاب، وتُمحى فيه صفات الذكورة، فيرقّ صوته، ويتغيّر طبعه ويميل إلى صفات الأنوثة.

• ختان الأولاد

وهي عادة منتشرة في الشعوب اليهوديّة والإسلاميّة، وعند الإنجليز وبعض الشعوب البدائيّة. وتجري لأسباب صحّيّة أو عقائديّة، وتتمّ بقطع جزء من الجلد البارز عند طرف القضيب (القلف)، الذي تتجمّع الإفرازات والقذارة تحته. ولم يتّفق العلماء حتّى الآن على معناها الدينيّ والاجتماعيّ، لكن من المعروف أنّ الله أراد أن يتّخذها إشارةً لتكريس الشعب اليهوديّ في العهد القديم. وكون هذه العلامة في العضو التناسليّ يدلّ على عمقها وارتباطها الوثيق بالحياة: **«فتختنون القلف من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم»** (تك ١٧: ١١). لكن يجدر بنا أن نذكر أنّ هذه العادة كانت منتشرة في شعوب الشرق قبل أن تُتَّخذ علامةً خاصّة للشعب اليهوديّ.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

الجهاز التناسلي عند المرأة

• التركيب التشريحيّ

وهو عبارة عن مبيضين يقعان في أسفل البطن يمثّلان الغدد الأنثويّة، في مقابل الخصيتين لدى الرجل وبالحجم نفسه. تفرز هذه الغدد البويضات شهريًّا بالتناوب. وفي أعلى المبيضين هناك الأبواق المتّصلة بقناة فالوب والتي تسمح بمرور البويضة إلى الرحم. وهو عبارة عن كيس صغير في حجم ثمرة الكمثرى، لكنّه قابل للاتّساع خصوصًا في الشهور الأخيرة من الحَمْل. وأخيرًا يتّصل الرحم في أسفله بالمهبل وهو القناة التي تستقبل عضو الذكر، وعن طريقه تتمّ ولادة الطفل.

• فسيولوجيا الجهاز التناسليّ عند المرأة

يحتوي كلّ مبيض على حوالي ٣٠٠ ألف بويضة غير ناضجة. في سنّ البلوغ، وتحت تأثير الهرمونات التي تفرزها الغدّة النخاميّة في أسفل المخّ، يبدأ المبيضان بالعمل (من ١١ إلى ١٣ سنة)، فتنضج بويضة كلّ شهر، وتمرّ إلى قناة فالوب. فإن لم يتمّ تلقيحها تموت وتنزل مع أغشية الرحم المبطنة مصحوبة بكمّيّة من الدم عن طريق

المهبل؛ عمليّة نطلق عليها تسمية الحيض (أي العادة الشهريّة). أمّا إذا تمّ إخصاب البويضة، فإنّ عمليّة التبويض تتوقّف بسبب الحَمْل، وتبدأ الخليّة الملقّحة في الانقسام لتكوين الجنين الذي أصبح مكوّنًا من نصف خليّة من الأمّ، ونصف خليّة من الأب. وتلتصق الخليّة الملقّحة بجدار الرحم حيث تنمو، وبنموّ الجنين يصبح من الضروريّ أن يتغذّى من الأمّ، ويكون ذلك بواسطة المشيمة والحبل السُرّيّ.

وعند تمام فترة الحَمْل، ينقبض الرحم ليطرد الجنين عن طريق اتّساع عنق الرحم ثمّ المهبل إلى الخارج. وتبدأ في الحال عمليّة الرضاعة، وهي معجزة من معجزات الله، وتتمّ عن طريق اتّزان دقيق في الهرمونات.

وفي سنّ ٤٥ سنة أو أكثر قليلًا يبطل إفراز البويضات، ويتوقّف الحيض، وهو ما يعرف بسنّ اليأس. وينتج من ذلك بعض التغيّرات الفسيولوجيّة والنفسيّة في المرأة، والتي قد تحتاج إلى بعض العلاج.

• العقم والعجز لدى المرأة

العقم هو عدم قدرة المرأة على الحَمْل والإنجاب، ويرجع هذا إلى أسباب عديدة: منها عدم إفراز البويضات نتيجة لاختلال في النظام الهرمونيّ، أو انسداد في أنابيب فالوب، أو نتيجة عدم نموّ الرحم نموًّا كافيًا، أو لعدم وجود المبيضين... إلخ. أمّا العجز فهو عدم القدرة على إتمام الاتّصال الجنسيّ الكامل، وغالبًا ما يكون نتيجة لعوامل نفسيّة من السهل علاجها.

• تأثير الأمومة في طباع المرأة

من الملاحظ أنّ الأمومة تبعد المرأة بعض الشيء عن زوجها، إذ

coptic-books.blogspot.com

تجد في الطفل بديلًا عن الزوج، خصوصًا إذا كان هذا الطفل ذكرًا. فالأمومة تجعل الأمّ غير ميّالة إلى الاتّصال الجنسيّ بزوجها في كثير من الأحيان، بحيث تكتفي بطفلها الذي يستحوذ على الكثير من اهتمامها وعنايتها. وقد يحدث التغيّر في طباع الأب الذي كان بوصفه زوجًا يهتمّ كثيرًا بزوجته، فيشعر بمجرّد وصول الضيف الجديد بنزعة جديدة، نزعة الأبوّة، ممّا يغيّر بعض الشيء من نوعيّة علاقته بزوجته، وهي نقطة مهمَّة يجب أن نعيها جيّدًا.

ومن خلال الأمومة أيضًا يحدث بعض التأثير في أنوثة المرأة، بحيث تتّخذ صورة جديدة، فتمتزج أنوثتها بمسحة من الرجولة وتحمّل المسؤوليّة التي تتميّز بنوع من القساوة للمحافظة على الوليد. حين تصبح المرأة أمًّا تفقد بعض الرقّة وتتحلّى بالصلابة ممّا يمكّنها من أن تكون حريصة على حياة طفلها، تمامًا كالقطّة التي تكون لطيفة وديعة، ولكنّها حين تلد فالويل لمَن يقترب من أولادها. فالأمومة تُغيّر من طباع المرأة وتمنحها نوعًا من الاستقرار والثقة بالنفس والإحساس بالمسؤوليّة.

لكن ثمّة بعض الحالات النادرة حيث نجد أنّ الأب يشعر بشيء من الغيرة من طفله حين تنصرف الزوجة للعناية بالمولود وتغفل واجباتها الزوجيّة. يُطلب إلى الأب في هذه الحالة أن يتأقلم بحسب وضعه الجديد، وأن يقبل هذا الضيف لا كدخيل على الأسرة، لكن بكلّ ترحيب. على الوالدين أن يستعدّا داخليًّا بمجرّد حدوث الحَمْل لقبول هذا الضيف ليس بتحضير الملابس وحسب، وهذا مهمّ، بل بالاستعداد الداخليّ الوجدانيّ لقبوله والترحيب به. ومن ناحية أخرى على الأمّ أن تولي زوجها الاهتمام الواجب، ولا تغفل أنّها زوجة وأمّ في الوقت نفسه، والأمومة لا تلغي دورها الزوجيّ.

• ختان البنات

هناك عضو من الأعضاء الجنسيّة الخارجيّة عند المرأة يُسمّى البظر، وهو عضو صغير يقابل القضيب عند الرجل، وله حساسيّة كبيرة، وهو مصدر أساسيّ للشعور باللذّة الجنسيّة لديها التي تتركّز في البظر والمهبل.

وختان البنات هو بتر هذا العضو في سنّ ٨-١٢ سنة، وهي عادة منتشرة في بلدان أفريقيا والشرق. ويمكن أن نصف هذه العمليّة بأنّها وحشيّة، إذ عن طريقها تُحرم المرأة حقًّا طبيعيًّا لها، نتيجة لتقاليد وعادات وخرافات. وعلينا محاربة هذه العادة بقدر الإمكان، لأنّها تحرم المرأة حقّها، ولأنّها تقليد لا أساس له من الناحية العلميّة. ورغم أنّها ممنوعة في مصر قانونيًّا وشرعيًّا، إلّا أنّها ما زالت تُمارس ويا للأسف الشديد. ويرجع السبب في انتشارها إلى الخوف من انحراف البنت قبل الزواج، وإلى رغبة الرجل في السيطرة على زوجته سيطرة كاملة فيجعلها آلة بين يديه وألعوبة لشهوته، يستخدمها متى يشاء، ولا يهمّه كثيرًا أن تشعر بشيء أو تريد آخر.

أودّ في هذا المجال أن أربط عادة ختان البنات بالأمومة، فالمرأة تجد في الأمومة تعويضًا عمّا فقدته من إحساس باللذّة في الاتّصال الجنسيّ بزوجها. فعن طريق إرضاع الطفل واحتضانه تشعر الأمّ بشيء من الراحة والاسترخاء اللذين تفتقدهما في الجماع، عندما لا تشعر بأيّ لذّة كنتيجة طبيعيّة للختان. وقد يكون هذا من أحد أسباب طول فترة الرضاعة في مجتمعاتنا، التي تصل أحيانًا إلى ثلاث سنوات. فمن المعروف أنّ الثديين هما من أحد مراكز الإحساس الجنسيّ عند المرأة، ويزداد هذا الشعور عندما يكون الوليد ذكرًا، فتشعر الأمّ بنوع من التعويض عن علاقتها بزوجها المنعدمة من الإحساس.

coptic-books.blogspot.com

تطبيقات

• العقم والعجز وعلاقتهما بصلاحيّة الزواج

ذكرنا في ما سبق تعريف كلّ من العقم والعجز والفرق بينهما، ثمّ سردنا بإيجاز بعض الأسباب التي تؤدّي إلى العقم أو العجز عند كلّ من الرجل والمرأة. والآن نتساءل عن علاقة كلّ من الحالتين بصلاحيّة الزواج وبطلانه.

لا يكوّن العقم سواء أعند الرجل كان أم عند المرأة مشكلة في ما يخصّ صلاحيّة الزواج. فإذا كان أحد الزوجين أو كلاهما عقيمًا يظلّ الزواج صالحًا، ولا تعتبر الكنيسة عقم أحد الطرفين سببًا للانفصال أو لبطلان الزواج. من ناحية أخرى، يعتبر العجز الجنسيّ إذا ثبت أنّه لم يستجب للعلاج سببًا لبطلان الزواج. ولكن لمّا كان سبب العجز عند الرجل أو المرأة في أغلب حالاته نفسيًّا، برز دور الطرف الآخر في تهيئة الجوّ لتلافي الأسباب النفسيّة لدى الطرف المصاب بالعجز.

• كيف يتحدّد جنس الجنين؟

سؤال يهمّ الوالدين كثيرًا: **هل الجنين ذكرٌ أم أنثى؟** لذا نودّ أن نلقي بعض الضوء على هذه النقطة. فمن المعروف أنّ خليّة أيّ إنسان تحتوي على ٤٦ كروموزومًا، والكروموزوم هو جزء صغير جدًّا يحدّد صفات الإنسان الخاصّة به من ناحية الطول واللون والذكاء والجنس... إلخ. من بين هذه الكروموزومات يوجد ٤٤ كروموزومًا لتحديد صفات الإنسان الجسديّة، وهناك كروموزومان لتحديد جنس الإنسان (ذكر أم أنثى). وبناءً على ما تقدّم يوجد بكلّ خليّة في جسم الذكر ٤٤ كروموزومًا + كروموزومان يُرمز إليهما

بالحرفين (X Y)، ويكون في الحيوان المنويّ ٢٢ كروموزومًا + (X) أو ٢٢ كروموزومًا + (Y).

أمّا في الأنثى فهناك ٤٤ كروموزومًا + كروموزومان يرمز إليهما بالحرفين (X X)، ويكون في كلّ بويضة ٢٢ كروموزومًا + (X). فإذا تمّ تلقيح البويضة (٢٢ كروموزومًا + X) بحيوان منويّ فيه (٢٢ كروموزومًا + Y) يكون الجنين (٤٤ كروموزومًا + X Y) ذكرًا. أمّا إذا لقّح البويضة حيوان منويّ فيه (٢٢ كروموزومًا + X) يكون الجنين (٤٤ كروموزومًا + X X) أنثى. ومن هنا نرى أنّ الذي يحدّد نوع الجنين - حيوان منويّ بالطبع بإرادة الله - هو الأب.

أتذكّر في هذا الصدد بحثًا طريفًا نُشر في إحدى المجلّات عن تأثير نوع الأكل في تحديد نوع الجنين، جاء فيه أنّ مَن يريد إنجاب أنثى عليه ألّا يكثر من شرب القهوة أو الشاي أو الكاكاو أو الكوكاكولا، بل يشرب اللبن والعصير والمياه المعدنيّة. ولا يكثر من أكل اللحوم المعلّبة، بل يأكل لحمة «بتلو» وفراخ. ومن ناحية أخرى، على مَن يريد إنجاب طفل ذكر أن يشرب القهوة والكاكاو ولا يشرب اللبن، ولا يأكل اللحمة والبيض بل يأكل السمك. وعليه بالإكثار من أكل البطاطس والخرشوف والبقدونس والفاصوليا وكمّيّات كبيرة من الفواكه. وبالطبع هذا لا يعتمد على أساس علميّ دقيق، بل هو تسجيل بعض المشاهدات التي فيها من الطرافة أكثر من الواقعيّة.

coptic-books.blogspot.com

الباب الثالث

مظاهر الاختلاف والتكامل بين الجنسين

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

فلسفة الاختلاف بين الجنسين

قبل أن نعرِض بعض مظاهر الاختلاف بين الرجل والمرأة نتوقّف قليلًا على فلسفة هذا الاختلاف. فتباين صفات الجنسين الأساسيّة يبرز مميّزات كلّ منهما وخصائصها، وهو لا يعني أبدًا امتياز جنس عن الآخر بقدر ما يعني تميّز كلّ منهما عن الآخر. ومن هنا وجب علينا أن نعي تمامًا المقصود من تعبير المساواة بين الجنسين، فحين نقول إنّ المرأة تساوي الرجل لا يعني هذا أن تكون متشابهة به في صفاته وخصاله، فهي تختلف تمامًا في صفاتها، لكنّها في الوقت نفسه تساويه في القيمة الإنسانيّة وفي الحقوق. إذًا الاختلاف لا يعارض أبدًا المساواة.

هل من الممكن أن نطرح السؤال التالي: أيّهما أحسن، الورد أم الفل؟ الورد هو الورد، والفل هو الفل، ولا يمكن أن يفضَّل أحدهما على الآخر، لأنّ لكلّ منهما رائحته وجماله، مع أنّهما متساويان في القيمة كونهما من جنس الزهور نفسه. كذلك لا أفضليّة بين الرجل والمرأة. لكن في بعض البلاد غير المتقدّمة تكون الأفضليّة مبنيّة على القوّة العضليّة (قانون الغاب)، علمًا بأنّ الإنسان يتميّز بعقله لا بعضلاته، وإلّا لكان الثور أفضل منه.

coptic-books.blogspot.com

• الاستقطاب الجنسيّ

إن تأمّلنا في تطوّر الكائنات الحيّة نجد أنّ وجود الاختلافات بين الذكر والأنثى (الاستقطاب الجنسيّ) يظهر بوضوح كلّما زادت مرحلة الارتقاء والتطوّر. فالكائنات الأوّليّة وحيدة الخليّة مثل الأميبا، لا تعرف ذكورًا أو إناثًا، إذ إنّها عبارة عن خليّة واحدة تقوم بكلّ وظائف الحياة. ثمّ نجد في عالم النبات الكثير من النباتات التي تتكاثر عن طريق التلقيح الذاتيّ، بحيث يكون في كلّ زهرة أعضاء التذكير والتأنيث معًا. فإذا ما ارتقينا سلّم التطوّر حتّى نهايته نجد أنّ الإنسان في أعلى مراتب الكائنات الحيّة، إذ توجد اختلافات واضحة بين الرجل والمرأة على المستوى التشريحيّ والفسيولوجيّ والنفسيّ... إلخ.

من المعروف أنّ الطفل لا يشعر قبل سنّ البلوغ بأيّ انجذاب نحو الجنس الآخر، إذ لا يكون بين الفتى والفتاة سوى مشاعر الصداقة البريئة. ويرجع هذا إلى فترة الركود الجنسيّ ما بين سنّ الخامسة والثانية عشرة، التي تحدّثنا عنها في الفصل الأوّل من الباب الأوّل. في هذه الفترة لا اختلاف واضحًا بين الجنسين، بل نلاحظ تشابهًا كبيرًا في الشكل والطباع والاهتمامات، بل وفي طبيعة الهرمونات أيضًا. فيكون الصوت متشابهًا إلى حدّ ما، لدرجة أنّه لو لبس صبيٌّ ملابسَ فتاة لما أمكن تمييزه.

إنّ التشابه يترتّب عليه انعدام شعور الانجذاب المتبادل بين الجنسين في هذه المرحلة من العمر، إذ يختلف مدلول كلمة حبّ عن مدلولها لدى البالغين. فإن سألت فتاة: هل تحبّين هذا الفتى؟ من الممكن بكلّ بساطة أن يكون جوابها نعم. لكن بعد سنّ البلوغ لو سألتها السؤال نفسه سرعان ما تحمرّ وجنتاها من الخجل، لأنّ

الاختلافات قد ظهرت، وأصبح لكلمة «حبّ» معنى آخر في حياتها.

لكن، هل هذه الاختلافات **مكتسبة أم أصيلة في تكوين الإنسان؟** تحدّثت سيمون دي بوڤوار في كتابها **الجنس الآخر** فقالت إنّ المرأة التي نعرفها الآن هي نتاج ظروف تاريخيّة وحضاريّة مكتسبة. والملاحظ أنّها متأثّرة برأي الفيلسوف الوجوديّ سارتر الذي يرفض الاعتراف بأنّ الإنسان وليد نمط معيّن عليه أن يتقيّد به. ففي رأيه أنّ الإنسان هو خالق ذاته، بحيث يستطيع أن يفرض على نفسه نظامًا أو أسلوبًا معيّنًا يلتزم به.

هذا الكلام سليم إلى حدّ ما. لأنّ الإنسان مرن، وهو قادر على اتّخاذ مواقف متغيّرة بحسب الظروف وطبقًا لإرادته، وهو أقدر المخلوقات على التكيّف. لكن هل هذه المقدرة تستطيع أن تلغي الاختلافات الجوهريّة بين الرجل والمرأة والتي سنتعرّض لأهمّها في ما بعد؟

• «ويكونان كلاهما جسدًا واحدًا»

نستطيع القول إنّ كلًّا من الرجل والمرأة يمثّل نصف إنسان، بمعنى أنّ الرجل يحقّق في ذاته جزءًا معيّنًا من البشريّة، والمرأة كذلك. وحتّى تكتمل البشريّة يجب أن يجتمع هذان النصفان.

تروي قصّة رمزيّة في الكتب الهنديّة التي تسمّى **الأوپانيشاد**، وهي تكوّن في مجموعها كتابهم المقدّس، رواية عن خلق الرجل والمرأة على شكل كرة، وجدها الإله وحيدة، فاستلّ سيفه وشطرها شطرين، وجعل منها الرجل والمرأة. ومنذ ذلك اليوم يحاول كلا الشطرين أن يلتقي الواحد بالآخر، حتّى يحقّقا الوحدة التي خلقا بها. ولقد اتّخذ الفيلسوف أفلاطون هذه الصورة وعبّر عنها بطريقة مشابهة، فصوّر

coptic-books.blogspot.com

الإنسانيّة بشكل كتلة واحدة انقسمت إلى قسمين، وكلّ قسم في حالة انجذاب مستمرّ نحو الآخر حتّى يلتقيا.

ومَن يدرس قصّة الخلق كما وردت في سفر التكوين، يجد الفكرة نفسها ولكن بتعبير آخر. فقد خلق الله الإنسان ووضعه في جنّة فيها كلّ الخيرات، لكنّ الإنسان وجد ذاته وحيدًا. ففكّر الله أن يخلق له معينًا نظيره: **«وقال الربّ الإله لا يحسن أن يكون الإنسان وحده، فأصنع له عونًا إزائه»** (تك ٢: ١٨). وسلّط الله سباتًا عميقًا على آدم وأخذ ضلعًا منه وخلق حوّاء، ونظر آدم إلى هذا المخلوق الجديد **«فقال آدم ها هذه المرأة عظم من عظامي، ولحم من لحمي، هذه تسمّى امرأة لأنّها من امرئ أخذت، ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصيران جسدًا واحدًا»** (تك ٢: ٢٣ - ٢٤). فما معنى هذا الكلام؟ بالطبع إن أحصينا عدد أضلاع الرجل نجده كاملًا ومساويًا عدد أضلاع المرأة، لكن نتبيّن من وراء ذلك حقيقة لها مغزاها. فحين يأخذ الله جزءًا من جسم الرجل، من أقرب أعضاء الجسم إلى القلب، هذا يعني أنّ المرأة جزء أساسيّ من الرجل، وهو يشتاق إليها حتّى يعيدها إلى مكانها، يشتاق إلى الاتّحاد بها ليكونا إنسانًا كاملًا وجسدًا واحدًا. فالرجل بدون المرأة هو إنسان غير مكتمل، والمرأة بدون الرجل كذلك.

هذا هو المعنى الذي نفهمه من التعبير الكتابيّ من دون أن نتقيّد بالحرف. وممّا يلفت نظرنا اشتقاق كلمة امرأة من امرئ بمعنى إنسان، وهي مقابلة لا نستطيع توضيحها في اللغات الأجنبيّة، بعكس اللغة العربيّة، لتشابهها باللغة العبريّة التي كُتب بها النصّ الإلهيّ. وهذا يدلّ على الأصل الواحد بين الرجل والمرأة.

نعلم أنّ كلمة جنس يقابلها في اللغة الإنجليزيّة كلمة Sex، التي

اتّخذت من اللغة اللاتينيّة في الفعل Secare بمعنى قَسَمَ، ومنها أخذت كلمة Section بمعنى قِسْم. إذ إنّ كلمة Sex معناها قسم أو جزء، ومن هنا نجد أنّ كلمة جنس أو Sex في حدّ ذاتها تشير إلى شيء مشطور أو منقسم.

كلّ هذا يدلّ على أنّ هناك انقسامًا والتقاءً في صميم الجنس، التقاء في سبيل اتّحاد جزئين تمّ انقسامهما في وقت سابق. وهذا تعبير رمزيّ يدلّ على جوهر حقيقة تبدو كأنّها قد حدثت بالفعل، إذ يمكنني أن أقول أنت عندك جنس، لكن الأصحّ أن أقول أنت جنس، الرجل جنس، والمرأة جنس، بمعنى أنّ كلًّا منهما جزء من الإنسانيّة.

• الانجذاب بين الجنسين أساسه الاختلاف بينهما

أساس الحبّ هو تبادل بين شخصين مختلفين الواحد عن الآخر ومكمّلين بعضهما بعضًا في الوقت نفسه. وهذا الاختلاف هو شرط أساسيّ للتكامل بينهما، لأنّه إن لم يكن هناك اختلاف فلا مجال للأخذ والعطاء. أنا أعطي ممّا لديَّ وأخذ ما ينقصني. ولو خلق الرجل والمرأة متشابهين تمامًا، لما حدث بينهما هذا التيّار الديناميكيّ الذي نسمّيه حبًّا. فالإنسان لا ينجذب لحقيقة مشابهة له، بل على العكس تمامًا نجده مشدودًا لعنصر يفتقده ويجده في الآخر.

هذا هو سرّ الانجذاب بين الرجل والمرأة: الرجل يريد أن يكتمل، والمرأة تريد أن تعود إلى أصلها. لذلك حين يقول الكتاب المقدّس: **«يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته، ويكونان كلاهما جسدًا واحدًا»** (تك ٢: ٢٤)، يشير إلى أنّ في الزواج يعود الإنسان إلى أصله، ليكتمل مجدّدًا. ونحن غالبًا ما نستخدم تعبير النصف الآخر وهو تعبير رائج في اللغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة، إذ كثيرًا ما تعبّر

coptic-books.blogspot.com

اللغات بإيجاز بليغ عن حقائق جوهريّة.

والخلاصة ممّا تقدّم أنّ نزعة الحبّ في الإنسان هي نزعة أساسيّة جوهريّة لتكملة كيانه وتحقيق ذاته. فالحبّ ليس من كماليّات الحياة، فإن لم يكن فيك حبّ، ينقصك شيء جوهريّ. هذه النزعة نحو الآخر هي أساس لتحقيق ذاتك، والحبّ في جوهره نزعة نحو الآخر.

الفصل الثاني

بعض مظاهر الاختلاف بين الجنسين

أوّلًا: من الناحية الفسيولوجيّة

يحتوي جسم كلّ إنسان على هرمون ذكريّ وآخر أنثويّ، وفي مرحلة البلوغ يزداد إفراز أحد الهرمونين عن الآخر، وتبعًا لذلك ينتمي الإنسان إلى أحد الجنسين. فالهرمون الأنثويّ (الأستروجين) يجعل الصوت رقيقًا، وهو مسؤول عن كلّ الصفات الأنثويّة وعلى النقيض من ذلك نجد الهرمون الذكريّ (التستستيرون) مسؤولًا عن كلّ الصفات الذكريّة في الرجل من قوّة العضلات وخشونة الصوت وظهور الشارب واللحية... إلخ.

ثانيًا: من الناحية التشريحيّة

١ - نجد أنّ الرجل أقوى عضليًّا من المرأة، وحوضه أضيق من حوض المرأة، لكنّه يتمتّع بأطراف طويلة ومفاصل صلبة. متوسّط وزن مخّه (١٣٦٠ غرامًا) أكثر قليلًا من متوسّط وزن مخّ المرأة (١٢٢٠ غرامًا)، لكن هذه الزيادة لا تفسِّر الفرق في مستوى الذكاء. أمّا المرأة فهي أضعف من الرجل من الناحية العضليّة، لها حوض متّسع ومفاصل رقيقة ينعكس هذا في طريقة سيرها. فيها نسبة أكبر

coptic-books.blogspot.com

من الدهون التي تترسّب تحت الجلد وتعطي جسم المرأة شكله المميّز.

٢ - يتّضح لنا من جرّاء دراسة تركيب الجهاز التناسليّ التشريحيّ في كلّ من الرجل والمرأة أنّ أعضاء الرجل التناسليّة بارزة خارج جسمه، في حين أنّ أعضاء المرأة التناسليّة جوفاء وفي داخل جسمها، وهذا مظهر من مظاهر التكامل الجسمانيّ بين الجنسين. جدير بالذكر معرفة أنّ الجنين في الشهور الأولى من الحَمْل يصعب تمييز جنسه لأنّ خصيتي الذكر تكونان داخل البطن، ولا تنزلان في كيس الصفن إلّا في الشهور الأخيرة من الحمل.

ثالثًا: الإحساس الجنسيّ

يترتّب على كون الأعضاء التناسليّة في الرجل خارج جسمه أنّ الشعور الجنسيّ لديه مركّز في الأعضاء التناسليّة لكنّ الوضع يختلف تمامًا عند المرأة. فالجنس لديها يتّصف بالشموليّة، لذا نرى المرأة أجمل من الرجل، وجمالها ناتج من إشعاع الطاقة الجنسيّة وانتشارها في جميع أنحاء جسمها. لكن أيّهما أفضل، أن يكون الشعور باللذّة الجنسيّة مركّزًا في الأعضاء التناسليّة، كما هو الحال عند الرجل، أو أن يكون موزّعًا على الجسم كلّه كما في حالة المرأة؟ بالطبع هذا نموذج وذاك نموذج، لكن في ضوء حديثنا عن الطاقة الجنسيّة ومجالات توزيعها نقول إنّ الرجل عليه أن يتمثّل بالنموذج الأنثويّ، ويحاول بقدر الإمكان، وبالتدريج، أن يرتقي بغرائزه الجنسيّة ويجعلها جسمانيّة أكثر من كونها تناسليّة بحتة.

رابعًا: الرجل شهوانيّ والمرأة عاطفيّة

يترتّب على ما تقدّم أنّ الرجل شهوانيّ يركّز إحساسه الجنسيّ في أعضائه التناسليّة، وردّ الفعل الجنسيّ لديه سريع وفجائيّ، وهو يستطيع أن يمارس الجنس بدون حبّ، لأنّه يفصل بين الجنس والعاطفة. فالجنس عنده هو رغبة هامشيّة وقتيّة إلى حدّ ما، نظرًا إلى وضع أعضائه التناسليّة الخارجيّ. أمّا المرأة فنجدها تعيش البعد الجنسيّ بشموليّة بسبب كون أعضائها التناسليّة داخل جسدها. والجنس لديها ليس تصرّفًا محدودًا في جزء معيّن من جسدها بل بالحريّ هو تصرّف كلّيّ، وكلّ أعضائها متشرّبة بالجنس. فالمرأة تشعر بارتياح عميق نتيجة امتزاج اللذّة الجنسيّة بالعاطفة والحبّ، واللقاء الجنسيّ في نظرها هو بالمقام الأوّل لقاء إنسانيّ، إذ هي لا تفصل بين الجنس والحبّ.

هذه نقطة مهمّة جدًّا، وإغفالها قد يسبّب الكثير من الأخطاء في فهم الحبّ. فالمرأة حين تحبّ تفعل ذلك بكلّ كيانها، أمّا الرجل قد يحبّ بجزء من كيانه. ونتيجة لذلك، حين يمارس فتى الجنس مع فتاة، أو حتّى من دون أن يمارس الجنس، في حركة غزل، قد يكون ذلك في نظره مجرّد مغامرة لقضاء الوقت. أمّا الفتاة، ومن خلال هذه التعبيرات التي تفهمها بطريقة أخرى، فنراها تسلّم نفسها كلّيّة، وتبدأ بعيش تجربة حبّ حقيقيّة. وقد يحدث أن يترك الشابّ فتاته بعد أن تتعلّق به، لأنّ هذا لا يعني الكثير له، أمّا في نظرها فتلك كارثة. لماذا؟ لأنّها ارتبطت به. فهذه التعبيرات التي كانت مجرّد حركات هامشيّة شهوانيّة لدى الشابّ، تجد فيها الفتاة الكثير من المعاني العميقة، وترى فيها الالتزام، وتفسّرها بأنّه يحبّها فعلًا، بمعنى أنّها ذات قيمة في نظره.

coptic-books.blogspot.com

هذه هي خطورة العلاقات الجنسيّة سواء أكاملة كانت أم غير كاملة، قبل الزواج أو خارجه. وخطورتها تكمن في أنّ كلا الطرفين يفهمها بمفهوم مختلف، فالفتى يظنّ أنّها مجرّد تسلية، لكنّه يترك من ورائه مأساة من دون أن يدري، لأنّه يترك فتاة محطّمة. وقد سمعتُ الكثير من هذه المشاكل بحكم رسالتي بين الشباب. قال لها: أنا أحبّكِ، ثمّ تركها وتقرّب إلى أخرى ولم يعد. وأثناء هذه المدّة أصابها الاكتئاب النفسيّ، وحاولت الانتحار عدّة مرّات، أمّا هو فلم يدرِ خطورة لعبته، وذهب ليكرّرها مع غيرها. لقد تركها كما يترك شيئًا بعد استعماله. يجب أن نعي جيّدًا هذه النقطة، فالمرأة حين تحبّ تفعل ذلك بكلّ مشاعرها. على الرجل أن يتعلّم ذلك منها، وعلى الفتيات بدورهنّ أن يدركن هذه الملاحظة. فالفتاة التي ترمي نفسها في أحضان شابّ من دون أن يكون هناك أمل أو مستقبل لهذه العلاقة، عليها أن تُعدّ نفسها لأيّام سود.

خامسًا: الرجل قويّ وغليظ المعاملة، والمرأة ضعيفة رقيقة

الرجل عضلاته قويّة، خشن في تعامله، يميل أحيانًا إلى الغلظة، في حين أنّ المرأة ضعيفة العضلات لديها نوع من الرقّة واللطف في التعامل، وهذا يرجع إلى صفات جسميّة انعكست في صورة اختلافات نفسيّة. وممّا يجدر ذكره أنّ الزواج يغيّر إلى حدّ ما من هذه الصفات، فالمرأة بالزواج تكتسب نوعًا من صفات الرجل خاصّة بعد أن تصبح أمًّا. وفي الجانب الآخر يكتسب الرجل نوعًا من الأنوثة، فهو قبل الزواج يميل إلى العنف والرياضة التي تحتاج إلى مجهود عضليّ، أمّا بعد الزواج فنراه يحمل طفله ويدلّله بحركات كلّها رقّة ولطف، وكلّها صفات لم تكن في طبيعته الأولى. وهذا مثال آخر عن التكامل الذي

تكلّمنا عليه سابقًا، إذ كلّ طرف يكتسب بعض صفات الطرف الآخر التي تنقصه.

سادسًا: الرجل يميل إلى الأنانيّة والمرأة إلى العطاء

لِنَرَ كيف ارتبطت المظاهر الجسميّة بالمظاهر النفسيّة والروحيّة. فتكوين الرجل الجسمانيّ ينمّي فيه نزعة الامتلاك والأنانيّة، في حين أنّ تكوين جسم المرأة يجعلها تميل إلى الاستسلام، إلى البذل والعطاء. لكن ما قيل عن التغيّرات السابقة ينطبق أيضًا على صفتي الأنانيّة والبذل، بمعنى أنّه من خلال الزواج سيتعلّم الرجل حبّ البذل والعطاء، وقد تكتسب المرأة شيئًا من الأنانيّة.

سابعًا: الرجل إيجابيّ والمرأة سلبيّة

فالرجل بطبعه إيجابيّ منطلق، يحبّ السيطرة والانطلاق في الحياة، والأخذ منها. ومَن يتأمّل في منظر جسم الرجل يجده يشبه السهم الذي ينطلق بقوّة إلى الأمام. أمّا المرأة فهي سلبيّة مستسلمة، تقبل من دون أن تعترض، وجسمها في شكله الخارجيّ يشبه إلى حدّ ما الإناء الذي يستوعب في داخله أشياء أخرى.

ثامنًا: الرجل يميل إلى العنف والمرأة إلى الحيلة

وهو اختلاف آخر بين الجنسين ناتج من الاختلاف بين التكوين العضليّ لكلّ منهما. فالرجل يميل إلى أن يكتسب حقوقه بقوّة عضلاته، أمّا المرأة فلكونها ضعيفة نجدها تميل إلى تحصيل حقّها بطرق أخرى، هي ميّالة إلى الحيلة والدهاء، بل إلى الدموع أحيانًا. وهذا مردّه إلى الاختلاف في بنيان كلّ منهما الجسمانيّ.

coptic-books.blogspot.com

تاسعًا: الرجل ضعيف في تحمّله الألم، والمرأة أقوى في تحمّلها إيّاه

بالرغم من ضعف المرأة العضليّ، لكنّها أقوى من الرجل في تحمّل الألم والتعب والمشقّة. والألم يلازمها في أغلب أوقات حياتها. فهي تعاني دائمًا من آلام الدورة الشهريّة والولادة... إلخ.

عاشرًا: الرجل يستغلّ ٧٥٪ من طاقته العاطفيّة في العمل، والباقي في العلاقات الاجتماعيّة والحبّ. والمرأة عكس ذلك

ثمّة نقطة مهمّة تدلّ على أنّه مهما نجحت المرأة في عملها وفشلت في الحبّ نراها منهارة تمامًا. أمّا الرجل إذا نجح في أعماله ونشاطه وفشل في الحبّ فنجده متماسكًا. المرأة لا تستطيع أن تحيا بدون حبّ، والرجل لا يمكن أن يعيش بدون عمل. وهنا يبرز لنا أحد مظاهر الاختلاف بين الجنسين، فالرجل قد يتمثّل له الحبّ في عمليّة جنسيّة سريعة، في قبلات سريعة، أو في كلمات غزل بسيطة، ثمّ يقول وداعًا. أمّا المرأة فالحبّ في حياتها أهمّ من هذا كلّه.

نورد الملاحظة التي أوضحها طبيب نفسانيّ فرنسيّ لطالب مصريّ حدث له انهيار نفسيّ حين كان يُقيم في فرنسا، ولم يستطع أن يتكيّف مع البيئة هناك بعد أن قضى فيها ستّة أشهر، فذهب إلى أحد الأطبّاء النفسانيّين، وقال له: إنّني غير متجاوب مع البيئة، لا أستطيع فهم الفرنسيّين، فعقليّتي تختلف تمامًا عن عقليّتهم. فسأله الطبيب عن حاله في الدراسة والعمل، فأجابه: «إنّني ناجح تمامًا». عندئذ طمأنه بأنّ هذا هو المهمّ. فالرجل يستطيع أن يسترجع اتّزانه النفسيّ بسرعة ما دام ناجحًا في نشاطه وعمله.

يتّضح لنا من هذه القصّة أنّ ٧٥٪ من الطاقة الانفعاليّة لدى الرجل تستنفد في النشاط، والباقي في العلاقات الاجتماعيّة والحبّ. أمّا المرأة فعلى العكس من ذلك. فحين تأتي إليَّ فتاة بمشكلة كبيرة أعرف أنّ سببها عاطفيّ. إذا رسب شابّ في الدراسة فهذه كارثة، في حين إذا رسبت الفتاة في الامتحان فما ذلك إلّا ربع كارثة. أمّا إذا فشل شابّ في الحبّ فهذه مشكلة بسيطة، في حين إذا فشلت الفتاة فتلك كارثة لا تعوّض.

جاءتني إحدى الفتيات ذات يوم، وأخبرتني أنّها متضايقة جدًّا منذ أسبوع لدرجة أنّها لا تستطيع النوم، ولا تعرف السبب في ذلك. سألتها عن الأحداث التي مرّت بها منذ أسبوع، فادّعت أنّها لا تتذكّر، وبعد فترة قالت إنّها حضرت حفلة عيد ميلاد، وسألتها عمّا حدث في أثناء الحفلة، فعلمت أنّ صديقها الحميم الذي ينوي خطبتها ابتسم لفتاة أخرى وجلس معها بعض الوقت. فمجرّد جلوس هذا الشابّ مع فتاة أخرى والتحدّث إليها كان طعنة لها في القلب، وهي لا تدري أنّ هذا هو السبب في مشكلتها النفسيّة. ولا أخفي عليكم أنّني قبل أن أتحدّث إلى هذه الفتاة كنت مقتنعًا بأنّ مشكلتها ستكون عاطفيّة في المقام الأوّل.

يجب أن نعي هذه الحقيقة، وعلى الشبّان أن يعلموا أنّ الفتاة حسّاسة لدرجة أنّك حين تقوم بحركة بريئة جدًّا، مجرّد ابتسامة لفتاة أخرى، يثير هذا خطيبتك أو زوجتك. بالطبع هي مخطئة في ذلك، لكن هذه هي طبيعة المرأة. ويحدث لي أحداث من هذا القبيل، فأحيانًا أمرّ من دون أن ألتفت إلى أحد من حولي، وفي إحدى المرّات ابتسمت لي فتاة من فتيات الكنيسة ولم ألحظها، وبعد شهر قابلتني لتسألني عن سبب تضايقي منها، وتعجّبت لأنّني لست متضايقًا،

coptic-books.blogspot.com

وأخيرًا علمت أنّها فسّرت هذه الحركة غير المقصودة منّي تفسيرًا خاطئًا.

يجب أن ندرك أنّ حساسيّة الفتاة مفرطة جدًّا، ومن ناحية أخرى أنصح الفتيات أن يُخَفِّفنَ من هذه الحساسيّة شيئًا ما، وأن يأخذنَ الأمور ببساطة أكثر، وإلّا أصبحت الحياة جحيمًا. وحين نكرّر أنّ هناك تكاملًا بين الرجل والمرأة، فهذا يعني أن تتعلّم الفتاة بعض الخشونة، وأن يتعلّم الشابّ بعض الرقّة والحساسيّة في التعامل.

حادي عشر: الرجل يميل إلى النشاط خارج المنزل والمرأة داخله

هذا لا يعني أنّني أطالب بعودة المرأة إلى المنزل وعدم صلاحيّتها للعمل، بل أودّ أن أقول إنّ ميل المرأة إلى النشاط داخل المنزل له جذور في تكوينها، إذ سبق أن ذكرت أنّ الإحساس الجنسيّ لدى المرأة داخليّ. وهذا ما يجعلها تميل إلى الحياة الداخليّة... الروحيّة... التأمّليّة. والمرأة بطبعها متديّنة أكثر من الرجل، ولديها ميل أكبر إلى الصلاة والتديّن، فهي تحفظ الكلام في قلبها وتتأمّل فيه كما كانت تفعل مريم العذراء: «**وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور، وتتأمّلها في قلبها**»: (لو ٢: ١٩). فالمرأة تهوى أن تعيش حياة داخل نفسها وكلّ شيء له صدى كبير في داخلها. ويمكن أن نرجع ذلك إلى سببين: أوّلهما أنّ أعضاء المرأة التناسليّة داخل جسمها، وثانيهما أنّها تحمل طفلًا بداخل جسمها أيضًا. وهي قبل أن تحبّ شخصًا خارج بطنها تحبّه داخل بطنها. فالمنزل يعتبر صورة مكبّرة للرحم. وقد اكتشف علماء النفس هذه العلاقة، فكما تغذّي المرأة ابنها داخل الرحم بغذائها ودمها، نراها تحاول في المنزل أن تمهّد لأولادها ولأسرتها جوًّا يماثل جوّ داخل الرحم، فالأغشية التي احتضنت

الجنين (بطانة الرحم) تتحوّل في ما بعد إلى ستائر وأقمشة وأشياء من هذا القبيل.

وقد مرّت فترة شهدنا فيها تيّارًا ينادي بحقوق المرأة في العمل وفي الحياة السياسيّة والحقوق المدنيّة... إلخ. بالطبع هذا حقّها، لكن حاليًا في دول أوروبّا وأمريكا، وهي أكثر دول العالم تقدّمًا، هناك حركة كبيرة تقودها سيّدات تنادي بحقّ المرأة في أن تعود إلى المنزل. فالمرأة تنشرح في البيت، في إعداد الطعام، وتزيين المنزل، ومع كون عمليّة إعداد الطعام عمليّة شاقّة لكنّ ربّة البيت تهويها. **لماذا؟** لأنّها امتداد لعمليّة الرضاعة، فحتّى بعد أن يكبر الأبناء تظلّ الأمّ تفكّر في ما سيأكلون، وأنتم تعرفون الأمّهات أكثر منّي. حين يعود الابن من سفر أو رحلة، نرى الأمّ تطرح كلّ أسئلتها حول الطعام، هل تناولت الغداء جيّدًا؟ ماذا أكلت في العشاء؟... إلخ. وقد تنسى أن تسأله عمّا شاهده، أو كيف سافر. فطبيعة المرأة تحتّم عليها الاهتمام بإطعام الآخرين. هي التي تفكّر في أساسيّات الحياة، في الغذاء والكساء.

أمّا الرجل فمجال نشاطه خارج المنزل. بمجرّد أن يصحو ويتناول اليسير من الطعام يودّع زوجته إلى جولة حرّة. الرجل يبني المنازل، ويقود القاطرات، ويعمل في المعامل... إلخ. يميل دائمًا إلى النشاط الخارجيّ، يريد الانطلاق خارج المنزل، في العمل، في المقهى، عند الزملاء، في النادي. ثمّ يعود آخر النهار. فهو يحتاج إلى المنزل لكن لفترة محدودة. هذه الظاهرة عند الرجل قد تسبّب له مشكلة، حين ينسى احتياجات زوجته وأولاده، حين ينسى أنّه عنصر أساسيّ في المنزل فيسرقه الوقت خارجه. على الرجال أن يتنبّهوا إلى هذه النقطة، فالكثير من الأطفال يُحرَمون من الأب مع كونه يعيش معهم. ونحن نعلم أنّ وجود الأب أساسيّ لتربية الطفل وتكوينه،

coptic-books.blogspot.com

ولاستقرار الأسرة أيضًا، لأنّ المرأة التي تُحرَم زوجها معرّضة للسقوط. وقد يعلّل الرجل ذلك بأنّه مضطرّ حتّى يضمن للأسرة توفير احتياجاتها المادّيّة. لكن تردّ الزوجة: «في داهية الفلوس، كن معنا، وبدلًا من أن تكسب ٢٠٠ جنيه يكفي ١٠٠ فقط، فاحتياجنا إليك أهمّ من احتياجنا إلى الفلوس». بالطبع من واجب الرجل أن يضمن لأسرته ما يلزمها من مال، لكن من دون أن يهمل البعد الإنسانيّ.

أتذكّر مشهدًا في فيلم «الخيط الرفيع» لفاتن حمامة، كنت قد شاهدته من مدّة طويلة، وما زال عالقًا بذهني. الزوجة تجلس في المنزل تنتظر وصول زوجها لتتناول معه الغداء الذي أعدّته بكلّ قلبها، لكنّه يتّصل بها تليفونيًّا ليعتذر قائلًا إنّه مشغول في العمل، وسوف يتأخّر، ولا بأس إن انتظرته قليلًا، وفي الثالثة والنصف بعد الظهر يبلّغها أنّه لن يستطيع تناول الغداء في المنزل. ومرّة أخرى تعدّ العشاء وتسأل عنه فيبلّغها أنّه سوف يتأخّر لأنّه في اجتماع مهمّ، وهكذا حتّى بعد منتصف الليل. إذ ضاع اليوم كلّه وهي تنتظره، وهو مشغول بعمله. فأيّ طعم لهذه الحياة، هكذا أصبح المنزل سجنًا أو منفى بدون الزوج. يجب أن يتنبّه الأزواج إلى هذه النقطة من أجل حياة زوجيّة مستقرّة، وهي في غاية الأهمّيّة مع بساطتها.

هذا الكلام ينطبق أيضًا على الزوجة العاملة، مع أنّ المرأة تميل إلى العمل داخل المنزل بحكم طبعها، إلّا أنّ متطلّبات الحياة العصريّة الآن أجبرتها على ذلك. وما ناقشته عند الرجل العامل، ينطبق تمامًا على المرأة العاملة. فإذا كان البيت محتاجًا إلى وجود الأب، فهو بالأولى محتاج إلى وجود الأمّ، لأنّ المنزل بدون الأمّ لا يُسمّى منزلًا. تصوّروا أطفالًا ذهبوا إلى المدرسة، ثمّ عادوا في الثانية بعد الظهر، ومعهم مفتاح المنزل، فيفتحون الثلّاجة ليتناولوا الغداء خبزًا

وجبنًا ومعلّبات، لأنّ الأمّ في العمل. فأيّ مستقبل ينتظر هؤلاء الأطفال؟ بالتأكيد سوف ينحرفون، ويجب ألّا يلومهم لائم.

في هذا الصدد، أودّ أن أؤكّد للآباء والأمّهات أهمّيّة وجودهم الفعليّ في المنزل، أعني وجودهم الوجدانيّ عقلًا وقلبًا. فلا يكفي أن يعود الأب من العمل، فيجلس على الكرسي ويفتح جهاز التليفزيون، ويتصفّح الجرائد اليوميّة. لا يكفي أن تنهمك المرأة في المطبخ والغسيل وكيّ الملابس وحياكتها. هذا كلّه لا بدّ منه، لكن يجب أن يكون حضور الوالدين مقرونًا بالاهتمام الدائم. فالأبناء يحتاجون إلى لغة وحديث، إلى جلسة تبادل آراء وتبادل عواطف. أيّتها الأمّ لا تغرقي تمامًا في العمل، فعائلتك محتاجة إلى أمّ متفرّغة مبتسمة ومستمعة. وأنت أيّها الأب، يا مَن تعود من عملك لتطالع الصحف وتشاهد التليفزيون، ويعلو صوتك: «يا أولاد.. ولا كلمة.. أنا اشتغلت علشان مين النهار ده؟. أنا خلاص تعبان وقرفان.. أتركوني أرتاح شويّة»... يا بابا احذف ساعة من العمل، احذف عشرة جنيهات من المرتّب الشهريّ، على أن تعود إلى أولادك مبتسمًا. إمنحهم ساعة في المساء لتجلس معهم وتداعبهم وتلعب معهم.

كلّ هذا متعلّق بالنقطة التي نتناولها، وهي أنّ الرجل يميل إلى العمل خارج الدار، أمّا المرأة فهي تميل إلى العمل في داخله. وبتعبير آخر، أستطيع القول إنّ الرجل يبني العالم، والمرأة تبني الرجل. الرجل يبني العمارات، وينشئ طرقًا ومعامل ومصانع... إلخ، لكنّ المرأة هي التي تبني الرجل سواء أأمًّا كانت أم زوجة، ودورها الأساسيّ في أن تكون كذلك قبل كونها مهندسة أو طبيبة. نحن ثمرة أمّهاتنا، وهذا لا يقلّل من دور الأب في تكوين الأبناء، لكنّ الأمّ هي أساس التربية. والله سبحانه وتعالى وزّع الأدوار والمهامّ، فالرجل

coptic-books.blogspot.com

يبني العالم، والمرأة تبني الرجل، ولا مجال للغيرة في هذه الأدوار. وفي هذه المناسبة قد تتضايق المرأة لكونها جزء من الرجل كما ورد بقصّة الخلق في سفر التكوين. لكن اطمئنّي يا سيّدتي. فالمرأة خرجت من الرجل في بداية العالم، لكن في كلّ ولادة يخرج الرجل من المرأة. وهنا مظهر آخر من مظاهر المساواة بين الجنسين.

ثاني عشر: هدف الرجل النجاح، وهدف المرأة استحواذ إعجاب الآخرين

بناء على ما تقدّم، نجد أنّ هدف الرجل هو النجاح في العمل، أمّا هدف المرأة فهو استحواذ إعجاب الآخرين وجذب أنظارهم، إذ هي تبحث دائمًا عن اهتمام الآخرين وحبّهم، ونراها تهتمّ بمظهرها وملبسها، وهذا جزء من طبيعتها، لكن يجب ألّا تغالي فيه. مطلوب من المرأة أن تبرز جمالها من دون تكلّف. أمّا الرجل فنراه يهتمّ بعمله كثيرًا، وقد يرتدي أيّ ملابس، ولا يهتمّ بمظهره الخارجيّ قدر اهتمامه بنجاحه في عمله. ويا حبّذا لو تعلّم الرجل من المرأة اهتمامها بمظهرها، وهذا ما يحدث إلى حدّ ما بعد الزواج، فنرى الزوج قد أصبح أنيقًا لأنّ زوجته تساعده على ذلك.

ثالث عشر: الرجل يعيش لمستقبله والمرأة تعيش حاضرها

نظرًا إلى ما ذكرناه سابقًا، نرى أنّ الرجل يعبد التخطيط والتدبير، أمّا المرأة فهي أكثر ارتجاليّة، سريعة البديهة والتنفيذ، وهي لا تحتاج إلى تخطيط مستقبليّ. الرجل يحبّ أن يتحرّك بناءً على خطّة بعيدة المدى، أمّا المرأة فهي تعيش لحظة بلحظة، وهي تجد حلولًا مقبولة على التوّ. الرجل عادة يريد حلولًا ترتكز على التخطيط، بناءً

على تفكير عميق يعود إلى تكوينه، بكلمات أخرى نقول إنّ الرجل يعيش لمستقبله والمرأة تعيش حاضرها.

رابع عشر: ذكاء الرجل هو ذكاء العقل، وذكاء المرأة هو ذكاء القلب

ثمّة نقطة اختلاف أخيرة متعلّقة بالذكاء. وهنا أطرح سؤالًا: **أيّهما أذكى الرجل أم المرأة؟** هناك نوعان مختلفان من الذكاء، الأوّل هو ذكاء العقل والذهن، والثاني هو ذكاء القلب والوجدان. يتميّز عادة الرجل بالنوع الأوّل من الذكاء، وتتميّز المرأة بالنوع الثاني. الرجل يفهم حقائق لا تفهمها المرأة، والمرأة بدورها تدرك أمورًا لا يدركها الرجل، وهذا يرجع إلى طريقة التفكير المختلفة لدى كلّ منهما.

الرجل يفهم العلوم المختلفة مثل الرياضيّات والعلوم الطبيعيّة والكيمياء والتشريح... إلخ. وكلّها مبنيّة على المنطق وتسلسل الأفكار. والرجل حين يفكّر يكون كمَن يبني هرمًا من الأفكار، فهو أوّلًا يبني قاعدة من المعطيات والمسلّمات، ثم عن طريق تسلسل الأفكار يصل إلى القمّة أو الاستنتاج. أمّا المرأة فهي تسلك العكس تقريبًا، بمعنى أنّها تضع القمّة قبل القاعدة، وتصل إلى النتيجة أوّلًا. ثمّ إن سألتها كيف توصّلت إلى هذه النتيجة تقول لا أعلم، أو تعطيك مبرّرات غير منطقيّة. فهي تصل إلى الاستنتاج من دون أن تسلك طريقة الرجل التقليديّة في التفكير. عندها سرعة البديهة أو ما نسمّيه الحدس، لديها شفافيّة النظر أو البصيرة.

حين كنت في الحادية عشرة من عمري، حدثت سرقة في منزلنا بالإسكندريّة. إستيقظ أبي في السادسة صباحًا، فلاحظ أنّ الشبابيك مفتوحة، وأنّ بعض الأثاث غير موجود. وعلى التوّ أبلغ الشرطة التي

coptic-books.blogspot.com

حضرت فعاينت وحرّر ضابط فيها محضرًا بالمسروقات. وحين استيقظت أمّي في السابعة وعلمت بالحادث، صاحت: «إنّه عبد العظيم» الذي كان يعمل في المنزل منذ سنة، لكن كيف علمت ذلك؟! قالت: «إنّه هو، أسرعوا إلى مدرسة الفرير لأنّه صديق بوّاب المدرسة، فربّما تجدونه بالمسروقات». كلّ هذا في ثوانٍ. فكيف فكّرت بهذه السرعة؟! وجمع الضابط أفراده وأمرهم بالتوجّه إلى المدرسة، وفي هذه الأثناء أسرع أخي إلى هناك، وبمجرّد وصوله شاهد المدعوّ عبد العظيم خارجًا من المدرسة وهو يحمل شنطة كبيرة، فأسرع إلى مدير المدرسة ليبلغه بالحادث ويطلب إليه القبض على عبد العظيم لحين وصول أفراد الشرطة، وفي أثناء هذه الفترة اختفى السارق بالمسروقات.

هذه الحادثة تدلّ على أنّ الأمّ - المرأة أدركت بسرعة أنّ السارق لا بدّ من أن يكون «عبد العظيم»، من دون أن تحقّق في الأمر وترفع بصمات عن الأثاث. كيف عرفت ذلك؟ هذه هي سرعة البديهة التي تكمن في الوصول إلى قمّة الهرم من دون أن تضع القاعدة.

ونعود إلى السؤال: **مَن أكثر ذكاءً، المرأة أم الرجل؟** أقول كلّ منهما متميّز بنوعيّة من الذكاء الخاصّة به، وكلّ منهما مكمّل للآخر، بحيث يجب ألّا يكون هناك غيرة بين الجنسين في هذا المجال. فالرياضيّات والعلوم يكوّنان أرضًا خصبة للطلبة الذين يمتازون بتفكير متسلسل، أمّا الطالبات فتكوينهنّ يساعدهنّ على أن يكنّ طبيبات ناجحات، لأنّ الطبّ يحتاج إلى حساسيّة معيّنة للوصول إلى التشخيص من خلال نظرة المريض. فالمرأة تفهم من تعبيرات الجسم حقائق لا يدركها الرجل.

يعود الابن من المدرسة فتنظر أمّه في عينيه. تسأله عمّا حدث له

اليوم، وحين ينكر تكرّر عليه السؤال حتّى يجهش في البكاء، قاصًّا عليها كيف تشاجرا هو وزميله. فهي أحسّت بذلك من خلال نظرات عينيه. أمّا الأب فهو يسأل الابن بسرعة: «كيف أنت»؟ ويجيب الابن لا شيء. ويكتفي الأب بهذه الإجابات. المرأة تفهم في الأمور الإنسانيّة، والرجل في الأمور العلميّة، لذا قلت إنّ الرجل يبني العالم والمرأة تبني الرجل. ولقد قسّم الله المهامّ بين الجنسين بعدل وحكمة.

خامس عشر: مظاهر الاختلاف الأخرى بين الجنسين

١ - طريقة الرجل في الحبّ منطقيّة، فهو يحبّ بعقله. أمّا المرأة فهي تحبّ بقلبها. لذلك هي لا تملّ أبدًا من تكرار كلمات الحبّ التي تكوّن احتياجًا ضروريًّا لها. وعلى الزوج أن يراعي ذلك كي يتفادى العديد من المشاكل.

٢ - المرأة أكثر إخلاصًا في حبّها من الرجل، فهي حين تحبّ تحبّ بكلّ قلبها وعقلها وحياتها. لذلك هي تَغير على زوجها بصورة مبالغ فيها أحيانًا، أمّا غيرة الرجل على زوجته فقد تكون غيرة على ممتلكاته، في حين أنّ غيرة المرأة على رجلها هي غيرة على كيانها كلّه.

الخلاصة

ذكرنا في ما سبق بعض مظاهر الاختلاف بين الجنسين، وبالطبع هناك مجالات كثيرة أخرى لم أتعرّض لها. إنّما ذكرت هذه الأمثلة لنصل إلى الخلاصة، وهي أنّ هذا الاختلاف يجب أن يكون مصدر غنى متبادل. فلا تحاولي أن تكوني مثله تمامًا، وأنت لا تحاول تقليدها. إقبلها بصفات المرأة، وأنتِ اقبليه بسمات الرجل. ثمّ في ما

coptic-books.blogspot.com

بعد، في أثناء مسيرة الزواج المشتركة، على كلّ طرف أن يكتسب من الآخر بعض مميّزاته للوصول إلى المزيد من التفاهم والتكامل. لأنّ الحبّ هو احتياج إلى الآخر، وإحساس للتكامل والمساواة في الحقوق والكرامة الإنسانيّة رغم هذا الاختلاف.

ودراسة هذه الاختلافات كانت ضروريّة لكلّ من الجنسين، لأنّ الكثير من المشاكل الزوجيّة قد تنشأ كون أحد الزوجين أو كلَيهما لا يعلم طبيعة الجنس الآخر.

وفي ختام هذا الباب أطرح سؤالًا: **هل تندلع شرارة الحبّ بين شخصين مختلفين أم متشابهين في الطباع؟ هل يحتاج التفاهم إلى حدّ أدنى من العوامل المشتركة؟** إذا رجعنا إلى ما ورد في هذا الباب سنجد أنّ الاختلاف بين الجنسين هو أساس الحبّ بينهما، وأنّه كلّما زادت الاختلافات زادت الحاجة إلى التبادل بين الرجل والمرأة. فهل يكفي هذا؟ أم إنّ نجاح الحياة الزوجيّة يحتاج إلى بعض العوامل الأخرى؟ هذا ما سيتّضح لنا من خلال دراسة الباب الخامس المعنون «نحو زواج ناجح».

الباب الرابع

أبعاد الحبّ الإنسانيّ

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

ثلاثيّة الحبّ

هناك مثل يقول: «الحبّ ليس نظرة متبادلة بين شخصين، بل هو نظرة مشتركة نحو هدف مشترك»، وهذا المثل ينطبق على الحبّ والصداقة. فإذا كان هدف الصداقة هو الصديق ذاته، تأكّد أنّ هذه الصداقة لن تدوم طويلًا. فيجب أن يكون هناك هدف مشترك يربط بين الصديقين. كذلك في الحبّ الذي إذا كان في اتّجاه واحد (من طرف واحد) لا يمكن أن نسمّيه حبًّا. وإن كان في اتّجاهين متقابلين يكون حبًّا غير مكتمل. والحبّ يكتمل حين يلتقي طرفاه على هدف مشترك يجمعهما. الحبّ هو حقيقة ذات ثلاثة عناصر، ومن دونها جميعها لا يحقّق الحبّ معناه الكامل. والعنصر الثالث هذا ضروريّ جدًّا لاستمراريّة الحبّ وخصوبته، وهو قد يتمثّل في وجود طفل أو أطفال، أو في ابن بالتبنّي، أو في هدف مشترك في حالة عقم أحد الزوجين. فالحبّ خصب وإن لم يكن كذلك فسرعان ما يذبل ويتعرّض للزوال.

ومن يرجع إلى محاضرة «منطق الثالوث الأقدس» يجد أنّ الروح القدس يربط بين الآب والابن، وحين خلق الله الإنسان خلقه على صورته كمثاله (تك ١: ٢٧)، خلقه على هيئة أسرة لأنّ الله كذلك، خلقه على شكل ثالوث لأنّه سبحانه وتعالى كذلك.

coptic-books.blogspot.com

١ - دور الطفل في تنمية الحبّ بين الزوجين

لقد ذكرنا أنّ الحبّ بين الزوجين فيه تبادل وتكامل يثريانه ويجعلانه خصبًا يعطي ثمرًا، وثمرة الحبّ هي الطفل الذي يتّخذ نصف صفاته الجسديّة من الأب والنصف الآخر من الأمّ (٢٣ كروموزومًا من الأب، و٢٣ من الأمّ). الطفل هو حصيلة حبّ الاثنين، وهذه الحقيقة مطبوعة بطريقة ماديّة في كلّ خليّة من خلايا جسمه: «**فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا**» (تك ٢: ٢٤). هذا الجسد الواحد المتمثّل في الطفل الذي يحقّق في جسمه وحدة الأب والأمّ. فالطفل هو تجسيد الحبّ، وهو كيانه على شكل إنسان، وهو الذي ينقذه من الأنانيّة والتدهور. ونحن نعلم أنّ الزواج إن استمرّ فترة طويلة بدون إنجاب، كثيرًا ما يكون مهدّدًا بالانحلال. إنّ الطفل هو بمثابة الأسمنت الذي يربط بين طرفي الزواج، وهو همزة الوصل بين الرجل والمرأة. وحين تكدّر صفو الحياة الزوجيّة الخلافات والمشاكل، يكون عادة العامل الأساسيّ الذي يمنع تطوّر هذه الخلافات إلى انفصال أو طلاق هو الأبناء. فالوالدان يفكّران كثيرًا في أمر الأطفال قبل اتّخاذ قرار الانفصال، ويطرحان السؤال التالي: مَن سيهتمّ بهم؟ وهما يدركان أنّهم سيكونون الضحيّة الأولى. ومراعاة لهؤلاء الأطفال كثيرًا ما يتنازل الطرفان حتّى تقلع سفينة الحياة الزوجيّة مجدّدًا.

إنّ وجود الطفل عنصر أساسيّ في الزواج لدرجة أنّه إذا قرّر الزوجان عدم إنجاب أطفال على الرغم من سلامة جسديهما، وإذا ثبت أنّ هذا القرار قد اتّخذ قبل الزواج، فإنّ الكنيسة تعتبر هذا العقد باطلًا. لأنّ الإنجاب هو بعد أساسيّ من أبعاد الزواج. وحين أسّس الله سرّ الزواج في بداية الخلق أشار بالإنجاب وأوحى به: «**وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض**» (تك ١: ٢٨).

هذا في ما يخصّ الطفل الواحد. لكن كلّما زاد عدد الأطفال، تعمّق الحبّ بين الوالدين، إذ الطفل يحتاج إلى أخوّة، والأسرة تحتاج إلى مزيد من الأطفال (في حدود قدرتها الماديّة والصحّيّة) حتى تكتمل. فكثرة الأخوّة تساعد في نموّ الأسرة النفسيّ والروحيّ، ويستحسن أن يكون إنجاب الأطفال في فترات غير متباعدة كثيرًا، لأنّ الطفل يحتاج إلى إخوة متقاربين معه في السنّ ليلعب معهم ويفرح بهم.

٢ - التبنّي

ولكن كيف يستمرّ الحبّ في حالة عدم وجود أطفال، حين يكون أحد (أو كلا) الطرفين مصابًا بالعقم، أو حين تتزوّج المرأة بعد بلوغها سنّ اليأس. هنا يظهر التبنّي كحلّ لهذه المشكلة التي قد تهدّد الحياة الزوجيّة. والكنيسة لا تسمح وحسب، بل تشجّع فكرة التبنّي. فهناك الكثير من العائلات التي تبنّت أطفالًا في أوروبّا وأمريكا، بينهم عائلة تبنّت ١٢ طفلًا من جنسيّات مختلفة. لكن مازالت عمليّة التبنّي محدودة في مصر وصعبة التحقيق نتيجة لبعض القوانين الموضوعة في هذا الصدد.

ومع تزايد عدد ضحايا الحروب والكوارث في العالم، يتزايد عدد الأطفال المحتاجين إلى أسر تتبنّاهم بعد أن فقدوا الوالدين. ومع ذلك من النادر جدًّا أن نرى في مصر عائلة تفكّر في استضافة أحد هؤلاء الأطفال المحتاجين. والملاحظ أنّه كلّما زاد غنى الأسرة، أحجمت عن تنفيذ هذه الفكرة. فهناك عائلة فقيرة في حي شعبيّ بالإسكندريّة (غيط العنب) لديها عشرة أطفال وتبنّت طفلًا آخر، هذا أمر جميل، ويعود بالبركة إلى العائلة. إذًا التبنّي هو أفضل الحلول في حالة عقم الأسرة، لكن هناك حلولًا أخرى أقلّ سموًّا.

coptic-books.blogspot.com

٣ - وجود هدف مشترك

لو لم يتوفّر الأطفال، سواء أبالإنجاب أم بالتبنّي، يجب أن يجد الزوجان هدفًا مشتركًا يجمع بينهما. فيلجأ بعضهم إلى تربية الطيور والحيوانات، والاهتمام المفرط بها، وبالطبع هذا هدف رخيص نوعًا ما. وعلينا أن نبحث عن أهداف أعلى وأسمى، تستقطب الحبّ وتجعله يستمرّ مثل الاهتمامات الاجتماعيّة والإنسانيّة وخدمة الملاجئ وإنشاء المستوصفات والمعسكرات الصيفيّة للشباب والنوادي الثقافيّة... إلخ. فعلى سبيل المثال هناك الزوجان اللذان اكتشفا الراديوم (ماري كوري وزوجها) ولم يكن لديهما أطفال. لكن أصبح العلم والبحث العلميّ هدفًا مشتركًا يجمع بينهما.

الله منحنا طاقة الحبّ المشترك، وهو ينتظر منّا الثمرة، والحبّ يجب أن يكون خصبًا، لأنّه إن انغلق على ذاته ذبل ومات.

الفصل الثاني

قوى الدفع في صاروخ الحبّ

يمكن تشبيه الحبّ بصاروخ ذي ثلاثة طوابق. الطابق الأسفل هو البعد الجسديّ أو الجنسيّ، والطابق الأوسط هو البعد العاطفيّ أو القلب، والطابق الأعلى هو البعد الروحانيّ. وبالطبع قد شاهد الكثير منكم صاروخ الفضاء في التليفزيون أو السينما، ونعلم أنّ عند إطلاقه ينفجر الجزء السفليّ منه ليزوّد الصاروخ قوّة دفع إلى أعلى. وعند ارتفاع معيّن ينفجر الجزء الأوسط ليدفع ببقيّة الصاروخ إلى أعلى حتّى يصل إلى الكوكب المراد الهبوط على سطحه. والحبّ على مثال هذه الصورة، وأبعاده الثلاثة هي: البعد الجسديّ والبعد العاطفيّ والبعد الروحيّ. كلّ منها يهدف إلى البعد الذي يليه، وليس هو هدفًا بحدّ ذاته. فالجنس ليس هدفًا لذاته، بل هدفه إطلاق العواطف بين الزوجين، أي إنّ هدفه هو البعد العاطفيّ الذي بدوره يودّ بلوغ البعد الروحانيّ. تمامًا كما هو الحال في الصاروخ، فكلّ طابق يدفع الطابق الأعلى إلى فوق.

١ - البعد الجسديّ في الحبّ

وقد أسهبنا بتفصيل في هذا الجانب، لكن من الضروريّ أن نعي

coptic-books.blogspot.com

أنّ هذا كلّه هدفه تشجيع العلاقة العاطفيّة بين الزوجين، إذ إنّ علاقة الأجساد هدفها توطيد علاقة القلوب. والعلاقة الجنسيّة تهدف إلى العلاقة العاطفيّة، وإن لم تكن كذلك فلا معنى لوجودها، إذ لا معنى للاتّصال الجنسيّ إذا لم يرقَ إلى اتّصال عاطفيّ. ولو تذكّرنا ما سبق ذكره أنّ الجنس حين ينفصل عن الحبّ يكون دنسًا، وحين يرتبط به يكون طاهرًا، لعرفنا أنّ طهارة العمل الجنسيّ ليست قائمة في الفعل نفسه بل في هدفه ومعناه.

٢ - البعد العاطفيّ في الحبّ

وهو بدوره ليس هدفًا لذاته، بل يهدف لبعد أعلى منه. وكما أنّ الإنسان عليه أن يرتقي بالبعد الجسديّ (الجنسيّ) إلى البعد العاطفيّ، كذلك عليه أن يرتقي بالبعد العاطفيّ إلى البعد الروحانيّ الأعلى. فالعاطفة البحتة قد تقتل الحبّ، وهنا أودّ أن أشير إلى ميل المحبّين المبالغ فيه إلى التعبير عن عواطفهم: «أحبّكِ.. أحبّكِ.. يا حبيبتي.. يا حبيبتي.. يا روحي.. يا قلبي». هذا كلّه حسن ولا بدّ منه، لكن بعد فترة معيّنة يتسرّب الملل إلى العلاقة العاطفيّة هذه، وخاصّة لجهة الرجل. فكلا الطرفين يحتاجان إلى شيء آخر أبعد وأسمى، ويحتاجان إلى تجاوز العلاقة الجنسيّة والعاطفيّة ليصلا إلى حوار إنسانيّ روحانيّ أعلى. لأنّ خطورة الحبّ لا تتمثّل في الانغماس في الجنس وحسب، بل أيضًا الانغماس في العاطفة التي قد تهدّد استمراريّة الحبّ إذا لم يجد الزوجان منفذًا لأعلى. فبعد أن نُعبّر عن الحبّ بكلام جميل، علينا أن ننطلق إلى أبعد حتّى لا ننغلق على أنفسنا، وهذا ما قصدناه حين تحدّثنا عن وجود هدف مشترك ينتشل الطرفين ويقذف بهما إلى الأمام. فالحبّ ليس أن أحفظ زوجتي كما هي وأن تحافظ عليَّ كما أنا. كلّا، فالحبّ أن ننمو معًا ويدفع كلّ منّا

الآخر إلى الأمام. وإذا لم يكن في الحبّ نموٌّ مشترك سيكون حبًّا راكدًا.

٣ - البعد الروحانيّ في الحبّ

نصل الآن إلى المرحلة الحاسمة نوعًا ما، وهي الانتقال من الطابق الثاني إلى الطابق الثالث والأخير في صاروخ الحبّ؛ مرحلة يمكن أن نطلق عليها صفة الطفرة أو الانتقال من الحبّ إلى المحبّة. إنّها أهمّ خطوة في الحبّ وبها يتحقّق الهدف الأسمى منه، والحبّ الذي لا يصل إلى هذه المرحلة لا يستحقّ أن نسمّيه حبًّا. فالحبّ يكتمل بالعطاء، وكلّ ما يسبق ذلك هو تمهيد له، هو طريق لتحقيق هذا الهدف. العلاقة الجنسيّة حسنة.. والعلاقة العاطفيّة حسنة أيضًا، لكن كلّ هذا في سبيل تحقيق الوحدة.. الطفل.. العطاء. هذا هو الهدف الأعلى، أن يتنافس الطرفان في العطاء، ويدعو واحدهم الآخر إلى التسامي والعلوّ.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثالث

إلتزام الحبّ والارتباط فيه

• يجب أن يكون الحبّ مطلقًا

الحبّ في حدّ ذاته يهدف إلى أن يكون مطلقًا ونهائيًّا، ومن دون الطابع المطلق ومن غير هذا البعد النهائيّ لا يمكن أن يكون حبًّا. ولكي أوضح هذه الفكرة أذكّركم بمطلع أغنية تقول: «حبّيتك وبحبّك وحاحبّك على طول»، فهذه الكلمات القليلة تعبّر عن كلّ المعاني التي قيلت في الحبّ. وكلمة «على طول» هذه نقع عليها تقريبًا في كلّ أغاني الحبّ الشرقيّة والغربيّة. إذ نجد كلمة Amour مرتبطة دائمًا بكلمة Toujours في الأغاني الفرنسيّة، وكلمة Love ترتبط دائمًا بكلمة forever في الأغاني الإنجليزيّة، بمعنى أنّ الحبّ الذي لا يستمرّ «مدى الحياة» لا يستحقّ أن نطلق عليه كلمة حبّ. لنتصوّر شابًّا يقول لمحبوبته: «أنا أحبّك موت حتّى الصباح الباكر أو حتّى آخر فصل الصيف». ثمّة تناقض واضح، لأنّ «أحبّك موت» معناه حتّى الموت، والحبّ الحقيقيّ يجب أن يكون كذلك، مستمرًّا حتّى النهاية، ولا نستطيع أن نتصوّر الحبّ من دون أن يكون مطلقًا ونهائيًّا.

• الزواج هو صورة الحبّ العليا

يتكوّن الإنسان من جسم وحياة، بمعنى أن جسمي هو الأب بولاد، ومنذ ساعة كنت الأب بولاد، والآن أنا الأب بولاد، وحين أحضر غدًا إن شاء الله سأكون الأب بولاد، في العام الماضي كنت الأب بولاد، والعام المقبل بإذن الله سأكون الأب بولاد. إذًا أنا لستُ جسمًا فقط، ولكنّي جسم على طول امتداد حياتي، حياتي الماضية والحاضرة والمستقبلة. أنا جسم في بُعد تاريخيّ معيّن، فحين أريد أن أهب ذاتي لفتاة أحبّها عليَّ أن أهبها ذاتي كلّها، فإن سلّمتها جسدي فقط بدون حياتي بماضيها وحاضرها ومستقبلها، أكون قد سلّمتها جزءًا من ذاتي، وهو الجزء الجسديّ في لحظة معيّنة، كتلة من لحم ودم في لحظة من الزمن. لذلك أقول إنّ العطاء الجسديّ هو عطاء محدود وناقص، أمّا في الحبّ الحقيقيّ يجب أن أعطي ذاتي ببعدها التاريخيّ كلّه وهذا ما نسمّيه الزواج.

في الزواج يلتزم الإنسان أمام الطرف الآخر بتسليم ذاته كاملة مدى العمر. لذلك يمكننا القول بأنّ الزواج هو صورة الحبّ العليا، لأنّه يحقّق الارتباط الجادّ النهائيّ من دون عبث. أتحبّني؟.. نعم.. حقيقة؟.. نعم.. إذن نتزوّج.. لا أستطيع.. لماذا؟.. لا أعرف، إذًا أنت لا تحبّ. ما دام لا ارتباط نهائيًّا في الحبّ، أو على الأقلّ نيّة لذلك، فلا يمكن اعتبار هذا حبًّا. فالمفروض ألّا يسلّم الإنسان جسده بكامله إلّا بقدر ما يسلّم حياته بكاملها.

• جوهر الزواج هو الالتزام، وجوهر الالتزام هو الإرادة الحرّة

هدف الحبّ هو العطاء الكامل، عطاء الذات بالكامل، وهو ما يتحقّق بالزواج. فالزواج ما هو إلّا التزام الإنسان بإنسان من جنس

coptic-books.blogspot.com

آخر، يعطيه كلّ ما لديه وما له مدى العمر، وكلّ ما عدا ذلك هو عبارة عن شكليّات. الزواج بحدّ ذاته التزام حياتيّ، وكلّ حبّ لا ينوي هذا الالتزام هو خداع ونفاق.

هناك مذهب ظهر في أوروبّا أسموه الحبّ الحرّ أو l'amour libre. فبمقتضى هذا المذهب يتعهّد الشابّ بأن يحبّ الطرف الآخر حتّى يملّ منه، حتّى يشعر بأنّه تعب منها وتعبت منه، وهما خلال هذه الفترة يمارسان الحبّ والجنس وتبادل العواطف من دون ارتباط أو التزام. هو نوع من النزوة، وللأسف أصبحت هذه الظاهرة موضة، وبهذا فقد الحبّ عنصرًا أساسيًّا وهو الالتزام.

لنتصوّر محبوبين تواعدا بالوفاء والإخلاص مدى الحياة أمام نفسيهما، وبالفعل التزما بهذا الوعد من دون خيانة، في هذه الحالة يمكن اعتبارهما متزوّجين أمام الله إذا كانا ملحدين. واللاهوت الكاثوليكيّ يوضح أنّ الزوجين هما اللذان يهبان بعضهما بعضًا سرّ الزواج، لأنّ جوهر الزواج هو الالتزام، وجوهر الالتزام هو الإرادة الحرّة، لذلك حين لا تتوفّر هذه الإرادة يعتبر الزواج باطلًا، لأنّه فقد عنصرًا أساسيًّا في مقوّماته. وعليه فإنّ الحبّ الحرّ يعتبر فسادًا، إذ عن طريقه أستغلُّ الآخر وأستعمله أداة استمتاع ومتعة شخصيّة، ولا ألتزم به التزامًا وجوديًّا.

ومن المنطلق نفسه يمكننا أن ندرك خطورة الغزل والمداعبة العاطفيّة قبل فترة الخطوبة، فهناك خطورة حين تداعب فتاة وأنت لا تنوي الالتزام بها. فكما قلت إنّ هذا النوع من المداعبة قد لا يؤثّر في الشابّ، لكنّه ذو تأثير بالغ في الفتاة. فهي من خلال هذا الكلام المعسول تشعر بالحبّ، والحبّ في حياتها حركة شاملة. فحين تحبّ الفتاة تحبّ بكلّ كيانها، بعكس الشابّ الذي قد يكون مرجع الحبّ

عنده نوعًا من الأنانيّة والشهوة، لذا نجد أنّ الفتاة أكثر إخلاصًا في الحبّ. إذًا الغزل خطر حتّى لو كان عفيفًا. لا تلعب بالنار، فاللعب بالحبّ والجنس هو نوع من اللعب بالنار، لأنّ هذه الحقائق هي مثل القنابل النوويّة القابلة للانفجار. وستقول إنّك لم تكن تعرف وقتئذٍ أنّك ستصل إلى هذا الحدّ. طريق الحبّ هو طريق منحدر، فإن سمحت لنفسك بحركة بسيطة سوف تجدها في موقف لم تكن تريده، ولم تكن تقصده في البداية. فحذار أن تلعب بشيء لم يكن من المفروض أن تقترب منه.

• الحبّ كخبرة مكتملة لا يعاش سوى مرّة واحدة في العمر

الحبّ في صورته النهائيّة المطلقة لا يتكرّر أبدًا، وحتّى إذا حدث حبّ ثانٍ فعادة ما يكون مرتبطًا بالحبّ الأوّل. صوّر هذه الفكرة أحد الأفلام الفرنسيّة للمخرج الشهير كلود لولوش. فقد كان البطل يحبّ زوجته حبًّا كبيرًا، وماتت وتزوّج بأخرى. وكثيرًا ما كان يفكّر في زوجته الأولى حتّى وهو في أحضان الزوجة الثانية التي كانت تلاحظ شرود ذهنه، وتسأله عن سبب ذلك، فكان يدّعي أنّه يفكّر فيها. كان يعيش الحبّ الأوّل من خلال الزوجة الثانية. فالإنسان لا يستطيع أن يكرّر تجربة الحبّ، لكونها تجربة شاملة. أقول هذا حتّى لا يجازف الشباب بهذه القيمة وبهذه الخبرة، وهي الحبّ. لا تبعثر الطاقات الثمينة الكامنة في قلبك، احتفظ بها نضرة لتقدّمها إلى الشخص الذي ستختاره يومًا ما.

إذًا الغزل خطأ كبير بقدر ما فيه من تلاعب وتسلية ولهو بقيم مقدّسة سامية. ومَن يشاهد الشباب الأوروبّيّ يشعر بأنّ الكثير منهم قد مرّ بتجارب حبّ عديدة حتّى أصبحت أمرًا عاديًّا في نظرهم، ونتيجة

coptic-books.blogspot.com

ذلك ترى وجوهم حزينة، لا تعرف الابتسامة. وقد أخبرتني أختي حين عادت من إحدى الجزر اليونانيّة أنّ الشاطئ كان يعجّ بالشباب من السويد والنروج والدنمرك، وكانوا لا يعرفون الضحك أو الابتسام كأنّهم جثث على الرمال، وهذا شيء لافت للنظر.

هذا الحزن العميق الذي تلحظه من خلال هؤلاء الذين يمارسون الجنس بدون أيّ ضوابط يجعلنا نقول إنّ طاقات الإنسان الحيّة تتبعثر بتكرار هذه التجربة. لذلك أقول إنّ الحرص على هذه القيمة في الشرق مهمّ جدًّا، مع كونه مختلطًا بالرياء والنفاق، وعلينا أن نحافظ على هذه القيمة على الأقلّ من الدافع الاجتماعيّ، لكن من الأفضل أن يكون ذلك عن اقتناع شخصيّ، حفاظًا على كياننا وطاقاتنا. علينا أن نتمسّك بالعفّة والطهارة حتّى نستطيع أن نهب كياننا بالكامل في الخطوة النهائيّة. ومن فوائد الندوات التي تعقد للشباب، أنّها تجعل الفرد مقتنعًا بقيمة معيّنة لينتقل من مرحلة التقليد أو من مرحلة التصرّف الاجتماعيّ البحت إلى تصرّف إنسانيّ ينبع عن اقتناع ذاتيّ. أنا لا أخاف من رأي الناس أو من الخطيئة، لكنّي مقتنع بأنّ عليَّ أن أحافظ على الحبّ لأنّه أسمى شيء في ذاتي.

وبوجه عامّ يكون المعيار في الحبّ السليم هو الفرح والسلام الداخليّ الذي ينتج منه، فإذا فقدت فرحك يجب أن تعرف أنّك أخطأت في شيء ما. إذا لاحظت أنّ علاقتك بالآخر ولّدت فيك الحزن بدلًا من الفرح، والانطواء بدلًا من الانطلاق، والاهتمام بالذات بدلًا من الاهتمام بالآخر الذي تحبّه، فبالتأكيد ثمّة شيء ما غير صحيح في هذه العلاقة. تستطيع أن تحكم على الشجرة من ثمارها، انظر إلى ثمار حبّك واحكم عليه: «**هل يُجتنى من الشوك عنب أو من العوسج تين؟**» (متّى ٧: ١٦).

• إلى أيّ مدى يستطيع الإنسان أن يعبّر جسديًّا عن حبّه في فترة الخطوبة؟

في فترة الخطوبة هناك التزام بالارتباط النهائيّ، بمعنى أنّ الخطوبة هي الخطوة الأولى نحو هذا الارتباط. فإلى أيّ مدى يستطيع الإنسان أن يعبّر جسديًّا عن حبّه في أثناء هذه الفترة؟ سؤال كثيرًا ما يطرحه الشباب في فترة الخطوبة: هل نستطيع أن نعبّر عن حبّنا بطريقة جسديّة محسوسة؟ وإلى أيّ مدى نستطيع ذلك؟ والكنيسة لم تضع قواعد خاصّة بهذا الموضوع، لكن انطلاقًا من القاعدة التي توصّلنا إليها سابقًا بأنّ تسليم الجسد يجب أن يتزامن مع تسليم الحياة، أقول إنّك في الخطوبة لم تسلّم بعد حياتك كلّها، بل أنت تعد بذلك. إذن لا تستطيع أن تسلّم جسدك لأنّك لم تلتزم بعد التزامًا نهائيًّا.

هناك مَن يعتقد أنّه بمجرد إتمام الخطوبة يكون قد وصل إلى المرحلة النهائيّة. لكن ما دام الزواج لم يتمّ بعد، حتّى ولو تواعد الطرفان بالالتزام مدى الحياة، فإنّ الالتزام النهائيّ لم يحدث بعد. ففي بعض الحالات تنتهي الخطوبة من دون زواج نتيجة لسببٍ ما، إذ ذاك ما هو الموقف في حال سلّمت الفتاة جسدها إلى الشابّ في فترة الخطوبة؟.. يجب أن ندرك مدى عمق الارتباط الذي ينتج من العلاقة الجنسيّة من دون زواج، وخاصّة في حياة الفتاة التي تشعر من خلال هذه العلاقة بأنّها سلّمت ذاتها وليس جسدها وحسب. الفتاة لا تفصل بين جسدها وشخصها، بل هي حين تسلّم جسدها، تسلّم ذاتها معه. فعطاء الجسد في نظرها هو تعبير عن عطاء الذات، وهذا ينطبق على الشابّ أيضًا بدرجة قد تكون أقلّ عمقًا، لكنّ القاعدة قائمة في كلتا الحالتين.

لنتصوّر النتيجة التي سنصل إليها إذا ما عاش المخطوبان هذه

coptic-books.blogspot.com

التجربة قبل الزواج ثمّ انفصلا. فبالتأكيد سوف تحدث آثارًا عميقة، خاصّة في حياة الفتاة التي ستشعر على مدى السنين بتعلّق شديد بهذا الشخص الذي تركها، وسوف يؤثّر هذا الإحساس في حياتها المستقبليّة.

من هنا نستخلص أنّ عطاء جسدنا الآخرَ يجب أن يكون داخل إطار العطاء الكامل النهائيّ وليس مجرّد تسلية وقتيّة. وكم من الحالات التي تعاهد فيها الطرفان الحبّ في أثناء الخطوبة ثمّ في ممارسة الجنس، وانتهت فترة الخطوبة بدون زواج. يجب ألّا تقدّم في الزواج قلبًا مستهلكًا أو جسدًا مرَّ بتجارب كثيرة. يجب أن تكون هديّتنا في الزواج إلى الطرف الآخر هديّة طاهرة نظيفة. ولنأخذ مثالًا من الوردة التي تكون جديدة ونضرة قبل أن تتفتّح، محتفظة بعبيره بسرّيّة تامّة، ثمّ حين تتفتّح وتسلّم ذاتها تحت شعاع الشمس سرعان ما تذبل. وقلب الإنسان وبخاصّة المرأة يشبه الوردة التي إذا ما تفتّحت لا يمكن أن تعود مرّة أخرى إلى حالتها الأولى. وعليه يجب أن تحرص على أنّه يجب أن يتفتّح قلبك، لكن عليك أن تسلّم ذاتك إلى الشخص المناسب، إذ التحفّظ في خطوات الحبّ هو أمرٌ ضروريّ.

• العفّة قد تكون وسيلة لتعميق الحبّ

يجب أن نتثبّت من حقيقة معيّنة ألّا وهي أنّ قلّة التعبير الجسديّ عن الحبّ في فترة الخطوبة لا تقلّل منه بل تزيده. لا تندم لأنّك لم تعبّر عن حبّك جسديًّا، إذ هناك نوع من العفّة في فترة الخطوبة يعمّق الحبّ ويزيد الرغبة في الآخر. أنت تشتهي أن تُقبّل خطيبتك لكنّك لا تفعل، وهذا ما يطهّر حبّك ويعمّقه، ويجعلك تنتظر بفارغ الصبر يوم اللقاء في الزواج.

وحين نتحدّث عن أهمّيّة العفّة في فترة الخطوبة، يجرّنا الحديث

إلى تطبيق ذلك داخل إطار الزواج. فإن تحوّل اللقاء الجنسيّ بين الزوجين إلى حركة روتينيّة عاديّة، سوف يفقد طعمه ومعناه. لذلك أقول إنّ الامتناع لفترات محدودة عن اللقاء الجنسيّ مهمّ جدًّا حتّى في الزواج. فهو بمثابة صوم، وكما يصوم الإنسان عن الأكل لفترة ما، هكذا يستطيع أن يصوم عن الجنس أيضًا. هذا الانقطاع يعمّق الحبّ، ويزيد الزوجين اشتياقًا لدرجة أنّ أحد أصدقائي الكهنة كان ينصح المتزوّجين بأن لا يناموا في السرير نفسه، بل أن ينام كلّ منهما في غرفة منفصلة لفترة ما إن أمكن. بالطبع هذا لا يرجع إلى قضيّة الحرام والحلال لأنّنا تجاوزناها، نحن نبحث عمّا **يقوّي** الحبّ **ويعمّقه**، من دون أن نرجع إلى شريعة أو ناموس: «**فإنّ الخطيئة لا تسود عليكم، لأنّكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة**» (روم ٦: ١٤). كلّ ما يقوّي الحبّ ويرقّي الإنسان ويزيد فيه إنسانيّته هو صحيح، وكلّ ما يقتل الحبّ ويحُطّ من قيمة الإنسان إلى المستوى الحيوانيّ هو خطيئة.

الخطورة في أن يتحوّل اللقاء الجنسيّ بين الزوجين إلى فعل روتينيّ، يقلّل من قيمة الحبّ ويقضي عليه. فالحبّ يحتاج إلى مسافة بقدر احتياجه إلى الاقتراب، الابتعاد والاقتراب كلاهما ضروريّ لتقوية الحبّ. فزيادة الابتعاد بين المحبوبين لفترة طويلة يولّد الفتور بينهما، تمامًا كما يحدث بعد اقتراب متّصل، لماذا؟ لأنّ الملل هو أكبر أعداء الحبّ، والملل يتسرّب إلى القلب بالتكرار والعادة، فحين تريد المحافظة على حبّك لزوجتك، خذ مسافة معيّنة بينك وبينها لفترة ما. إن أردت أن تحافظ على صداقتك لصديقك، ابتعد عنه بعض الوقت، فالصداقة والحبّ كلاهما يحتاج إلى نوعٍ من البعد تجنّبًا للملل.

وقبل أن أنهي كلامي على هذا الأمر أودّ أن أوضح أنّ ما قلته

coptic-books.blogspot.com

بخصوص الامتناع عن اللقاء الجنسيّ بين الزوجين لفترات محدّدة، يعدّ نصيحة وليس إلزامًا، لأنّ الاتّصال الجنسيّ في الزواج كما أشرنا في المقدّمة هو عمل مقدّس، وعلينا أن نحافظ على طهارة الحبّ والجنس حتّى في الاتّصال هذا، حتّى يغدو حركة محبّة وليس حركة شهوة. فالراهب يعيش العفّة بالامتناع عن ممارسة الجنس، وهناك نوع آخر من العفّة يكون داخل الحياة الزوجيّة. فالعفّة تعني الحبّ الطاهر الذي ينزع من الجنس ميله إلى الانطواء، وفي هذه الحالة تصبح فضيلة تعاش قبل الزواج وبعده، في الحياة الرهبانيّة وفي الحياة الزوجيّة بالمعنى نفسه.

الفصل الرابع

الإخلاص والوفاء في الحبّ

• الحبّ الحقيقيّ يتّجه إلى ذات الشخص الآخر

ما دام الحبّ تأسَّس على شهوة جسديّة، فبالتأكيد سوف يزول بزوال هذه الشهوة، وما دام الحبّ تعلّق بجمال الجسد وارتبط به، فإنّه سيزول بزوال هذا الجمال. فلو ارتكز حبّك على كون مَن تحبّها جميلة، فيومًا ما سيزول هذا الجمال بتأثير الإنجاب، وتقدّم السنّ. أيضًا لو كان الحبّ مؤسَّسًا على ميزات ذهنيّة أو فكريّة أو اجتماعيّة – وكلّها صفات حسنة بلا شكّ – لكنّها معرّضة للزوال يومًا ما. لو فقد وعيه أو اختلّ عقله هل سيظلّ حبّي له وارتباطي به، أم سيزول بزوال صفاته الحسنة التي أحببته من أجلها؟ فإذا تأثّر الحبّ بمثل هذه المتغيّرات، فبالتأكيد أنا لم أكن أحبّه (أو أحبّها)، بل أحببت بعض الصفات فيه (أو فيها) مثل الجمال، خفّة الظلّ، الذكاء، قوّة الشخصيّة... إلخ.

إذًا، لكي يكون الحبّ حقيقيًّا، يجب أن يتوجّه إلى ذات الشخص الآخر في جوهرها، أحبّك من أجلك أنت لا من أجل جمال جسدك أو صفاتك أو مؤهّلاتك أو ممتلكاتك، أحبّك «أنت»، هذا هو الحبّ. وبما أنّ الحبّ لم يقصد الذات العارية في الإنسان فهو ليس

coptic-books.blogspot.com

حبًّا. ولكي أوضح المقصود بكلمة الذات العارية، أتصوّر معكم شخصًا خطب فتاة يحبّها وتحبّه. ويومًا ما تعرّض لحادثة أفقدته بصره وتركته غير قادر على الحركة حتّى آخر حياته، فما سيكون موقف الخطيبة؟ إذا طلبت الانفصال عنه، فهذا معناه أنّها كانت تحبّه سليم الجسم، وبهذا يكون حبُّها له حبًّا مشروطًا، والحبّ هو قيمة بلا شروط. إن أحببت وأردت أن تختبر حبّك حاول أن تتصوّر الشخص الذي تحبّه مشوّهًا، مختلّ العقل، واسأل نفسك هل ستظلّ تحبّه في تلك الظروف؟ ليس فقط أن تظلّ تحبّه، بل أن يزداد حبّك له وارتباطك به، لأنّه محتاج إليك. إذا أجبت بنعم فيكون حبّك حقيقيًّا، حبّ عطاء، حبّ إخلاص. يجب أن يكون الحبّ من أجل الطرف الآخر، لا من أجلك أنت. والمحنة هي التي تظهر معدن الحبّ، لهذا يجب أن يمرّ الحبّ بمحن وأزمات، وحبّذا لو كان هذا قبل الزواج.

من الصعب وضع تعريف محدّد للذات العارية، ولكن هذه الذات هي التي تجعل الأمّ تحبّ ابنها. حين يكون على الحضيض هي تحبّه، وبعد أن يتعرّض لحادثة تفقده كلّ شيء جميل تظلّ تحبّه، حين يكون فاقد الوعي هي تحبّه، حين يفقد المقدرة على الحركة تظلّ تحبّه، وهو مجرّد جثّة ليس فيها من مظاهر الحياة تظلّ تحبّه، وتناديه: يا ابني، يا حبيبي (يا فلان). تناديه باسمه، هذا الاسم الذي يرمز إلى جوهره وذاته، فلم يبقَ منه سوى اسمه، وما زالت تحبّه، بل ويزداد حبّها له، لأنّه فقد كلّ شيء.

هذا هو الحبّ، صورة من حبّ الله لنا، حبّ بلا حدود، بلا مبرّر، بلا شروط. حبّ يصل إلى درجة بذل الذات. أحبّك ليس لأنّي أنتظر منك شيئًا، بل لأنّني قد أستطيع من خلال هذا الحبّ أن أحبّك مُجدَّدًا. قد يتعجّب بعضهم: مَن يستطيع أن يحبّ بهذا الشكل؟! أقول

لكم إنّ هذا هو الهدف الأعلى للحبّ: **«أيّها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها»** (أف ٥: ٢٥)، **«ليس حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان حياته عن محبّيه»** (يو ١٥: ١٣).

• صورتان للحبّ: حبّ العشيق وحبّ الصليب

هناك نموذجان للحبّ، النموذج الأوّل هو أن تحبّها وتحبّك: قبلات متبادلة، أتمتّع بها وهي تتمتّع بي. هذا هو النموذج الأوّل، وللأسف حين يسمع الناس كلمة حبّ سرعان ما يفكّرون في هذه الصورة. أمّا النموذج الثاني فنراه على الجلجثة، المصلوب يفتح ذراعيه، يفتح أحضانه، وجنبه أيضًا مفتوح. هكذا نرى الفارق بين النموذجين: الأوّل هو حبّ الأخذ والثاني هو حبّ العطاء: العطاء الكامل إلى النهاية، أسلم ذاته وفقد كلّ شيء حتّى النفس الأخير. والحبّ المسيحيّ يجب أن يتمثّل بالنموذج الثاني: **«أيّها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها»** (أف ٥: ٢٥)، لذلك أقول لكم إنّ الحبّ لا يكون في البداية بل في النهاية، لا يكون في أوّل خطوة بل في آخر الطريق. حين تسير في طريق الحبّ أنت لا تعرف إلى أين يقودك. سلِّم نفسك له، واجعله يقودك، سيقودك إلى الجنون، إلى اللامعقول، إلى الصليب.

هذا ما أسمّيه الحبّ المطلق: الحبّ الذي لا تراجع فيه، ومهما حدث للآخر، أنا مخلص له ووفيّ، أحبّه دائمًا أبدًا (حبّيتك وبحبّك وهاحبّك على طول). هذا ما يجعل الإنسان يعيش مجدَّدًا ويولد مرَّة ثانية. الحبّ ولادة جديدة، كما يخرج الطفل من بطن أمّه ويصبح في نظرها شخصًا فريدًا في العالم، كذلك في الحبّ يصبح الإنسان كلّ شيء في نظر شريك حياته. الحبّ لا يستحقّ هذه التسمية إلّا إذا كان

coptic-books.blogspot.com

الآخر هو كلّ شيء (وليس بعض الشيء) في حياتي.

الحبّ الحقيقيّ يجب أن يتشبّه بحبّ الصليب، والألم جزء من الحبّ. فهناك حكمة تقول: «مَن يبدأ في الحبّ عليه أن يستعدّ للألم». هناك ارتباط وثيق بين الحبّ والعذاب. فَلِمَ كان هذا الارتباط الغريب؟ لأنّه كلّما كان الشعور عميقًا، كان العذاب شديدًا، فحين يمسّ الحبّ الإنسان في عمقه وجوهره يصبح أكثر حساسيّة. وهنا أكرّر تحذيري، لا تلعبوا بالحبّ لأنّ طعناته قاتلة، وأثرها يستمرّ لفترة طويلة. فالذي لا يريد أن يتألّم لا داعي لأن يحبّ، والمسيح تألّم لأقصى درجة لأنّه أحبّنا حبًّا لامتناهيًا. والدليل على أنّ إلهنا إله حبّ هو أنّه إله متألّم، «فقصّة الحبّ العجيب قد تجلّت على الصليب».

• الإخلاص في الحبّ قد يستمرّ بعد الموت

تحدّثنا عن الإخلاص والوفاء في الحبّ والزواج. وامتدادًا لهذه النقطة، أريد أن أشير إلى أنّ ثمّة إخلاصًا يستمرّ حتّى بعد موت أحد الطرفين. وكلّنا نعلم أنّه بموت شريك الحياة قد يصرّح أحدهم بالزواج من إنسان آخر، لكنّ هناك أشخاصًا أحبّوا شريك الحياة لدرجة أنّهم لا يتصوّرون أن يعيشوا مع إنسان غيره، وتمسّكهم به يستمرّ بعد الموت. هذا ما يُعرف بالحبّ النهائيّ. ربّما يكون هذا الشعور عند المرأة أكثر منه عند الرجل، لأنّ المرأة أكثر وفاءً، وهي حين تحبّ رجلًا، لا تتصوّر أنّ هناك إنسانًا آخر يدخل حياتها. لكن الرجل أيضًا قد يرفض أن يحبّ امرأة أخرى بعد وفاة زوجته: «**المحبّة قويّة كالموت**» (نش ٨: ٦).

الفصل الخامس

البعد النفساني أو العاطفيّ في الحبّ

ثمّة ثلاثة مستويات في الحبّ:

١ - **المستوى الأدنى**: جسمانيّ مبنيّ على الجسد والجنس.

٢ - **المستوى الأوسط**: نفسانيّ عاطفيّ مبنيّ على العاطفة والإحساس والشعور.

٣ - **المستوى الأعلى**: روحانيّ شخصيّ مبنيّ على الإرادة والحرّيّة والوعي.

وهدف كلّ مستوى أن يدفع إلى أعلى، إلى المستوى الذي يعلوه، ويكون حافزًا أو وقودًا له. فالجنس هو وقود العاطفة، والعاطفة هي وقود الحبّ حتى يكتمل.

• المجال العاطفيّ والمجال الجسديّ

ليس هناك معنى لعلاقة جنسيّة مجرّدة من العاطفة. فاندماج الأجساد يهدف إلى اندماج القلوب كي تصل إلى هدف أسمى من ذلك. وكما أنّ هناك خطورة التلذّذ الجنسيّ، كذلك هناك خطورة التلذّذ في مجال العاطفة. وبما أنّ الجنس هو هدف في حدّ ذاته فالعاطفة هي كذلك. وكما أنّ الميل التملّكيّ إلى اللذّة والمتعة الجنسيّة

coptic-books.blogspot.com

يسبِّب إحباطًا وفراغًا كذلك هو الحال في المجال العاطفيّ. فالتملّك يؤدّي إلى النتيجة نفسها، إذ لا يمكن أحدًا أن يمتلك الحياة لأنّها عبور وحركة وانطلاق. إذًا فكما أنّ ثمّة لذّة فرديّة على مستوى الجنس، فهناك إمكانيّة وجود لذّة أنانيّة على مستوى العاطفة. مثال ذلك الأشخاص الذين يعتقدون أنّ الحبّ يزول إن لم يخفق قلب ونبضات داخل الصدر.

فيتحتّم علينا إذًا أن نضبط عواطفنا مثلما نضبط غرائزنا بدون جمود أو مغالاة إفراط.

الصداقة

لها دور كبير جدًّا في إعداد الزواج إذا كانت بنّاءة.

كيف نميّز بين صداقة سليمة وأخرى غير سليمة؟ «الشجرة تُعرف من ثمارها...».

الصداقة غير السليمة	الصداقة السليمة
- تولّد التسلّط والتملّك والأنانيّة، والانغلاق والحزن والغيرة الشديدة الشرسة.	- تولّد الفرح والانطلاق والانفتاح والنشاط.
- تتعلّق بجسم الشخص الآخر ومظهره.	- تتّجه إلى كيان الشخص الآخر وشخصيّته العميقة.

• شروط الصداقة

١ - الاحترام القائم بين الطرفين، فالصداقة تزول بزوال الكلفة وهذا

الشرط مطلوب أيضًا في إطار الحياة الزوجيّة، فإن لم يحترم الزوجان بعضهما الآخر، فحبّهما معرّض للزوال. وهذا الاحترام لا يكون أمام الآخرين وحسب، بل في حضورهما المطلق.

٢ - الصداقة ليست وليدة يوم وليلة، لأنّ العنصر الزمنيّ مهمّ جدًّا في الوصول إلى علاقة صداقة حقيقيّة.

٣ - ثمّة درجات في الصداقة: فهناك فرق بين الزمالة والصحابة والصداقة، على أنّ الصداقة لا تكون إلّا لشخص أو لاثنين فقط.

٤ - الصداقة تتطلّب حرّيّة التعبير عن الرأي، وعدم الخضوع الأعمى، وعدم ذوبان طرف في الآخر.

٥ - الصداقة ليست شعورًا متبادلًا وحسب، بل هي ثقة متبادلة. فمَن يخاف على صداقته يفقدها. وهذه الثقة تجلب الصراحة. فإن لم يكن لديك الشجاعة والجرأة لكي تصارح صديقك بأخطائه، فينقص صداقتك عنصر الثقة العمياء.

٦ - الصداقة ليست النظر في عيون بعضنا بعضًا، لكنّها نظرة مشتركة في اتّجاه واحد. فالهدف المشترك هو شرط أساسيّ لنجاحها، حتّى لا تنغلق على الطرفين.

٧ - لا مفرّ من الأزمات في الصداقة لأنّ الصديقين يمرّان بفترات من الفتور والجفاف والابتعاد بعضهما عن الآخر، ممّا لا يزيل الصداقة بل يتحدّاها، حتّى تتعمّق وتثبت بذاتها على مستوى أعلى مبنيّ على الثقة المتبادلة. فالصداقة الحقيقيّة هي أقوى من كلّ الأزمات.

• الصداقة بين الجنسين (الاختلاط)

لقد أصبح الاختلاط واقعًا حياتيًّا لا مفرّ منه في عصرنا الحاضر، حيث أصبحت التيّارات التي تنادي بمساواة الرجل والمرأة ملحّة.

coptic-books.blogspot.com

فتغيّر مفهوم العلاقة بينهما، وأخذ الرجل مسؤوليّات في المنزل كالمرأة، وأخذت المرأة مسؤوليّات في الخارج شبيهة بمسؤوليّات الرجل، وبذلك اكتسبت المرأة استقلالها، وشعرت بكيانها وأصبحت على مستوى الرجل وشريكة له لا ألعُوبة بين يديه.

وهناك رئيسات دول عظمى من النساء مثل: إنديرا غاندي.. تاتشر.. وكانت الملكة تي وحتشبسوت من عباقرة الإدارة عند الفراعنة. ونبويّة موسى وهدى شعراوي اللواتي أثبتن كرامة المرأة وحرّيّتها وكيانها في سنة ١٩٢١ عندما خلعن القناع الذي يغطّي وجوهنّ وذهبن مكشوفات الوجه للدراسة في الجامعة. إنّ دخول الفتاة جميع مراحل التعليم منحها شخصيّة متينة وقويّة وأدّى إلى تأخير سنّ زواجها.

ونرى الآن صبيانًا وبناتًا يخرجون معًا بل بالمعنى الأصحّ نرى صبيًّا وبنتًا على انفراد... وقد أصبح اختيار البنت شريك حياتها أمرًا يخصّها هي، لا تعاقدًا بين الأُسر، كما كان الحال في الماضي. نتيجة لذلك ثمّة الآن فرقٌ بين الشهوة البحتة والتعاقد الأسريّ أي بين البعد الحيوانيّ والبعد الاجتماعيّ.

فالمسافة بين الجنسين امتلأت بالعاطفة والتعاطف والحنان أي بالبعد الإنسانيّ.

• مزايا الاختلاط

١ - يخلق الاختلاط جوًّا نقيًّا وسليمًا وصحّيًّا بين الجنسين. فهو يُلغي التركيز على الأمور الجنسيّة البحتة، وتتحوّل العلاقة بين الجنسين إلى علاقة زمالة طبيعيّة، كما أن كلًّا منهما يشعر بالآخر شعوره بالإنسان - الشخص لا الإنسان - الجنس الآخر. كذلك يكتسب الصبيّ نوعًا من الرقّة والنقاء واللطف في سلوكه.

٢ - إنّ الاختلاط يشجّع على التنافس الإيجابيّ البنّاء بين الجنسين، كما يشجّع على التفوّق العقليّ والدراسيّ فيكتسب الفتيان من الاختلاط تهذيبًا لأحاسيسهم ومعنى الحقائق الباطنيّة والروحيّة، في حين تكتسب الفتيات وضوح التحليل ودقّة المنهج التي يتحلّى بها الفتيان.

٣ - يساعد الاختلاط على التعارف والتفاهم المتبادل بين الجنسين، فهو طريق للاختيار والانسجام في حياتهما الزوجيّة المستقبلة.

٤ - إنّ التكامل الثقافيّ بين الجنسين في المدرسة يغني كلًّا منهما.

٥ - الاختلاط في المدرسة هو صورة مصغّرة عن الاختلاط في المجتمع في ما بعد، فهو يمرّن الجنسين على ما سيقابلهما في الجامعة.

• مخاطر الاختلاط

١ - خطر التشتّت في العمل والدراسة نتيجة علاقات حبّ مبكر.

٢ - التعايش المستمرّ بين الجنسين قد يُلغي حالة السرّ والقداسة التي تُعطي الحبّ جماله ورونقه. فالرغبة والبحث عن الجنس الآخر هما عنصران أساسيّان في الحبّ.

٣ - الاختلاط لا يُلغي الاهتمام بالجنس الآخر والتركيز على الأمور الجنسيّة، بل بالعكس قد يشجّعها ويقوّيها. فالاختلاط المستمرّ قد يثير الغرائز في المراهقين وقد يزيد مشاكلهم الجنسيّة.

٤ - هناك تفاوت في النضج بين الجنسين، فما يناسب جنسًا علميًّا ودراسيًّا قد لا يناسب الآخر. كذلك قد يلجأ الفتيان تعويضًا عن الضعف في التحصيل الدراسيّ إلى التظاهر بالقوّة أمام الفتيات. كما أنّ كثيرًا من الفتيات قد يخجلن من التعبير أمام الفتيان.

٥ - يحتاج الطفل إلى أصدقاء وزملاء من الجنس نفسه، فلا نتعجّل في

coptic-books.blogspot.com

إعطائه صورة عن مجتمع البالغين لأنّ لكلّ سنّ مجتمعه.

٦ - إنّ مراكز اهتمام الصبيّ (النشاط الرياضيّ مثلًا) تختلف عن مراكز اهتمام الفتاة (الموضة، تنظيم المنزل).

٧ - التربية: قد تكون مطابقة لأحد الجنسين وغير مطابقة للآخر. فيحتاج الصبيان إلى نوع من القسوة لا تحتملها الفتيات مثلًا.

• الصفات الأساسيّة عند الرجل والمرأة وتكامل الجنسين

الرجل	المرأة
١ - يتميّز بنزعة تناسليّة قويّة قد تستقلّ عن العاطفة. وقد يرجع هذا إلى أنّ أعضاءه التناسليّة خارج جسمه أي شبه مستقلّة عن جسده.	- تشعر بارتياح عميق نتيجة العلاقة بين اللذّة التناسليّة والعاطفة والحبّ. وقد يرجع هذا إلى أنّ أعضاءها التناسليّة داخل جسمها، حيث يتفاعل الجنس والعاطفة معًا. فلا يمكن لفتاة أن تشعر بلذّة جنسيّة مع شابّ لا تحبّه.
* الرجل شهوانيّ وجسدانيّ.	* المرأة عاطفيّة.
٢- الرجل أقوى عضليًّا من المرأة، لكنّه قليل التحمّل للألم.	- المرأة قد تكون ضعيفة جسديًّا وعضليًّا لكنّها أقوى من الرجل في تحمّلها الألم والتعب والمشقّة، من دون أن تعبّر عن ذلك، لأنّ الألم حليفها منذ بلوغها، فهي تعاني الدورة الشهريّة والمخاض والولادة.
* الرجل قويّ، غليظ في معاملته، عدوانيّ يميل إلى السلطة والهيمنة والانطلاق في الحياة والأخذ منها.. فعادة، في العلاقة الزوجيّة، يحتضن الرجل المرأة أي يستوعبها، لأنّه الأقوى، وكأنّه يحاول أن يرجعها إلى مكانها الحقيقيّ التي أخذت منه عندما خلقت من ضلعة في جوار قلبه.	* المرأة رقيقة، هادئة، فهي الزوجة التي تميل إلى الخضوع والاستسلام أي تميل إلى أن تُؤخذ. والمرأة الأمّ تأخذ وتحضن إمّا طفلها أو زوجها أحيانًا، فيكون هو المستسلم لها وتكون هي أمّه. وثمّة جدليّة بين الحركتين: حركة الهيمنة وحركة الاستسلام.

الرجل	المرأة
٣- يستنزف الرجل ٧٥٪ من طاقته العاطفيّة في العمل و٢٥٪ في الحبّ. لذلك فإن كان الرجل ناجحًا في عمله وفاشلًا في حبّه فهذا لا يظهر كثيرًا في حياته. فهو يحبّ النجاح ويفتخر بعمله ويميل إلى النشاط في الخارج ولا يحبّ الجلوس في المنزل إلّا للراحة. ولا تهمّه كثيرًا الحياة الأسريّة، لذلك فالفشل في العمل قد يؤدّي إلى تحطيم حياته.	- تستنزف المرأة ٧٥٪ من طاقتها العاطفيّة في الحبّ و٢٥٪ في العمل، لذلك فإنّ فشل حياتها العاطفيّة والزوجيّة يحطّمها، لأنّ طاقتها العاطفيّة كلّها في مجال الحبّ. وهذا ما لا يفهمه الرجال ويسبّب مشاكل كثيرة (كما حدث في فيلم «الخيط الرفيع»)، ورسالتها الانتظار. فهي شبيهة بالإناء الذي يستقبل، وقلبها مفتوح لانتظار زوجها وأولادها، إذ هي تميل إلى العمل في الداخل. وتهمّها كثيرًا الحياة الأسريّة، نتيجة لميلها إلى الحبّ، وتفتخر بكيانها وجمالها، وتحبّ أن تثير إعجاب الآخرين.
	- يقول بعض المحلّلين النفسيّين إنّ المرأة تستريح في المنزل، لأنّه يعتبر امتدادًا للرحم، وصورة مصغّرة معظّمة ومكبّرة عنه، فتزيّنه بزينات مختلفة، وتجعله دافئًا بالحنان، حتّى يشعر الرجل بالراحة. كما أنّها تميل إلى إطعام الرجل، فكلّ هذا عاشته مع طفلها سابقًا.
٤ - قد يتّصف بشموليّة النظر.	- قد تتّصف بنظرة ثاقبة تفصيليّة في دقائق الأمور.
٥- تخطيطه عادة بعيد المدى، فهو يبدأ بالمستقبل ويعود إلى الحاضر.	- تعيش عادة كلّ يوم شرّه، إذ تمتاز بسرعة التصرّف. لذلك فهي تبدأ بالحاضر وتصل تدريجيًّا إلى المستقبل.

coptic-books.blogspot.com

٦- **ذكاء الرجل:**
يتّصف بذكاء العقل المنطقيّ، المتسلسل، العقلانيّ، النظريّ، فللوصول إلى فكرة ما يبني هرمًا متسلسلًا.

- **ذكاء المرأة:**
تتّصف بذكاء القلب، أي إنّ ذكاءها مبنيّ على الإحساس والحدس، أعني نتيجة إحساسها التلقائيّ بالأوضاع تتصرّف وتتكلّم وتعمل. لذلك فتفكيرها ليس هرميًّا بل يمثّل قفزة فجائيّة من قاعدة الهرم إلى قمّته. ولذلك فالمرأة تفهم كلّ ما يخصّ الإنسان إذ تحسّ بمشاعر مَن أمامها.

فالمساواة بين الرجل والمرأة لا تعني تحوّل أحدهما إلى الآخر، ولا تعني التشابه بينهما. لكنّها دعوة إلى أن يكتشف كلّ منهما الصفات التي تنمّي إنسانيّته من الطرف الآخر، إذ الحبّ يبنى على هذا التكامل. وبما أنّ الحبّ هو أخذ وعطاء فمن الضروريّ أن نتبادل معًا ماضينا. فالحبّ هو افتقار إلى الآخر وإحساس بالاحتياج إليه وهذا الإحساس ليس عجزًا بل هو قوّة تدفعنا إلى التكامل والمساواة في الحقوق والكرامة والإنسانيّة رغم اختلاف الإمكانيّات: «**ليس هناك عضوٌ أعظم وأفيد من الأعضاء الأخرى، بل كلّها متساوية في وظائف مختلفة ومكمّلة بعضها بعضًا**» (١ قور ١٢: ١٢ وما يليها).

• فكرة التكامل بين الجنسين

تعبِّر الأديان المختلفة عن فكرة التكامل بين الجنسين. فيروي الكتاب المقدَّس أنّه عندما خلق الله آدم وجده وحيدًا ينقصه شريكة له. فأخذ ضلعًا منه ليخرج منه المرأة: «هذه عظم من عظامي...». فأصبح إنسانًا عندما خلق المرأة أمامه، إذ اكتملت إنسانيّته فيها وهذه تسمّى امرأة لأنّها من امرئٍ أخذت. وهي «عظمٌ من عظامي، ولحم من لحمي»، فهي قطعة من كياني ووجودي.

خلقهما الله رجلًا وامرأة وقال لهما: «انموا واكثروا واملأوا الأرض...».

حتّى في الزواج يعودون إلى الوحدة الأصليّة التي كانت منذ البدء. فالزواج هو عودة إلى الجسم الواحد بعد انفصاله. فالعودة هي حركة حبّ تكلّل الإنسان.

• أسطورة هنديّة

في البدء خلق الله الإنسان كتلةً واحدة. فوجد الإنسان ذاته وحيدًا، كما شعر به آدم في رواية الخلق، فاستلّ الله سيفه وشطر تلك الكتلة إلى شطرين وهما الرجل والمرأة اللذان من خلال حبّ أحدهما الآخر يحلو لهما أن يعودا إلى أصلهما.

فمن خلال القصص، نرى أن كلًّا من الرجل والمرأة يعتبر نفسه نصف إنسان لا تكتمل إنسانيّته إلّا باتّحاده بشخص من الجنس الآخر.

• الحبّ على شكل ثالوث

لا يتقابل الرجل والمرأة إلّا في عنصر ثالث يوحّد بينهما. مثل الصداقة التي هي ليست نظرة الواحد إلى الآخر وحسب، لكنّها نظرة مشتركة في اتّجاه واحد. وما ينقذ الحبّ والصداقة هو العنصر الثالث، هو الطفل في إطار الحبّ والزواج.

فالطفل يمثّل وحدة الزوجين في جسد واحد، ويحقّق ما فشل الاتّصال الجنسيّ في تحقيقه، كما أنّه يمكن أن ينقذ الحبّ أوقات الأزمات.

كما أنّ ولادة الطفل تسبّب انفصال الأمّ عن الأب لبعض

coptic-books.blogspot.com

الوقت، إذ تهتمّ الأمّ بالمولود الجديد ويشغلها قليلًا عن زوجها. وهذا الفصل يساعد على التقاء الزوجين في الطفل. ولوحظ أنّ زيادة عدد الأطفال في الأسرة يساعد على نموّ الحبّ في الزواج. أمّا في حالة عدم وجود أطفال فالتلاقي يكون لهدف معيّن في الحياة مثلًا تبنّي طفل، أو بحث لإنقاذ البشريّة، كما فعلت مدام كوري وزوجها.. أو مجال ثقافيّ لأنّ النقاش الثقافيّ ينقذ الزوجين من أن يبقيا على مستوى العواطف والأجساد الذي يؤدّي إلى الملل.

ولعجز بعض الناس عن إيجاد هدف يجمعهم تراهم يتبنّون قططًا وكلابًا وطيورًا... فالشرط الأساسيّ لنجاح الحبّ هو أن يكون على شكل ثالوث. إنّ صورة الثالوث مطبوعة داخل الحبّ كصورة الله تعالى، صورة نجدها في أوّل صفحة من سفر التكوين. خلق الله **الإنسان** على صورته **ذكرًا وأنثى**، خلقهم وقال لهم: «**انموا واكثروا**»: هذه العبارة الأخيرة تشير إلى الإنجاب، أي إلى الطفل الذي يمثّل العنصر الثالث.

• شروط الزواج الناجح

١ - تقارب السنّ، ويفضّل أن يكون الشابّ أكبر من الشابّة، لأنّها تنضج قبل الشابّ وتصل إلى العجز قبله.

٢ - النضوج الجسميّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والعاطفيّ، لأنّ عدم استقرار الشخصيّة يؤدّي إلى عدم استقرار الحبّ.

٣ - تقارب المستوى المادّيّ والاجتماعيّ حتّى لا يحدث شرخ بينهما، عند حدوث الأزمات التي لا بدّ منها.

٤ - تقارب المستوى الثقافيّ، في سبيل تبادل الآراء المتنوّعة بطريقة أشمل وأعمق.

٥ - كما يقوم العنصر الدينيّ بدور كبير في الترابط بين الزوجين،

خاصّة في مجتمعنا الشرقيّ. لذلك لا يُحبّذ الزواج المشترك، لأنّ كلًّا من الديانتين تختلف نظرتهما إلى الحبّ والزواج والمرأة.

coptic-books.blogspot.com

الفصل السادس

تطوّر الحبّ في الحياة الزوجيّة

من الملاحظ أنّ حدّة الحبّ لا تكون بالمستوى نفسه في أثناء الحياة الزوجيّة، وبعد فترة معيّنة من الزواج تخفّ حدّة التجاذب بين الزوجين، فتأخذ صورة الخلافات تارة، وصورة الصداقة تارة أخرى. ويمكننا القول إنّ هناك تغيّرًا في مواسم الحبّ تمامًا كما في مواسم الطبيعة، والإنسان الذي لا يعي هذه الحقيقة قد يتصوّر أنّ الحبّ قد تلاشى إن لم يكن في ربيعه. فالحبّ يتطوّر من ربيع إلى صيف فخريف وأحيانًا إلى شتاء، لكنّ الحياة تظلّ مستمرّة في أثناء هذه الفصول كلّها. وهو مجرّد تحوّل في المظهر الخارجيّ. والحبّ أيضًا يتحوّل ويتغيّر من مرحلة إلى أخرى، فلا تظنّ أنّ الشجرة التي فقدت أوراقها قد ماتت، إذ بعد الشتاء يأتي الربيع وتتجدّد فيها الحياة. على الإنسان حين يجتاز حبّه فصل الشتاء أن يحتفظ بالأمل في ربيع آتٍ، إذ إنّ الحبّ الحقيقيّ لا يموت. ويمكننا القول إنّ الحبّ يمرّ بثلاث مراحل في الحياة الزوجيّة:

• المرحلة الأولى: شهر العسل

في بداية الحياة الزوجيّة يشعر الزوجان بحلاوة الحبّ (شهر

العسل)، ونحمد الله أن يكون في أوّل المشوار شيء من العسل. هذه المرحلة قد تستمرّ شهرًا أو سنة أو أكثر، لكنّي لا أعتقد أنّ الحياة كلّها ستسير بالسلاسة نفسها. فمن الصعب أن يستمرّ الحبّ العاطفيّ، وتكون الحياة كلّها عسلًا، إذ بعد العسل يأتي البصل.

• المرحلة الثانية: خيبة أمل

يجب أن نتوقّع بعد شهر العسل شهورًا من خيبة الأمل، وإذا لم نستعدّ لهذه الشهور، بل ربمّا لهذه السنوات، فسنظنّ أنّ الحبّ قد ضاع نتيجة هذا الإحساس. وعلينا أن نميّز بين الإحساس بالحبّ والحبّ نفسه، فزوال الإحساس بالحبّ والشعور بلذّته يجب ألّا يصاحب زوال الحبّ نفسه. وهذه الفترة تختلف لجهة طولها بحسب الأشخاص والظروف، لكن يجب أن نتوقّع أنّ الاندفاع الأوّل سيخمد، والجاذبيّة الأولى ستخفّ حدّتها بل وربّما تتلاشى. لدرجة أنّه بعد فترة الانجذاب بين الجنسين سيعقبها شيء من النفور، ولا يجب أن نستغرب هذا الشعور الذي قد يصل إلى الاشمئزاز.

هذا هو اختبار الحبّ. بالطبع يجب أن لا يستمرّ هذا الإحساس. إذ كلّما كانت صورة الطرف الآخر الأولى برّاقة ومبالغة في المثاليّة، ازداد الشعور بخيبة الأمل والإحساس بعدم التوفيق في اختيار شريك الحياة. تقول: كانت ملاكًا فأصبحت شيطانًا، كلّا، إنّها غيرُ ملاكٍ، ولا شيطان. لكن تأكّد أنّ الصورة الأولى التي رأيتها فيها هي الأقرب إلى الحقيقة، والمطلوب إليك الآن أن تبحث عن مستوى أعمق من المستوى الذي توقّفت عليه حين أحببتها، ورأيتها مثل الملاك، تأكّد أنّها كذلك. حين أحببتِه وتخيَّلتِه بطلًا، كان بطلًا بالفعل، أمّا الصورة التي ترينه بها الآن فهي ترجع لأنّك توقّفت على

coptic-books.blogspot.com

جوانب هامشيّة من كيانه.

الدخول في هذه المحنة يجب أن يدعونا إلى أن نذهب إلى أعمق، لنبحث عن الذات المجرّدة التي أحببتها في أوّل وهلة. فثمّة كنز داخل كلّ إنسان: «**يشبه ملكوت السموات كنزًا مخفيًّا في حقل وجده رجل فخبّأه ومن فرحه مضى وباع كلّ شيء له واشترى ذلك الحقل**» (متّى ١٣: ٤٤). بالحبّ نكتشف كنزًا في الطرف الآخر، وعليك أن تبيع كلّ ما لديك لتبتاع هذا الحقل، وفي الزواج يبيع الإنسان كلّ ما لديه ليرتبط بمَن أحبّه ووجد فيه كنزًا.

الحبّ هو النظرة الثاقبة التي تكون لديك في البداية، وهي نظرة صائبة. قد تضطرب في فترة ما مع كونها صحيحة، فعليك إذًا أن تعود ثانية إلى النظرة الأولى، وتحاول أن تكتشف ثانية هذا الكنز، هذه القيمة النهائيّة التي جعلتك تبيع كلّ شيء لتمتلكها، وهذا يتطلّب فعل إيمان. لا تعتقد أنّ الإيمان شعور دينيّ في المعتقدات الدينيّة وحسب، بل هو الاقتناع بالأشياء غير المرئيّة وغير المحسوسة، هو تلمّس كلّ ما هو غير منظور ومخفيّ عن الأعين. ومن خلال هذا الإيمان تكتشف الحقيقة وتبرزها إلى النور.

ثق بحبيب حياتك، والثقة هي أن تمنحه الفرصة. تأكّد أنّ من وراء هذه العيوب التي اكتشفتها فيه هناك قيمة عليا نهائيّة، وبقدر اقتناعك بهذه الحقيقة بقدر ما تجد فيه هذه القيمة. العامّة تقول الحبّ أعمى، لكن الأصحّ أنّ الحبّ بصير، الحبّ يعطيك البصيرة ويجلّي نظرك، ويكشف لك عن أعمق الحقائق. إذا أردتُ أن أعرفك، فعليَّ أن أحبّك أوّلًا، وإلّا ستظلّ في نظري لغزًا. الحبّ هو غوص في داخل الذات حيث تكون هناك الجوهرة، هذا الكنز الذي من أجله أحبّ الله الإنسان. ومن هنا يجب أن يتمثَّل حبّ الزوج لزوجته بحبّ

الله للإنسان. لنتساءل: هل كان بمقدور الله أن يحبّ الإنسان إن لم يكن قد وضع في داخله قيمة عليا؟ هل يحبّ الله مخلوقًا تافهًا بمثل هذا الحبّ الذي بواسطته بذل ابنه الوحيد حتّى لا يهلك كلّ مَن يؤمن به؟ حبّ الله النهائيّ إيّانا يقتضي أن يكون هناك سبب له بالمقدار والقيمة نفسيهما، وبالعلو نفسه. حبّ الله الإنسان وحبّ الأمّ طفلَها وحبّ الزوج زوجته كلّها صور عن الحبّ، وجميعها تبرز صفة الحبّ النهائيّة المطلقة. إنّ الحبّ الزوجيّ يجب أن يتمثّل بحبّ الأمّ، وحبّ الأمّ يجب أن يتمثّل بحبّ الله إيّانا.

إذًا من خلال هذه المرحلة، من خلال المحنة، يظهر نوع الحبّ. إذا تسبّبت هذه المحنة بمشاكل وفراق وطلاق، فهذا دليل على أنّ الحبّ لم يكن منذ البداية. لِمَ؟ لأنّي تعلّقتُ بجزء من كيان الآخر ولم أتعلّق بذاته، وبزوال هذا الجزء زال حبّي إيّاه. لكن مَن يتعلّق بجوهر الآخر وبذاته، يستطيع أن يتخطّى كلّ الخلافات. أساس الحبّ والزواج هو الإرادة والالتزام. بالطبع في البداية ينقاد الإنسان بالجاذبيّة الجنسيّة والعاطفيّة، ولكن بعد ذلك يبرز دور الالتزام. في إحدى العظات سمعت الكاهن يوجّه نصيحته إلى الزوجين قائلًا: «حتّى الآن كان الحبّ هو الذي حَمل زواجكما، ومن الآن فصاعدًا فالزواج هو الذي سيحمل حبّكما». حين تشعر بالمشاكل تتزايد، وتروح تفكّر في الانفصال، تمسّك بهذه الصخرة، صخرة الالتزام. لقد وعدتها بالحبّ مدى الحياة، تمسّك بهذا الوعد. هي حبّك الوحيد، هي حياتك، انسَ الهوى والنزوة، وتمسّك بها. إنّ الحبّ لا يتكرّر.

coptic-books.blogspot.com

• **المرحلة الثالثة: إكتشاف الآخر مجدّدًا**

هي العودة إلى مرحلة الحبّ الأولى، ولكن بصورة واقعيّة جديدة، بعد أن جازت المحنة وتجاوزت خيبة الأمل، وتخطّت العقبات والمشاكل. هي مرحلة استطاعت أن تبلغ عمق كيان الآخر، ومحبّته بلا خداع. إنّ الحبّ الذي لا يستطيع أن يبلغ هذه المرحلة هو حبّ غير مكتمل. في هذه المرحلة يتحوّل الحبّ من حركة أخذ إلى حركة عطاء، أو من حبّ إلى محبّة. يكفي أن نفكّر في الشيخوخة حين يصل كلا الزوجين إلى سنّ متقدّمة، وقتها لا تبقى أيّ جاذبيّة تُذكر عند الآخر، بل قد يكون مصدر مشاكل ومتاعب في هذه الأوقات سيستمرّ الحبّ الوفي بلا شروط ومن دون مقابل.

الفصل السابع

وحدانيّة الحبّ والزواج

هناك فيلم فرنسيّ قصير اسمه السعادة «Le bonheur» يحكي قصّة زوج يحبّ زوجته كثيرًا، لكنّه إلى جانب زوجته كان يعشق إحدى الفتيات، وكان يمارس الجنس مع الاثنتين من دون علم زوجته. وفي أحد الأيّام قرّر مصارحتها بهذه الحقيقة. قال لها: أنصتي يا عزيزتي، أنا أحبّ فتاة أخرى، لكن لا تخافي، فحبّي إيّاها بدلًا من أن يقلّل من حبّي إيّاكِ تأكّدي أنّه يزيده اشتعالًا، حبّي إيّاها يجعلني أحبّك أكثر فما رأيك؟ وصمتت الزوجة ولم تجب، وفي الصباح استقيظ الزوج فلم يجد زوجته بجواره، وبحث عنها، وأخيرًا وجد جثّتها تحت الصخرة. لقد انتحرت. كان يعتقد أنّ الإنسان يستطيع أن يقسّم قلبه إلى قسمين ويعطي كلّ شخص جزءًا، لكنّ الحقيقة أنّ المرأة حين تكتشف أنّ هناك مَن ينافسها في حبّ زوجها، وأنّها ليست المركز الوحيد لحبّه، ساعتها تفقد معنى الحياة.

تأكّدوا أنّ هناك زوجات تعرّضن لخيانة أزواجهنّ، أولئك الزوجات يعشن وهنّ أموات. لقد فقدن معنى الوجود، فقدن الإحساس بالكرامة والكيان. فالحبّ مسؤوليّة كبرى، وإن أحببت فتاة ستكون مسؤولًا عنها حتّى الموت. باستطاعتك أن تجعلها تعيش أو

coptic-books.blogspot.com

تموت حتّى وإن ظلّت تتنفّس، وإن لم تمت بالجسد فهي ميتة أدبيًّا ومعنويًّا: «**سمعتم أنّه قيل للأوّلين لا تقتل فإنّ مَن قتل يستوجب الدينونة، أمّا أنا فأقول لكم إنّ كلّ مَن غضب على أخيه يستوجب الدينونة**» (متّى ٥: ٢١، ٢٢). فقتل المحبوب لا يكون بسلاح بقدر ما يكون بكلمة أو حركة بسيطة. الحبّ سلاح خطير يحيي ويميت، وهذا السلاح في يدك، فالقلب لا يتحمّل المشاركة، ولا يستطيع إنسان أن يحبّ اثنين.

وحدانيّة الحبّ والزواج هذه ليست شريعة موسى ولا شريعة المسيح وحسب، بل بالإضافة إلى ذلك وقبل ذلك، هي شريعة الطبيعة. قيل للمسيح: «**هل يحلّ للإنسان أن يطلّق زوجته لأجل كلّ علّة. فأجاب قائلًا: أما قرأتم أنّ الذي خلق الإنسان في البدء ذكرًا وأنثى خلقهما وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا. فليسا هما اثنين بعد ولكنّهما جسد واحد، وما جمعه الله لا يفرّقه إنسان**» (متّى ١٩: ٣-٦).

صلة الزواج مقدّسة ونهائيّة: «ويكونان كلاهما جسدًا واحدًا». هل من الممكن أن نفصل الجسد الواحد إلى جزئين، ثمّ يستطيع أيّ جزء منهما أن يعيش بعد ذلك؟! من هنا أقول إنّ الطلاق جريمة، ليس في حقّ الأطفال وحسب، ولكن في حقّ الزوجين نفسيهما أيضًا. وهذا ينطبق أيضًا على مبدأ تعدّد الزوجات. فتعدّد الزوجات معناه أن الزوجة لم تعد شريكة حياة فريدة ووحيدة، وعلاقة الزوج بزوجته لم تعد علاقة حبّ، بل أصبحت علاقة ملكيّة. فكما أمتلك عددًا من الكراسي، وعددًا من القمصان، أستعملها كلّها أو بعضها، كذلك يكون عندي عدد من الزوجات. فأين آدميّة المرأة؟! تعدّد الزوجات هو إهانة للمرأة، والغريب أن نتحدّث عن حقوق المرأة، ثمّ نسمح بتعدّد الزوجات.

من هنا نرى أنّ الطلاق وتعدّد الزوجات مبدآن مرفوضان، لا لأنّ المسيح رفضهما والكنيسة حرّمتهما، بل لأنّ كلًّا منهما يناقض طبيعة الحبّ، وهذا ما يبرّر موقف كلٍّ من المسيح والكنيسة.

يرى بعضهم أنّني بهذا أعقّد الحبّ، لأنّ الحبّ في رأيهم يجب أن يكون شيئًا مسلّيًا ومفرحًا. فإذا عملنا بهذا الرأي سنصل إلى المستوى المنحدر الذي وصل إليه بعض الشبّان في الغرب. فالمسيحيّة هي التي أوصلت الغرب إلى القمّة التي وصل إليها، وما يهدّد الغرب في كيانه الآن هو فقدان الإيمان المسيحيّ. فلا تصدّق مَن يقول لك دعك من هذا الكلام وعش حياتك بفرح. ستجد لذّة ولكنّك لن تجد سعادة والفرق كبير بين الاثنين. قد تجد متعة وقتيّة عابرة في مغامرة جنسيّة خارج الزواج لكنّك وبالتأكيد لن تجد الفرح والسعادة. وهنا أودّ أن أؤكّد أنّ التجارب التي يمرّ بها الإنسان في الزواج كثيرة: فالرجل سيقابل زميلة أو سكرتيرة في عمله أجمل وألطف من زوجته، والزوجة قد تصادف جارًا في المبنى أجمل من زوجها، فلنحذّر من هذه التجارب، وعلينا مقاومتها محافظة على حبّنا.

في هذا الصدد أحذّركم من دور الخيال في هذه التجارب. لا تدع خيالك يأخذك بعيدًا، ولا تحلم بزوجة أجمل من زوجتك، ولا تحلمي برجل أجمل من زوجك، لأنّ هناك مَن يعتقد أنّ الإخلاص يقتصر فقط على عدم الخيانة بالزنى. فالمسيح يحذّرنا: «**مَن نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه**» (متّى ٥: ٢٨).

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثامن

سرّ الزواج المسيحيّ

لماذا نطلق على الزواج لفظة سرّ؟ وما هو معنى سرّ الزواج؟ وما هو الفرق بين الزواج المسيحيّ وغير المسيحيّ؟ وهل يعتبر زواج غير المسيحيّين زواجًا سليمًا مع كونه ليس سرًّا؟ بالطبع، إنّ آدم وحوّاء لم يكونا مسيحيّين، وكان زواجهما سليمًا تمامًا. كما أنّ الزواج خارج الكنيسة في العهد القديم كان شرعيًّا. إذًا، ماذا تضيف لفظة سرّ إلى الزواج المسيحيّ؟

الزواج في المسيحيّة له بعد يمتاز به عن الزيجات الأخرى. فالمسيحيّة تعبّر عن معنى الزواج النهائيّ وتبشّر به، في حين أنّ لا إعلان بهذا المعنى في بقيّة الزيجات. سرّ الزواج هو سرّ ارتباط الرجل بالمرأة تمامًا كارتباط المسيح بالإنسانيّة في سرّ التجسّد والفداء. فكما يتزوّج الرجل ويحتضن زوجته ليكونا جسدًا واحدًا، كذلك بالتجسّد اتّخذ المسيح جسدًا وناسوتًا، واحتضن البشريّة. وفي القدّاس القبطيّ نقول في صلاة الاعتراف: «أمين..» وهي بداية تدلّ على خطورة الإعلان الذي يليها، بها تشير الكنيسة إلى مدى أهمّيّة هذا الإعلان: «واعترف إلى النفس الأخير..»، وهي عبارة قويّة لم تكرَّر في القدّاس: «إنّ هذا هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد.. أخذه من

سيّدتنا كلّنا.. **وجعله واحدًا** مع لاهوته..» تمامًا كما جاء في سفر التكوين: «ويكونان كلاهما جسدًا واحدًا». ونكمل في صلاة الاعتراف: «بالحقيقة أومن أنّ لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، ولا طرفة عين، **«فما جمعه الله لا يفرّقه إنسان»** (متّى ١٩: ٦).

رفض الطلاق مبنيّ على أنّ المسيح تزوّج البشريّة بالتجسّد ولم يطلّقها، أو يرفضها، حتّى ولو أخطأت. فرغم كثرة خطايانا لم يتركنا: «لا ترذلني ولا ترفضني ولا تتركني.. يا ربّ ارحمني..» مهما أخطأ الإنسان فالله لا يرذله، والمسيح اختارنا له أحبّاءً حتّى النهاية. هذا الارتباط هو ارتباط نهائيّ، وحبّه إيّانا لا عودة فيه: **«إنّ هذا السرّ عظيم. أقول هذا بالنسبة إلى المسيح والكنيسة»** (أف ٥: ٣٢). على أنّ زواج الله بالإنسانيّة الذي تمّ في شخص المسيح، قد بدأت أحداثه قبل ذلك. فمَن يفتّش في العهد القديم يجد الكثير من النصوص الكتابيّة التي سجّلت علاقة الله بالإنسان. والبداية كانت حين اختار الله شخصًا اسمه إبراهيم، وشعبًا له أسماه إسرائيل: **«فأخذتُ إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كلّ أرض كنعان، وأكثرت نسله وأعطيته إسحق»** (يش ٢٤: ٣)، **«لأنّك أنت شعب مقدّس للربّ إلهك. وإيّاك قد اختار الربّ إلهك لتكون له شعبًا أخصّ من جميع الشعوب التي على وجه الأرض»** (تث ٧: ٦)، أيضًا في (خر ٣: ١٠، ١٩: ٥، تث ٧: ٧، ٨ أش ٤١: ٨، ٩، أش ٤٣: ١٠، ٢٠). إذًا، حبّ الله ليس بالجملة، بل هو اختيار وامتياز، ومشكلة الله في الاختيار هي مشكلة الشبّان نفسها الذين يودّون الزواج.

ويخطب الله الإنسانيّة لنفسه بعد اختياره إيّاها: **«ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلهًا ويكونون لي شعبًا»** (خر ٣٧: ٢٧). ويصوّر لنا الكتاب طبيعة علاقة الله بشعبه: **«ويكون في ذلك اليوم.. يقول الربّ**

coptic-books.blogspot.com

إنّك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي... وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحقّ والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الربّ» (هو ٢: ١٦، ١٩، ٢٠)، هذه العلاقة المبنيّة على وفاء الله بوعده رغم كلّ خيانة الإنسانيّة له. تعالوا نسمعه وهو يقصّ أحداث هذه الخيانة: **«أمّا ميلادكِ يوم ولدتِ فلم تقطعي سرّتك، ولم تغسلي بالماء للتنظيف، ولم تملّحي تمليحًا، ولم تقمّطي تقميطًا... فمررت بك ورأيتك وإذ زمنك زمن الحبّ، فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك، ودخلت معك في عهد يقول السيّد الربّ فصرت لي، فحمّمتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت... فاتّكلتِ على جمالك وزنيت على اسمك، وسكبت زناك على كلّ عابر فكان له... ولكن اذكري عهدي معك في أيّام صباك، وأقيم لك عهدًا أبديًّا... لكي تتذكّري فتخزي ولا تفتحي فاك بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كلّ ما فعلتِ يقول السيّد الربّ»** (حز ١٦).

وفي سفر الرؤيا نرى تصويرًا للنهاية السعيدة، نرى الكنيسة عروسًا تتهيّأ لتقابل بعلها: **«وأنا يوحنّا رأيت المدينة المقدّسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيّأة كعروس مزيّنة لرجلها»** (رؤ ٢١: ٢). فكأنّ البشريّة كلّها زوجة واحدة تتّحد بالمسيح اتّحادًا كاملًا.

فسرّ الزواج إذًا، يعلن عن ارتباط الزوجين كارتباط الله بالبشريّة. وليتنا نستطيع من خلال خبرتنا في الحبّ، سواء أعشناه أم رأينا الآخرين يعيشونه، أن نستشفّ من ذلك عظمة الحبّ الذي اكتنفنا به المسيح. وكثيرًا ما يحدث حين أشاهد بعض مواقف الحبّ في السينما أو التليفزيون أن أصلّي وأتأمّل من خلال هذه المشاهد، لتصبح مصدر

وحي إلهيّ في حياتي. المشاهد التي كنّا نعتبرها مثيرة حين كنّا صغارًا، تصبح مصدر تأمّل لا ينضب، من خلالها نستجلي أبعاد الحبّ الإلهيّ، وقدسيّة الحبّ الإنسانيّ. وهدفي من كلّ هذا أن أساعدكم لتعيشوا في جوّ من التأمّل والصلاة في صميم الحبّ والحياة. ومن خلال هذا نرتقي إلى أعلى ونتغذّى غذاءً روحيًّا، فالإنسان يستطيع أن يصلّي خارج الكنيسة كما يصلّي في داخلها. وهذا يفسِّر لنا وجود سفر نشيد الأناشيد في الكتاب المقدّس شاهدًا للحبّ الإلٰهيّ.

coptic-books.blogspot.com

الباب الخامس

نحو زواج ناجح

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

الاستعداد للزواج

• أهمّيّة الإعداد للزواج

ممّا يدعو إلى الأسف الشديد أنّ المحاضرات والدورات التي تعقد وتهدف إلى إعداد الشبّان والشبّات للزواج نادرة جدًّا، حتى وإن تمّت فغالبًا ما تكون مركّزة على البعد الروحيّ وحده، بدون أن تمتدّ إلى الجانب البيولوجيّ، والجانب النفسيّ والاجتماعيّ، وهي جوانب لا بدّ من التركيز عليها. فموضوع الزواج ليس موضوعًا روحيًّا وحسب. بالطبع فبعد الزواج الروحيّ مهمّ جدًّا، لكن الإعداد للزواج يحتاج إلى أبعاد أخرى من واقع حياتنا. علينا أن ندخل في التفاصيل من دون خوف أو خجل، ونتحدّث عنها باحترام وفي الوقت نفسه بهدوء وبساطة.

• الحبّ عِلْم يجب أن نتعلّم أصوله

يقضي الإنسان سنوات من عمره ليتعلّم القراءة والكتابة، وسنوات أخرى ليتعلّم الهندسة أو التجارة أو الطبّ. حتّى في المهن البسيطة يمضي الفرد سنوات في تعلّم أصول النجارة أو الكهرباء أو ميكانيكا السيّارات... إلخ. كلّ هذه الخبرات نكتسبها بالتعليم، لكن

coptic-books.blogspot.com

حين نصل إلى موضوع الحبّ والزواج نجد الجميع يدّعون أنّهم يعرفونه بالفطرة، وهذا سبب من أسباب فشل الزواج في كثير من الأحيان، حين يدخل الإنسان فيه بطريقة ارتجاليّة تلقائيّة. شابّ يقابل فتاة جميلة، يعجب بها من أوّل نظرة، إذن يتزوّجها. وما دام عنده شقّة، ويعرف كيف تتمّ العلاقة الجنسيّة، هذا في نظره كلّ المطلوب. فهناك اعتقاد أنّ الزواج هو علاقة جنسيّة ليس إلّا.

الحقيقة أنّ الحبّ والزواج كما ذكرت هما علم يجب على الإنسان أن يتعلّمه، وفي اعتقادي أنّه يحتاج إلى وقت طويل لمعرفة أصوله، ولهذا نجد أنّ الشابّ لا يعرف معنى الحبّ الحقيقيّ. وبما أنّ الحبّ والزواج هما جوهر حياتنا، وهما أهمّ بكثير من حرفتنا، فكيف لا نوليهما القدر نفسه من الاهتمام والجدّيّة؟ سعادتك وسعادة الطرف الآخر، وسعادة أبنائكما كلّها مرتبطة بالنجاح في الزواج، وسعادة المجتمع كلّه مبنيّة على سعادة هذه الخلايا الأسريّة، لذلك فنجاح المجتمع يقوم على نجاح كلّ زواج. ومن هنا تظهر لنا أهمّيّة الإعداد للزواج.

• هذا التعليم لا يخلو من أخطاء

هل يتعلّم إنسان الكتابة على الآلة الكاتبة من دون أن يخطئ كثيرًا؟ هل نتعلّم لغة جديدة من دون أن نقع في الكثير من الأخطاء؟ هل يتعلّم طفل المشي من دون أن يسقط مرارًا؟ لا نتعجّب إذًا، إذا ما أخطأنا ونحن نتعلّم الحبّ، فالإنسان لا يستطيع أن يتحكّم في طاقته الجنسيّة بسهولة. فبعد سنّ المراهقة وانفجار الطاقة الجنسيّة يحتاج الفرد إلى فترة طويلة حتّى يتعلّم كيف يضبط نفسه، حتّى يمكنه توجيه هذه الطاقة الجديدة التي تفجّرت فيه. لا نتعجّب إذا حدثت أخطاء.

الملاك لا يخطئ لأنّه روح بلا جسد، أمّا نحن، فلكي نربط بين الجسد والروح، وحتّى نتحكّم في هذه الطاقات، كثيرًا ما نتعرّض للسقوط، لكن على أساس أن نقوم من سقطتنا. الطفل حين يتعلّم المشي يسقط على الأرض، ثمّ يقوم ليسقط مرّة أخرى، وهكذا. لكن سيتعلّم بعد جهد كيف يمشي من دون أن يسقط.

إذًا، لا تخف أن تسترشد بخصوص أخطائك في هذا المجال، لا تخف أن تنطلق ثانيةً، لا تتحطّم وتيأس، قف مرّة أخرى وحاول مجدّدًا، لكن على أساس أن تتعلّم من الأخطاء السابقة. حلّل المواقف التي تتعرّض فيها للسقوط، واسأل عن السبب؟ وكيف السبيل؟ ثمّ شيئًا فشيئًا تتعلّم. أحيانًا يسود الاعتقاد أنّ الإنسان عليه أن يعبر مرحلة المراهقة ويصل إلى قمّة الاتّزان، لكن هناك القليل الذي يستطيع أن يفعل هذا. فعادة يحاول الإنسان، ويخطئ، ويقوم، ويسقط مرّة أخرى، ومن خلال ذلك يتعلّم عن طريق خبرته الذاتيّة، بالإضافة إلى قراءاته وتفكيره وحواره مع الآخرين. ولا ننسى دور الصلاة في هذا المجال، فالإنسان الذي لا يلجأ إلى الله في هذه المواقف لا يستطيع أن يثبّت قدميه. نحتاج إلى قوّة فائقة الطبيعة، إذ عنصر الصلاة مهمّ جدًّا حتّى يستطيع الإنسان أن يحقّق في ذاته الاتّزان.

• حافظ على قدراتك الجسميّة والعاطفيّة

يجب عليك أن تحافظ على قدراتك الجسميّة والعاطفيّة قبل الزواج حتّى لا تقدّم إلى شريكة (أو شريك) حياتك جسمًا مستهلكًا مرّ بالكثير من التجارب العاطفيّة والجنسيّة. يجب أن تكون هديّتك جميلة وجديدة، لهذا حافظ على ذاتك لتهديها إلى شريك حياتك بجمالها وشبابها.

coptic-books.blogspot.com

وقد ساد أوروبا في وقت ما مذهب غريب مؤدّاه أن الإنسان عليه أن يجرّب الحبّ قبل الزواج حتّى يعرف معناه، وكانت النتيجة عكسيّة. فهذه التجربة بدلًا من أن تسفر عن زواج مستقرّ كما توقّعوا، حدث العكس تمامًا، فالشابّ الذي عاشر عدّة فتيات قبل الزواج، يجد لديه الاستعداد لمعاشرة غيرهنّ بعد الزواج، وهكذا.

هذا عن ممارسة ضبط النفس قبل الزواج. لكن هل معنى هذا أن يضبط الإنسان رغباته الجنسيّة قبل الزواج حتّى يتزوّج، وحينئذ يفعل ما يحلو له؟ كلّا، لأنّ الضبط الذي ستكتسبه قبل دخولك في الزواج، سوف تحتاج إليه داخل إطار الزواج. وهناك الكثير من الدواعي لهذا الضبط حتّى بعد الزواج، نستطيع أن نقسّمها إلى دواعي جنسيّة وأخرى عاطفيّة.

أوّلًا: من الناحية الجنسيّة

١ - هناك بعض الأسباب التي تضطر الزوج إلى فترات امتناع عن ممارسة العلاقة الجنسيّة مع زوجته، منها سفر أو مرض شريكة الحياة، وفي أثناء فترة الحيض لدى الزوجة، أو في أثناء فترة الخصوبة للذين يمارسون تنظيم الأسرة بالطريقة الطبيعيّة. هذا يجعل الإنسان في احتياج إلى التحكّم في غريزته الجنسيّة، حتّى يستطيع أن يمتنع من دون أن يمثّل هذا مشكلة له. لذلك حين يتعوّد ضبط النفس قبل الزواج فلن يلاقي صعوبة في ذلك أثناءه.

٢ - ذكرنا أنّ الرجل ذو طبيعة جنسيّة، والمرأة ذات طبيعة عاطفيّة، وعادة ما يحدث في أثناء العلاقة الجنسيّة أن تكون المرأة بطيئة نوعًا ما في إحساسها باللذّة الجنسيّة، بعكس الرجل. هذا يقتضي من الزوج إعداد زوجته لإيقاظ الرغبة لديها. فعلى الشابّ أن يدرك هذه النقطة للوصول إلى توافق جنسيّ بين الزوجين. وأريد

في هذا الصدد أن أوضح ما هو المقصود بتعبير الانسجام أو التوافق الجنسيّ بين الزوجين.

يبدأ الشعور الجنسيّ بإحساس عامّ مستحبّ، ثمّ يشتعل وينفجر في قمّة من النشوة الوقتيّة. ومن المفضّل أن يصل الزوجان إلى هذه القمّة في وقت واحد. ويتمّ هذا في أن يضبطا مشاعرهما وحركاتهما. ولمّا كان الرجل سريع الاستجابة للمؤثّرات الجنسيّة، لذا يقع عليه الدور الأكبر في هذا المجال. فإن لم يستطع الرجل أن يضبط نفسه في اللقاء الجنسيّ، وحصل القذف قبل أن تصل الزوجة بدورها إلى ذروة اللذّة الجنسيّة، ففي هذه الحالة ستشعر الزوجة بنفور من هذا اللقاء. فعلى الرجل أن يحاول إيقاظ الرغبة لدى زوجته حتّى يحدث التوافق والانسجام، ممّا يساعد على استقرار الحياة الزوجيّة.

والخلاصة إنّ كلًّا من الرجل والمرأة يحتاجان إلى التدريب على ضبط النفس قبل الزواج وبعده. بعضهم يعتقد أنّ الزواج يحلّ مشكلة العفّة، كلّا... فالزواج يصبح مهدَّدًا بالفشل إن لم يتوفّر فيه نضج معيّن.

ثانيًا: من الناحية العاطفيّة

هل تعتقد أنّك بعد أن أحببت زوجتك، فلن تشعر بميل إلى فتيات أخريات؟ بالتأكيد بعد أن أحببت زوجتك ورأيتها جميلة ومناسبة من جميع الوجوه، فثمّة الكثيرات ممَّن سيلفتن اهتمامك، وهذا شيء طبيعيّ. فإن لم تتعوَّد ضبط النفس قبل الزواج، ظنًّا منك بأنّك تتسلّى وحسب، فما ستكون النتيجة؟ سيحدث بعد أن ترتبط بزوجتك أن تفعل كما كنت تفعل قبل الزواج.

coptic-books.blogspot.com

• تأخير سنّ الزواج فرصة للمزيد من النضج

في بعض المجتمعات البدائيّة، يتزوّج الشبّان بمجرّد بلوغهم سنّ ١٢-١٥ سنة. وما زال هذا الوضع قائمًا تمامًا في قرى مصر. ولكن من الملاحظ أنّه كلّما تقدّم المجتمع، تأخّرت سنّ الزواج. ويرجع هذا إلى أسباب عديدة أهمّها:

١ - أزمة الإسكان: وهي من أهمّ أسباب تأخير الزواج في أيّامنا هذه.

٢ - العامل الاقتصاديّ: فالشابّ يحتاج إلى أن يعمل حتّى يستطيع تأسيس بيته الزوجيّ.

٣ - طول مدّة الدراسة: التي لا تتمّ قبل سنّ الخامسة والعشرين.

كلّ هذه العوامل وغيرها قد أثّرت في تأخير سنّ الزواج حتّى ٣٠-٣٥ سنة عند الشابّ، و٢٢-٢٧ سنة عند الفتاة. وبالطبع أسهم هذا في تخفيض الزيادة السكّانيّة الرهيبة، لدرجة أنّه في بعض البلاد كالصين الشعبيّة صدر قانون بتأخير سنّ زواج الشابّ.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هذه الطاقة التي تتفجّر في سنّ الثالثة عشرة، كيف يتصرّف فيها الإنسان طوال المدّة التي تسبق الزواج، والتي قد تصل إلى عشرين عامًا أو يزيد؟ والإجابة عن هذا السؤال تجرّنا إلى الحديث عن توجيه الطاقة الجنسيّة، إذ أسهبنا في شرح المجالات الكثيرة التي يستطيع من خلالها الشباب توجيه طاقته الجنسيّة هذه. من ناحية أخرى، يجب ألّا نعتبر هذا التأخير في سنّ الزواج كارثة، بل علينا أن نجد فيه خير فرصة للمزيد من النضج، فالزواج يحتاج إلى شخصين ناضجين، وبخاصّة الشابّ. فبعضهم يعتقد أنّ الحلّ الوحيد لشاب منفلت الأخلاق يكمن في زواجه، حتّى يتخلّص الآخرون من مشاكله، بأن يقدّموا إليه فتاة يلهو بها. هذا تفكير مدمّر، لأنّ الزواج ليس علاجًا لمثل هذه الحالة. فمَن يقدم على

الزواج هذا دون أن يصل إلى النضج الكافي بالتأكيد سوف يكون زواجه فاشلًا. فالزواج والحبّ كلاهما محتاجان إلى المزيد من النضج والاتّزان في الشخصيّة، وأكرّر، خصوصًا الرجل. فالزواج حياة مشاركة، وليس مجرّد اتّصالات جنسيّة.

يجب أن يقدّم كلّ طرف إلى شريك حياته مجالًا واسعًا، يجد فيه قيمًا وأبعادًا جديدة، لا أن يقدّم إليه مجرّد جسدٍ خالٍ من أيّ عمق أو ثقافة أو فكر. فالرجل يحتاج إلى زوجة شريكة حياة لديها أبعاد ثقافيّة وذهنيّة، لأنّه لا يتعامل مع جسد وحسب، بل مع إنسان. لذا وجب على المرأة أن تعدّ نفسها ثقافيًّا وعلميًّا واجتماعيًّا، حتّى لا تكون مساهمتها في الزواج مجرّد حجرة نوم أو مطبخ، لأنّ الرجل يحتاج إلى إنسان يشاركه حياته.

من هنا يجب اعتبار فترة ما قبل الزواج فترة إعداد متاحة لكلا الطرفين، وذلك بصقل الشخصيّة، وتثقيف الذهن. فالزواج هو نقطة وصول قبل أن يكون نقطة انطلاق. نقطة وصول بعد إعداد طويل، ثمّ نقطة انطلاق جديد لفترة أخرى من الحياة.

• مفهوم سليم عن المرأة

أريد أن أشدّد على هذا الأمر، فالمطلوب أن نكوّن مفهومًا سليمًا عن المرأة، وبخاصّة في بلاد الشرق. وهنا أنصحكم بمطالعة مجموعة كتب للأديبة نوال السعداوي، منها كتاب **المرأة ليست لعبة الرجل**. هذه الكتب ناقشت فيها الكاتبة وضع المرأة في بلادنا سابقًا، وهو وضع مأساويّ في الكثير من الأحيان.

وقد بدأت حركة تحرير المرأة في مصر سنة ١٩٢٢، حيث خرجت بعض السيّدات في شوارع القاهرة، بعد أن نزعن الحجاب،

coptic-books.blogspot.com

وسرن في طريق الجامعة بزعامة السيّدة هدى شعراوي، وطالبن بحقوق المرأة، وبمساواتها بالرجل، وهذا بالطبع حقّها رغم كلّ الاختلافات التي تحدّثنا عنها في موضع سابق. فهذه الاختلافات لم تُظهر لنا أنّ المرأة أقلّ قيمةً من الرجل، كما لم تظهر لنا العكس. ووجدنا أنّ كلّ جنس يتّصف بنوعيّة خاصّة من الذكاء. وما دمنا لا ندرك أنّ المرأة متساوية تمامًا مع الرجل، فهناك خطر يهدِّد استمرار الزواج. وللأسف، ما دام المجتمع الريفيّ مبنيًّا على سيادة القوى العضليّة، فبالطبع ستكون السيادة للرجل. وللأسف فهذا الوضع كائن أيضًا في بعض الأسر المسيحيّة هناك.

جاءتني إحدى الفتيات تشكو كونها عصبيّة، تثور لأتفه الأسباب. قلت لها قصّي عليَّ برنامج حياتك اليوميّ، قالت: أستيقظ في الخامسة صباحًا، أعدّ الإفطار لإخوتي كلّ واحد بدوره، ثمّ أغسل الأطباق، وأرتدي ملابسي لأذهب إلى الكلّيّة. كانت هذه الفتاة البنت الوحيدة مع خمسة أخوة وأمّها المريضة. خمسة أخوة كلّ منهم يستيقظ في وقت مختلف، ويحتاج إلى كوب شاي، ثمّ يتناول إفطاره بمفرده. وما إن تعود المسكينة من كلّيّتها مرهقة، حتّى تبدأ بتحضير الغداء، تغسل وتكوي وتخيط، وتذهب إلى السوق، وتذاكر دروسها، وتحضِّر العشاء، ثمّ تنام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. قلت لها: وبعد كلّ هذا تتعجّبين لكونك عصبيّة! يجب أن تتمرّدي على هذا الوضع.

تأكّدوا أنّه ما دمنا لم ندخل الزواج بمفهوم صحيح عن المرأة، ستكون النتيجة أن نتعب أنفسنا وزوجاتنا أيضًا. وفي النهاية لن نحصل على الحياة السعيدة التي ننشدها. فالمساواة التي نرفع شعارها لها معانٍ يوميّة حياتيّة، وليست مقتصرة على مبادئ وشعارات نردّدها. هل

نعلم أنّ مساواة الجنسين تقتضي أن يساهم الرجل في كلّ واجبات المنزل: كالعناية بالطفل، والطبخ والتنظيف، وأن يُتقن خدمات البيت كلّها؟ أنا لا أنادي بالتمرّد لأنّ التمرّد سوف يزيد الخلافات بين الزوجين، لكن أطلب إلى الشبّان والرجال أن يحترموا شريكة حياتهم احترامًا كاملًا، وأن يمنحوها كلّ الحقوق التي يتمتّعون بها.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

إختيار شريك الحياة

أوّلًا: أسس اختيار شريك الحياة

أ - **النضج**: وهو شرط ضروريّ جدًّا، وبخاصّة للشابّ، بحيث يكون قد أنهى فترة الدراسة والتجنيد، واستقرَّ في الحياة إلى حدّ ما.. لهذا لا أشجّع زواج الشابّ وهو طالب، نظرًا إلى ما يترتّب عليه من مشاكل، بخاصّة تدخّل الوالدين في شؤونه الأسريّة.

ب- **الاستقلال عن منزل الأسرة**: وهذا ينطبق على كلّ من منزل أسرة الزوج أو الزوجة، حتّى وإن اضطرّتهم الظروف للمعيشة في كوخ، فليتجنّبوا تدخّل الأهل في أمور حياتهم الزوجيّة الذي يكون في غالب الأوقات ذا تأثير هدّام على بنيان الأسرة الجديدة التي يجب أن تنشأ مستقلّة. هذه هي وصيّة الله الأولى للإنسان في أوّل نصّ ذكر فيه موضوع الزواج في الكتاب المقدّس: «**لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته**» (تك ٢: ٢٤). قالها الله بكلّ وضوح، حيث لا مجال لأيّ سبب.

أنا أعلم بتأثير مشكلة الإسكان في هذه الأيّام، ولكن أصرّ على هذه النقطة. فالأمّ تعوّدت مدى فترة طويلة أن تدير منزلًا، وهي لن تسمح بسهولة لزوجة ابنها أو لابنتها أن تغيِّر هذا النظام الذي سارت عليه طوال ما يزيد عن ثلاثين عامًا. وبعد فترة تتراكم

المشاكل، ثمّ تنفجر. لذا أنصح المتزوّجين حديثًا، بأن يحدّدوا هم أسلوب حياتهم، ومن حقّ الزوجة أن تختار نظام بيتها، وهذا يتطلّب الاستقلاليّة في المسكن.

وامتدادًا لهذه الفكرة أنصح بعدم معيشة أحد الوالدين لفترة طويلة في منزل الابن والابنة، هذا طبعًا مع عدم إغفال واجب إكرام الوالدين. وإذا كان هذا الكلام صحيحًا فهو ينطبق بالأكثر على الأمّ، لأنّ الأب يستطيع أن يعيش مع ابنه أو ابنته من دون أن يمثِّل مشكلة كبيرة، لأنّه عادة لا يتدخَّل في شؤون البيت مثل الأمّ. فإن كانت هذه الفكرة غير قابلة للتطبيق، فعلى الأقلّ تكون هناك فترة استقلال لمدّة أربع أو خمس سنوات، وهي الفترة اللازمة حتّى يتمّ التفاهم بين الزوجين. وفي رأيي أنّ هذه الفترة ضروريّة جدًّا حتّى تستطيع الأسرة الجديدة أن توطّد أقدامها في الحياة، بل ومن المفضّل ألّا تكون الإقامة في بلد الوالدين نفسه.

على الزوجين أن يصلا إلى أسلوب مشترك للتعايش معًا، فلكلّ طرف طباعه وشخصيّته المختلفة، لكن عليهما أن يحدِّدا معًا طابعًا خاصًّا للأسرة، وأسلوبًا مشتركًا يصلان إليه معًا. هذا أمر يحتاج إلى لقاء مستمرّ بين الزوجين من دون أيّ تدخّل من الآخرين، مهما كانت درجة القرابة أو الصداقة. فقد التقيت بالكثير من المتزوّجين حديثًا، وكانوا يتصوّرون أنّ إمكانيّة المعيشة المشتركة بينهما مستحيلة، ولكن بعد فترة علمت أنّهما وجدا الأسلوب المشترك للتفاهم بعد الخلاف.

ج- **السنّ**: في رأيي أنّ تأخير سنّ الزواج، والذي تأثّر به كلّ من الجنسين نتيجة للحياة العصريّة التي نعيشها، كان له أثر إيجابيّ في سعادة الأسرة. لكنّي أودّ في هذا المجال أن أناقش قضيّة لها علاقة بهذا العنصر، ألّا وهي الفرق في السنّ بين الزوجين.

coptic-books.blogspot.com

فيستحسن أن يكون الشابّ أكبر سنًّا من الفتاة بعدّة سنوات، لأنّ البنت تنضج مبكّرًا عن الولد. ومَن يعمل مدرّسًا يدرك هذه الحقيقة تمامًا. وأتذكّر أنّني تابعت دورة عن علم النفس في القاهرة مع عدد من المدرّسين والمدرّسات، وأحضرنا عددًا من الأطفال من الجنسين، تتراوح أعمارهم بين ٥ و٦ سنوات، وطلبنا إليهم تنفيذ بعض الأعمال التي تدلّ على الذكاء وسرعة البديهة (مثل لعبة المكعّبات)، فوجدنا أنّ البنات يمتزن بسرعة أكبر في إيجاد الحلول من الصبيان في العمر نفسه.

هذا يدلّ على أنّ البنت تنضج ذهنيًّا قبل الصبيّ، وذلك ينطبق أيضًا على النضج الجنسيّ والعاطفيّ. فنحن نعلم أنّ البنت تصل إلى سنّ البلوغ في ١١-١٣ سنة، في حين يكون ذلك في ١٣-١٥ سنة عند الصبيّ، إذ ثمّة فارق ٢-٣ سنوات تقريبًا في النضج. لذا نرى الفتاة في سنّ ١٨ سنة أقرب ما تكون إلى النضج، في حين نطلق على الشابّ في السنّ نفسها صفة المراهق، بل أستطيع القول إنّ الصبيّ يعبر مرحلة المراهقة حين يصل عمره ٢٢-٢٥ عامًا، ومن المؤكّد أنّ طول فترة الدراسة يطيل هذه المرحلة.

وبصفة عامّة نستطيع القول بأنّ الفتاة تنضج في سنّ ١٨-٢٠ سنة وهي بذلك تصلح للزواج، لكن يستحسن أن يتأخّر ذلك حتّى سنّ ٢٢ سنة، وبالطبع هذه ليست قواعد ثابتة. وعلى الجانب الآخر، لا أؤيّد زواج الشابّ قبل الخامسة والعشرين في ظروفنا الحاليّة، فقبل هذا السنّ تكون شخصيّته غير مستقرّة، وبذلك لا يكون صالحًا للزواج.

وكما أنّ الفتاة تنضج قبل الشابّ، كذلك هي تشيخ في سنّ مبكّرة، فالرجل في سنّ الخامسة والأربعين يكون في ملء النضج والاكتمال، في حين نطلق على هذه السنّ عند المرأة سنّ اليأس.

إذًا، حتّى لو كان الشابّ أكبر من الفتاة بحوالى العشر سنوات، يمكننا القول إنّ هذا الفارق في السنّ معقول. لكن إن حدث العكس، سوف يترتّب على هذا الوضع الغريب مشاكل عديدة، لأنّ التفاهم يتحقّق حين يكون الرجل أكبر سنًّا من زوجته. ومع ذلك هذا لا يمنع من وجود بعض الاستثناءات.

د - **المستوى المادّيّ والاجتماعيّ**: لا يفضّل أن يكون هناك فارق كبير بين طرفي الزواج على هذا الصعيد. فإن كان الشابّ من طبقة اجتماعيّة، والفتاة من أخرى، سيكون من الصعب عليهما تحقيق قدر من التفاهم. فعلى سبيل المثال لو كان الرجل من طبقة شعبيّة جدًّا، وكانت الزوجة من طبقة برجوازيّة، فمن الصعب أن يتمّ الانسجام بينهما. قد يغطّي الحبّ هذا التناقض في بداية الأمر، لكن بعد فترة سيشعران بالفوارق بينهما وتبدأ الخلافات. وأعتقد أنّه لو حدث العكس لكان الوضع أقلّ خطورة، لكنّ القاعدة العامّة هي أنّ الفارق المتّسع في المستوى المادّيّ والاجتماعيّ غير محبَّذ، وبالذات إن كان وضع الشابّ أقلّ من وضع الفتاة.

والفارق في المستوى الاجتماعيّ غير محبَّذ حتّى لو كان الشابّ من المستوى المادّيّ نفسه، إذ لكلّ مجتمع تقاليده، فتقاليد الفلّاح في قريته الصغيرة تختلف كثيرًا عن التقاليد في أسرة موظّف متوسّط الدخل في مدينة كبيرة حتّى وإن تساويا في الدخل. ويترتّب على هذا أنّ بعض التصرّفات التي يراها أحدهما عيبًا، لا يجد فيها الآخر أيّ غضاضة، ممّا يسبّب بعض الخلافات وسوء التفاهم. وعليه يحبّذ أن يكون الزوجان من الشريحة الاجتماعيّة نفسها.

هـ- **المستوى الثقافيّ**: ذكرنا سابقًا أنّ الزواج ليس زواج أجساد، لكنّه في المقام الأوّل التقاء شخصيّات. فعدم إفساح المجال

coptic-books.blogspot.com

لتبادل الآراء في موضوعات مختلفة، اجتماعيّة أو سياسيّة أو دينيّة أو ثقافيّة أو علميّة وغيرها سوف يجعل الحياة الزوجيّة مملّة جدًّا، خاصّة إن كان أحد الطرفين مثقّفًا والآخر أمّيًّا. لذا فالتقارب الثقافيّ بينهما يخلق فرصًا لتبادل الآراء، لأنّ الحياة الزوجيّة تحتاج إلى هذا المجال حتّى يتمكّن الزوجان من الحديث في موضوعات خلّاقة بجانب الموضوعات الروتينيّة اليوميّة.

و- **الجنسيّة واللغة**: وهي مرتبطة بعنصر الثقافة، فوجود لغة مشتركة، وجنسيّة واحدة ضروريّ جدًّا لنجاح الزواج. فأنا لا أحبّذ زيجات بين مصريّ وفتاة من جنسيّة أخرى أو العكس، إذ في أغلب الأحيان يكون التفاهم بينهما صعبًا. بالطبع في البداية سيحدث انبهار بجاذبيّة معيّنة، لكن سرعان ما يغرق الاثنان في بحر من المشاكل، لأنّ الخلفيّة الثقافيّة لكلّ منهما مختلفة تمامًا. وكذلك الأمر في ما يخصّ اللغة، إذ إنّ كلّ طرف يتحدّث لغة لا يتكلّمها الآخر، واللغة كما نعرف عنصر أساسيّ للتفاهم بين البشر، إذ إنّ بعض الكلمات لها من المعاني ما لا يدركها سوى المتحدّثين بها، بل أحيانًا لا يستطيع الفرد أن يشرح بكلماته هذه المعاني بدقّة. وفي ضوء خبرتي التعليميّة صادفت مشاكل كثيرة لدى التلاميذ الذين ينتمي والداهم إلى جنسيّات مختلفة. وبالطبع ليس هذا شرطًا أساسيًّا، فنحن نسلم بنجاح بعض الزيجات المختلطة، لكنّه استثناء وليس قاعدة.

ز- **التكوين الدينيّ**: هل تستطيع مسيحيّة أن تتزوّج مسلمًا؟ الكنيسة الأرثوذكسيّة لا تصرّح بهذا الزواج، والكنيسة الكاثوليكيّة تصرّح به من دون أن تطلق عليه لفظ السرّ، ومع ذلك يجب ألّا نشجّع مثل هذه الزيجات. فالدين له دور مهمّ جدًّا في تكوين الإنسان وخاصّة في الشرق، إذ إنّ غياب الاتّفاقات الدينيّة يسبّب نشوء

فجوة كبيرة في حياة الإنسان، بحيث لا يستطيع الحبّ وحده سدّ هذه الفجوة وإزالة آثارها.

وتكوين الفرد دينيًّا هو عنصر مهمّ جدًّا في الشرق عامّة وفي مصر بالذات، نظرًا إلى اختلاف المفاهيم الأساسيّة في الأديان: مفهوم الله، مفهوم المرأة والأسرة، .. الطلاق، .. التربية، .. إلخ. وكلّها مفاهيم جوهريّة أساسيّة لا نستطيع غضّ النظر عنها أو إغفالها. لذا أكرّر مرّة أخرى أنّه من المفضّل أن يكون الزوجان منتميين إلى دين واحد، فالصلاة والإيمان يربطان الزوجين إلى درجة كبيرة، وغياب هذين العاملين يحرم الزوجين إمكانيّة اللقاء على المستوى الروحيّ. ولكن بالرغم من هذا كلّه هناك حالات استثنائيّة ناجحة.

ح- **الطائفة**: أمّا في ما يخصّ الطائفة فأرى أنّ المشكلة أقلّ تأثيرًا، بشرط ألّا يكون هناك تعصّب طائفيّ متطرّف من أحد الطرفين أو كليهما، إذ يجب أن يكون هناك مرونة عند كلّ منهما. لكن مبدئيًّا لا مانع في زواج فردين من طائفتين مختلفتين، لأنّ هذا قد يلغي حدّة التعصّب الطائفيّ أو يخفّف منه.

ط- **القدرة على البذل والعطاء**: وهي أهمّ صفة يجب أن تكون في شريكة (أو شريك) حياتك، وإن كان عبقريًّا أو مليونيرًا. فإن كانت جميلة ولطيفة وغنيّة، وتأكّدت أنّها أنانيّة، فعليك ألّا تهتمّ بها. وهنا أشدّد على نقطة مهمّة جدًّا، فالمراهقون غالبًا ما يهتمّون بالمظاهر الخارجيّة، وهي في معظمها مضلّلة، لأنّها تمنع الإنسان من البحث عن القيم العميقة الأخرى التي يجب الاهتمام بها. فلا تنظر إلى القشرة الخارجيّة والمظهر وتريّث في الاختيار.

ويسأل بعضهم: وكيف أعرف أنّها مستعدّة للبذل والتضحية؟ أنظر إليها وابحث كيف عاشت قبل هذا. إسأل عنها، فلو عرفت

coptic-books.blogspot.com

مثلًا أنّها من سنّ الثانية عشرة كانت تساعد أمّها في المنزل، وتخدم أخوتها، وتخدم في الكنيسة والمجتمع، فيمكنك أن تقول إنّ هذه الفتاة لديها قدرة واستعداد للبذل.

ي- الطباع: والتوافق في الطباع ضروريّ جدًّا في اختيارك لشريكة حياتك، ولكن قد يكون هناك بعض الاختلافات في الطباع تساعد على تكامل الزوجين. على أيّ حال هذه نقطة يجب أن تراعى عند الاختيار.

ثانيًا: كيف تختار شريك حياتك

أ - دور العقل والتفكير: لا تعتقد أنّ الحبّ كلّما كان جارفًا وأعمى، كان الاختيار أفضل، ولا تعتقد أنّ الإنسان يجب أن ينقاد لعواطفه وأحاسيسه من دون أن يشرك العقل في هذه المهمّة الخطيرة. ولا أقصد هنا أنّ الإنسان كي يختار شريكة حياته عليه أن يستعين بالكمبيوتر. فمن الطبيعيّ أن تكون النزعة الأولى عاطفيّة، إذ في البداية يكون هناك انجذاب عاطفيّ بين الطرفين، نسمّيه الحبّ، وماذا بعد؟

عليك متى شعرت بانجذاب نحوها، وتقابلتما، وبدأ التفاهم بينكما، وقبل أن تتطوّر هذه العلاقة يجب أن ترجع إلى عقلك وتفكيرك: هل هذه الفتاة تصلح لي؟ هل هذا الشابّ يناسبني؟ فمع تسليمنا بأنّ المرحلة الأولى عاطفيّة غريزيّة نوعًا ما، لكنّ الله وهبنا العقل الذي نستخدمه في جميع أوجه الحياة اليوميّة: في التجارة والبناء والميكانيكا والاقتصاد والطبّ... إلخ. فهل من المعقول حين نتعرّض لقضيّة مهمّة مثل الزواج أن ننحّي العقل جانبًا، وندّعي أنّ لا شأن له في هذا المجال؟! كلّا.. الزواج لا يمكن أن يكون مسألة عاطفيّة وحسب، عليك أن تضع أمام عينيك كلّ

الأسس التي تحدّثنا عنها سابقًا لتدرسها واحدًا واحدًا: السنّ، الحالة الاجتماعيّة، الثقافة... إلخ. إبحثها لترى هل هي متوفّرة أم لا؟ وهل نسبة توافرها كافية لتجعلك تقبل أم لا؟

ظهرت في أمريكا مكاتب للزواج، (كما يحدث في جريدة الجمهوريّة، عمود أريد زوجة، أريد عريسًا) لمساعدة الشبّان والشابّات على اختيار شريك (أو شريكة) الحياة بالمواصفات المطلوبة. هذه المكاتب تقوم بدورها في إطار علميّ بمساعدة العقل الإلكترونيّ الذي يُسجَّل فيه وصف دقيق لكلّ المواصفات الخاصّة بطالب الزواج، ليس صفاته من ناحية الشكل وحسب، بل وهواياته ومجال تخصّصه وأهله... إلخ. كلّ هذه المعلومات مطبوعة على بطاقة. ولهذه الشركات مكاتب كثيرة في جميع مدن الولايات المتّحدة، فما على الشابّ إلّا أن يحدِّد أوصافه وأوصاف الفتاة التي يتمنّاها، وفي لحظات يرشده العقل الإلكترونيّ إلى اسم الفتاة التي تطابق هذه الأوصاف وعنوانها، والتي بالتالي تبحث عن شابّ مطابق لأوصافها. ويقتصر دور الشركة على مساعدة الشابّ في أن يلتقي بالفتاة التي يريدها. فما رأيكم في هذه الطريقة؟

إذا كان استخدام العقل البشريّ مجنّدًا في هذا المجال، وهو كذلك، فلا أظنّ أنّ مساعدته بعقل الكترونيّ لديه من المعلومات ما يفوق العديد من العقول البشريّة شيء من الشطط. ولو تأمّلنا لوجدنا أنّ دور العقل الإلكترونيّ هنا هو تحديث لدور الخاطبة أو لدور الآباء والأهل في القرى، الذين ينظّمون العديد من الزيجات، ويقتصر دورهم على ترتيب اللقاء بين شخصين يعرفون هم بخبرتهم أنّهما مناسبان واحدهما للآخر، بل لعلّي لا أجاوز الحقيقة إن قلت إنّ نسبة كبيرة من هذه الزيجات قد نجحت

coptic-books.blogspot.com

بالفعل، رغم أنّها تمّت باختيار الأهل.

ب- **دور رأي الأهل**: بقدر ما أنا لا أوافق على الزيجات التي يفرضها الأهل من دون مشورة الطرفين وموافقتهما، ألحّ في أخذ رأي الأسرة والأهل بجدّيّة في هذا الموضوع. فهم يرون جوانبَ قد لا تراها، مع التأكيد أنّ القرار النهائيّ يجب أن يكون لك. فاندفاع الحبّ قد يضلّل أحيانًا، وعقلك قد يكون غير كافٍ، وعليك أن تلجأ إلى عقول أخرى محايدة من حولك مثل أقاربك وأصدقائك، بحيث تتوفّر صفة العقل الراجح والتنزّه عن الأغراض الشخصيّة، وأن يكونوا يعرفونك ويعرفونها جيّدًا، فتساعد نفسك بتلك العقول المستنيرة.

ج- **دور الخطوبة**: يجب أن تكون فترة الخطوبة فترة تعارف وتبادل وألفة حقيقيّة بين الطرفين، كما يجب أن تتوفّر فيها أوقات تبادل آراء وجلسات تعارف، على أساس أنّ هذا التعارف يجب أن يتمّ قبل الزواج وليس بعده. كما يجب أن تكون هذه الفترة طويلة إلى حدّ ما حتّى تسقط الأقنعة، ويظهر كلّ فرد على حقيقته. فخطوبة ثلاثة أسابيع غير كافية بتاتًا، وخطوبة سنة **معقولة** جدًّا. ففي أثناء هذه المدّة يكتشف الإنسان مساوئ الآخر كما يكتشف محاسنه. وبهذا يكون الاختيار حرًّا.

د - **دور الإرادة**: عدم توافر الحرّيّة الكاملة في الزواج (الرضى) يعتبر سببًا أساسيًّا لبطلانه، ويجب أن نراعي هذه الحقيقة. وللأسف، نستطيع إن طبّقنا هذا المبدأ أن نعتبر الكثير من الزيجات باطلًا لعدم توافر شرط الإرادة في الاختيار. فهذا الزواج ينقصه معرفة كافية حتّى يكون عملًا إنسانيًّا، والعمل الإنسانيّ حتّى يكون كذلك يجب أن يكون عملًا واعيًا. فالضغوط العائليّة والاجتماعيّة، أو الزواج في سنّ مبكّرة جدًّا لدرجة أنّ الفرد في هذه السنّ لا يكون

بالغًا على المستوى النفسيّ ليتّخذ قراره. في كلّ هذه الأحوال يكون القرار غير مسؤول، تمامًا مثل قرار الطفل. وبناءً على ما تقدّم نستطيع الحكم ببطلان بعض الزيجات في مصر، كتلك الفتاة التي لم تختر شريك حياتها، بل أُجبرت على ذلك كمَن يوقّع على إيصال تحت تهديد السلاح. فمن الناحية المادّيّة هو توقيعها، لكنّه لا يلزمها قانونيًّا لأنّه تمّ تحت ضغط خارجيّ ألغى إرادتها الحرّة.

حين تتزوّج فتاة تحت تأثير القوّة، سواء أكانت بمعنى الكلمة الحرفيّ أم مجازًا للإشارة إلى الإرهاب المعنويّ، فهي تعلن موافقتها أمام الشهود لخوفها من الأب أو الأهل، بسبب ضغوط عائليّة أو اجتماعيّة معيّنة تدفعها إلى الموافقة من دون إرادتها. إنّ زواجًا كهذا يعتبر غير قانونيّ في نظر الكنيسة.

وسائل منع الحمل - «تنظيم الأسرة بالطرق الصناعيّة»

الطريقة	القذف خارجًا	الحاجز الرحميّ	الواقي الذكريّ	اللولب	ربط الأنابيب
ما هي؟	إخراج القضيب قبل القذف	غطاء من المطّاط أو البلاستيك يغطّي فتحة عنق الرحم	غطاء من المطّاط يغطّي القضيب	جهاز من البلاستيك له أشكال عديدة وله خيطان من النايلون ربّما تضاف إليه موادّ أخرى	قطع أو إغلاق أنابيب فالوب
كيفيّة العمل	قطع الجماع قبل القذف	يمنع دخول الحيوانات المنويّة في الرحم	يمنع دخول الحيوانات المنويّة في المهبل	يمنع غرس الجنين في الرحم	يمنع مقابلة الحيوان المنويّ بالبويضة
كيفيّة الاستعمال	قذف المنيّ خارج جسم المرأة	يوضع في المهبل قبل الجماع، يستعمل معه قاتل للحيوان المنويّ	يوضع في القضيب قبل الجماع	يوضع في داخل عنق الرحم عن يد متخصّص	يجب إجراؤه عن طريق جراحة غالبًا ما تكون خطيرة
مَن يؤدّيها؟	الزوج	الزوجة	الزوج	الزوجة	الزوجة
مشاكل	من الصعب نجاحه ويحتاج إلى تحكّم، درجة فاعليّته ٦٠٪	التهابات وهرش	غير طبيعيّ ومهبط	أحيانًا يرفضه الجسم أو يدخل داخل الأمعاء فيسبّب التهابات	دائم وعمليًّا غير عكسيّ ويزيد من نسبة الحمل خارج الرحم
آثار جانبيّة	أحيانًا يُسبّب مشاكل ومضايقة وإحباط	أحيانًا يُسَبّب حساسيّة	هرش، مُكلِف وليس في متناول اليد	تقلّصات وحدوث حمل خارج الرحم وإحداث عقم	حمل خارج الرحم ومشاكل نفسيّة وبرود جنسيّ
فوائد	غير مُكلِف	لا يحتاج إلى استعمال العقاقير	يمكن أن يساعد في منع انتشار بعض الأمراض التناسليّة	أرخص وسيلة صناعيّة	يعمل بسرعة وغالبًا بموافقة الحكومات
مبادئ أخلاقيّة	يَنتسب إلى العهد القديم	يمنع الحمل وبالتالي الحياة	يمنع الحمل وبالتالي الحياة	مجهض	قطع عضو سليم لا يقر. ويجري بوسائل غير عادلة
توصيات	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى به أبدًا
التعليق	قديم ومُنتَشِر لكنّه ليس فعّالًا	يُشبه العادة السرّيّة	يُشبه العادة السرّيّة	يمكن للمرأة التي تستخدمه أن يكون لديها أقلّ معدّل إجهاض ٣ أطفال كلّ سنتين	لا يزيد من اللذّة الجنسيّة أو يحلّ المشاكل

الفصل الثالث

تنظيم الأسرة بالطرق الاصطناعيّة

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

تنظيم الأسرة بالطرق الصناعيّة (تابع)

الطريقة	تعقيم الرجل	الإجهاض	الحبوب	الحقن	الأقراص المهبليّة
ما هي؟	قطع الوعاء الناقل أو إغلاقه	إخراج الجنين من الرحم جراحيًّا أو كيمائيًّا	قرص من البروجسترون والأستروجين الصناعيّين	مثل الحبوب لكنّها أقوى مفعولًا وأطول	عادة تحتوي على كيمائيّات تدمّر الحيوان المنويّ
كيفيّة العمل	لا يستطيع الحيوان المنويّ ترك جسم الرجل	تدمير جسم الجنين قبل خروجه من جسد المرأة	أحيانًا تكون ١) مانعة للتبويض ولذلك تصبح المرأة عقيمة ٢) أو تصنع مخاطًا كثيفًا ولزجًا فيموت الحيوان المنويّ في عنق الرحم ٣) تمنع غرس الجنين داخل الرحم	تأخذ السيّدة حبّة يوميًّا	تحصل الزوجة على حاقن المرأة	تنصهر في المهبل قبل كلّ جماع	تحصل وسط المهبل أكثر حامضيّة من الطبيعيّ فتموت الحيوانات المنويّة
مَن يؤدّيها؟	الزوج	الزوجة	الزوجة	الزوجة	الزوجة	الزوجة	الزوجة
مشاكل	غالبًا ما يُسبّب مشاكل نفسيّة	يُمثل الطفل وأحيانًا الأمّ	لها أعراض جانبيّة كثيرة فهي تحصل ٤٠٪ من النساء والمصابات بسوء التغذية، الأصحّاء مرضى وأحيانًا استعمالها ممنوع في كثير من الدول	خطيرة جدًّا للسيّدات المرضى الهيدروجين في الجسم			هرش وحساسيّة وتثير معامل
آثار جانبيّة	عمليًّا غير عكسيّ ويؤدّي إلى مشاكل في الكلى والأوعية الدموية على الإنجاب مرّة أخرى	يُسبّب التهابات أو إجهاض أي حصل بعد ذلك وعلم القدرة على الإنجاب مرّة أخرى	أحيانًا تؤدّي إلى نزول بقع دم وتزيد نسبة الثقم	غالبًا أكثر خطورة من الحبوب			تصبح السيّدة عرضة للالتهابات المهبل
فوائد	سهل وذو تأثير	يُستعمَل عندما تفشل الرسائل الصناعيّة لمنع الحمل	تقمع كلّ المسؤوليّة على عاتق المرأة				تؤدّي إلى الإحساس بالتشحيم في المهبل فيسهل الجماع
مبادئ أخلاقيّة	قطع عفير سليم لا يضر. ويجري برسائل غير عادلة	هذا قتلًا غير عادل وغير إنسانيّ	أحيانًا تؤدّي إلى الإجهاض المتكرّر وتجعل النساء الأصحّاء مرضى				تمنع الحمل. وبالتالي الحياة
توصيات	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى به أبدًا	لا يوصى بها أبدًا	لا يوصى بها أبدًا			لا يوصى بها أبدًا
التعليق	تهدف المنظّمات إلى تعقيم ٢٥٪ من الأزواج القادرين على الإنجاب	إذا سُمِحَ به قانونًا فهو يؤدّي إلى قتل طفل بريء	تمنع التبويض لنصف الوقت بسبب نقص الجرعة في الحبّة، يمكن أن تؤدّي إلى اللاخصوبة أو العقم بخاصّة عند النساء الصغيرات في السنّ				تقول الدراسات إنّ هذه الرسائل يمكن أن تؤدّي إلى إنجاب أطفال مشوّهين

تنظيم الأسرة بالطرق الصناعيّة (تابع)

الطريقة	الرضاعة	فترة الأمان
ما هي؟	هي تغذية الوليد من لبن الثدي	هي طريقة قديمة لتحديد وقت الخصوبة المحتمل في الدورات المنتظمة
كيفيّة العمل	تعمل على تأخير التبويض	تحسب متوسّط الدورات الستّ السابقة لتخمين وقت الخصوبة المحتمل
كيفيّة الاستعمال	بإحدى هذه الطرق: عند حاجة الطفل أو بنظام معيّن أو رضاعة من الثدي مع رضاعة صناعيّة	يمتنع الزوجان عن الجماع وقت الخصوبة المحتمل
مَن يؤدّيها؟	الأمّ	الزوجان
المشاكل	رضاعة الثدي لا تمنع رجوع الخصوبة	تحتاج إلى دورات منتظمة، لا يمكن للأمّ المرضعة استخدامها، أو بالقرّب من سنّ اليأس مدى فاعليّتها ٧١٪
آثار جانبيّة	تفيد الأمّ والطفل من النواحي الجسديّة والنفسيّة	تقوّي الزواج، تعزّز الحوار وتحمّل الزوجين مسؤوليّة مشتركة
فوائد	الاتّحاد بالجسد يعطي الأمّ والطفل ثقةً وأمانًا	لا تحتاج إلى عقاقير أو تدخّلات جراحيّة أو وضع أدوات في الجسد
مبادئ أخلاقيّة	طبيعيّة جدًّا وجيّدة	مصرّح بها
توصيات	يوصى بها دائمًا	نعم، ولكن ليست فعّالة جدًّا
التعليق	ليست دائمًا أكيدة لتحقيق وقت طويل بين حمل وآخر، يمكن رجوع الخصوبة في أثناء الأشهر الأولى	لا يمكن التوصية بها. عندما اكتشفت في أوائل الثلاثينات سُمِّيت «أوجينو»

coptic-books.blogspot.com

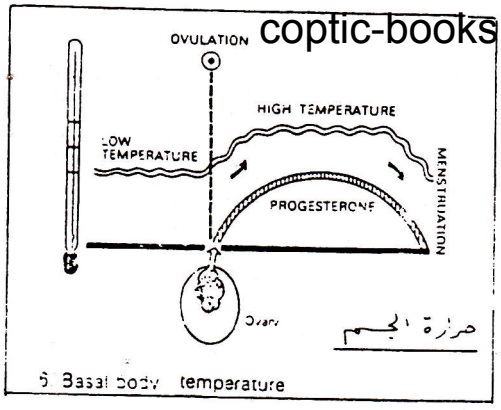

5 Basal body temperature

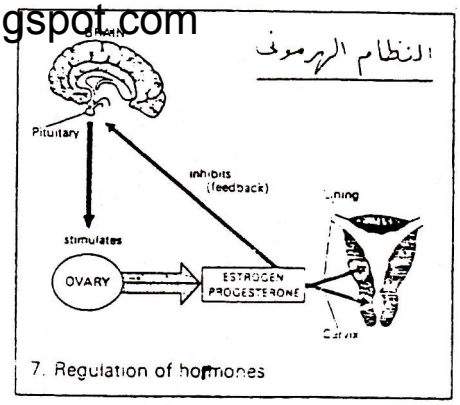

7. Regulation of hormones

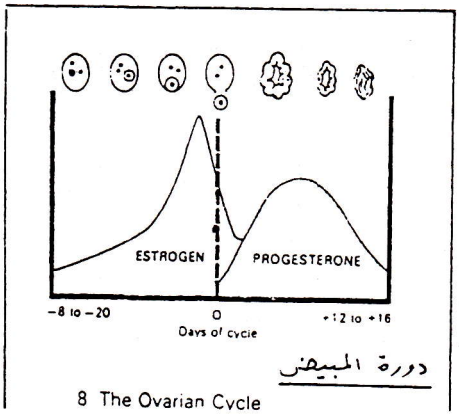

8 The Ovarian Cycle

تنظيم الأسرة بالطرق الصناعيّة (تابع)

الطريقة	درجة الحرارة	طريقة التبويض (بيلنجز)	طريقة الأعراض مع درجة الحرارة
ما هي؟	هي طريقة تدلّ على حدوث التبويض	طريقة تدلّ على أوقات الخصوبة واللاخصوبة	هي طريقة تجمع بين ظواهر عديدة للتبويض، فتشمل درجة الحرارة، فترة الأمان والمخاط وعلامات أخرى
كيفيّة العمل	ترتفع درجة حرارة الجسم الأساسيّة بعد التبويض، تقيس المرأة درجة الحرارة يوميًّا	يحدِّد الزوجان أوقات الخصوبة واللاخصوبة في كلّ دورة بملاحظة وجود أو غياب إفراز مخاط عنق الرحم	تلاحظ المرأة العلامات الطبيعيّة التي وضعها الله فيها وتخبر بها زوجها
كيفيّة الاستعمال	إذا أراد الزوجان منع الحمل فيمتنعان عن العلاقة حتّى بعد ارتفاع درجة الحرارة بثلاثة أيّام	يحدِّد الزوجان أوقات الخصوبة واللاخصوبة وينظِّمان عمل الجماع طبقًا لهذا	يحدِّد الزوجان أوقات الخصوبة واللاخصوبة ويعيّنان أوقات الجماع طبقًا لهذا
مَن يؤدّيها؟	الزوجان	الزوجان	الزوجان
المشاكل	لا تحدّد فترة ما قبل التبويض أو فترة التبويض نفسها، تحتاج إلى ترمومتر	تحتاج إلى نضوج وتحمّل المسؤوليّة وملاحظات دقيقة والامتناع عن الجماع لتفادي الحمل	تحتاج إلى ملاحظات دقيقة لتغيّرات درجة الحرارة ولتعاون الزوجين
آثار جانبيّة	الفاعليّة نفسها المذكورة في طريقة التبويض وطريقة الأعراض مع درجة الحرارة	تعزّز الحوار بين الزوجين، تحتاج إلى تعاونهما، وتنمّي الصفات نفسها اللازمة للزواج الناجح، مثل الشرف والفهم الواعي والنضوج، وتقوّي الزواج	
فوائد	طريقة جيّدة لتحديد حدوث التبويض أم لا	يمكن أن تستخدم للإنجاب أو تفادي الحمل بالتساوي، وهي عكسيّة في أيّ لحظة وتتفادى الاستعمال الخطير وغير اللازم للأدوية والأجهزة التي تضرّ بصحّة المرأة	
مبادئ أخلاقيّة	مقبولة	طبيعيّة وحسنة جدًّا	طبيعيّة وحسنة جدًّا
توصيات	يوصى بها، ولكن لا تستعمل عادة	يوصى بها بالتأكيد	يوصى بها بالتأكيد
التعليق	اكتشفت هذه الطريقة في الأربعينات وسبقت طريقة التبويض وطريقة الأعراض مع درجة الحرارة	أسهل وأضمن طريقة من بين الطرق الطبيعيّة، درجة فاعليّتها ٩٨,٢٪ طبقًا لأحصائيّات منظّمة الصحّة العالميّة. تستعمل على نطاق واسع في العالم	تستعمل على نطاق واسع في الأمم المتقدّمة وهي أقلّ استخدامًا في العالم النامي

coptic-books.blogspot.com

موقف الكنيسة من وسائل منع الحمل

ثمّة هدفان للزواج:

١ - الإنجاب.

٢ - الحبّ.

يرتبط هذان الهدفان بعضهما بالآخر، ولكن ليس من الضروريّ أن يهدف كلّ اتّصال جنسيّ إلى الإنجاب، ويكفي أن يكون هدف إنجاب الأطفال في صورة الزواج العامّة. فالعلاقة الجنسيّة مسموحة لتشجيع الحبّ بين الزوجين، حتّى في الفترات التي لا أمل أثناءها في الإنجاب، كفترة الحمل وفترات الجفاف وبعد سنّ اليأس. فليس هناك مشكلة دينيّة أو أخلاقيّة أو نفسيّة.

يجب أن نميّز بين تنظيم النسل ووسائل تنظيم النسل. فالكنيسة لا تعارض تنظيم النسل، بل تفضّل كلمة «تنظيم» على كلمة «تحديد»، إذ التنظيم هو تفكير وتمييز لاختيار عدد الأولاد المناسب لظروف الزوجين، أمّا الوسائل فتختلف.

توصي الكنيسة بتأجيل الإنجاب لأسباب صائبة، والحكم في ذلك يعود إلى الزوجين بشرط أن يكون لديهما استقامة وصراحة وعدم غشّ وتلاعب. فالكنيسة تضع القوانين ولا تفرضها بالنفي أو الإثبات، وهي تشجّع الإنجاب لأنّه بركةٌ من الله تمنح الحياة. فلِمَ نحرم أناسًا من نعمة الوجود؟

ويكون العطاء على قدر المستطاع الذي يرتبط بظروف جسميّة واقتصاديّة واجتماعيّة ونفسيّة وروحيّة... إلخ بحسب ظروف الزوجين والمجتمع الذي يعيشان فيه. إذ إنّ المشاركة في الخلق ليست منح الحياة وحسب، لكن ضمان استمراريّتها بطريقة لائقة. لذلك فهي لا

تحدّد العدد ولا التوقيت لأنّ ظروف عصرنا الحالي تختلف عن ظروف الماضي. فنحن نعيش أزمة قويّة ومرحلة خطيرة مع ازدياد السكّان، بحيث أصبح تنظيم النسل ضرورة ملحّة تدعو إليها الكنيسة.

إتُّهمت الكنيسة بأنّها تشجّع الإنجاب لسياسة عامّة، وتدعو إلى مشاركة الله في الخلق، أعني في استمراريّة الحياة التي وهبها الله للإنسان: «إنموا، واكثروا واملأوا الأرض»، ربّما أنّ فعل الزواج يهدف إلى الإنجاب فيكون أوّل واجب للزوجين هو الإنجاب والثاني هو الحبّ... فهل الأولويّة هي للإنجاب أم للحبّ؟

هل نبني نظرتنا في هذا الموضوع على الإيمان: «أنظروا زنابق الحقل...»، وأن الله يرسل ويعتني بالإنسان، وأنّ الإنجاب بركة. أم على العقل الذي يفكّر في الظروف والإمكانيّات وهو بركة أيضًا أعطانا الله إيّاها لنستعملها؟ وفي النهاية فالمسألة ضميريّة: الضمير مستنير بالعقل وبإرشادات الكنيسة.

الإنجاب هو دعوة إلى مزيد من المسؤوليّة الإنسانيّة. فقديمًا لم يفكّروا في تنظيم النسل لأنّ الطبيعة كانت تنتظم نفسها، وعندما قبل البابا بيوس الثاني عشر طريقة «أوجينو» في تحديد النسل قامت ثورة في الكنيسة تقول إنّ اللقاء الزوجيّ يجب أن يكون مفتوحًا للحياة، فإرادة الله هي أن يعيش الإنسان الطبيعة. ولكن الاعتراض على ذلك هو: ألم يعطِ الله الإنسانَ سلطةً لكي يتسلّط على الطبيعة ويقودها؟

السؤال لا يزال قائمًا حتّى الآن، بين ما هو طبيعيّ وما هو غير طبيعيّ؟ والمجمع الڤاتيكانيّ الثاني ألحّ على أنّنا كلّنا مشتركون في المسؤوليّة والبحث. والكنيسة هي نحن كما في نبوءة يوئيل النبيّ: «أسكب روحي على كلّ جسد، على شبابكم وشيوخكم لتفكّروا...» وليس على المسؤول وحسب. فالروح القدس يعطي بسخاء كلّ فرد

coptic-books.blogspot.com

روح التمييز، ونحن نعيش الآن بروح مسكونيّة، أي يجب أن نتفتّح على كلّ الطوائف، ونتفهّم الآراء المختلفة لنصل إلى شموليّة الحقيقة.

لقد نادت بعض مجالس الأساقفة في العالم بالأبوّة المسؤولة. فاختيار الأولاد وتوقيت الإنجاب في مصر هو مسؤوليّة ضمير الزوجين، وقد نشرت هيئة العدالة والسلام في مصر نبذة عن هذا الموضوع قالت فيها: «يجب أن نفهم أنّ ثروتنا الحقيقيّة ليست في المعادن والموادّ الخامّ وحسب، ولكن في الطاقة البشريّة. فالمشكلة في مجتمعنا ليست في تنظيم النسل وحسب، بل في تنظيم جميع المجالات وحسن استغلال طاقاتنا البشريّة».

فالنظرة الإيمانيّة ليست مواكلة، بل هي تخطيط وتفكير. فالله وضع في الأرض مزيدًا ومزيدًا من الطاقات ولكنّها غير مستغلّة وغير موزّعة بنظام وعدالة بين المجتمعات المختلفة.

الباب السادس

حدود الحبّ البشريّ ومعنى البتوليّة

إذا كان الإنسان يستطيع من خلال الحبّ البشريّ أن يحقّق رغبته الأساسيّة، فأيّ شخص لا يسلك هذا الطريق يكون قد أخطأ. وإذا اعتبرنا أنّ الحبّ والزواج هما الطريق الوحيد لتحقيق الحبّ بمعناه الشامل الكامل، فأيّ إنسان لا يتبع هذا الطريق يكون قد ضلّ. وبناءً عليه لا نستطيع أن نبرّر الحياة البتوليّة من خلال الترهّب والتكريس الكامل لله، فالإنسان في هذه الحالة يكون قد ابتعد عن تحقيق غايته الوحيدة في الوجود والحياة، ألا وهي الحبّ. الحبّ هو معنى الحياة والوجود، ودعوة الإنسان الوحيدة هي تحقيق الحبّ حتّى يلبّي هذه الرغبة الأساسيّة إلى المطلق الموجودة في داخله. هنا يظهر التساؤل: لماذا هناك طريق آخر غير الزواج، أعني البتوليّة؟ وما هو تبريره؟ وسأحاول أن يكون الردّ على هذا التساؤل من خلال تناولي نقطتين: الأولى، حدود الحبّ البشريّ، والثانية، معنى البتوليّة الحقيقيّ.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوّل

حدود الحبّ البشريّ

قبل أن نستطرد في هذا الموضوع، أعود فأذكّر بما ورد في مقدّمة الكتاب عن جمال هذا الحبّ وقدسيّته وسموّه. فالحديث عن حدود الحبّ البشريّ لا يقلّل أبدًا من قدسيّته، وكلّ ما ذكر عن إيجابيّات الحبّ سيظلّ قائمًا لأنّ الله هو الذي وضع شريعة الزواج والحبّ. لكن أودّ أن أشير إلى بعض حدود الحبّ البشريّ التي تجعله لا يحقّق ما يصبو إليه.

هدف الحبّ الأساسيّ هو تحقيق الوحدة الكاملة في الآخر إلى الأبد، وحدة كاملة أبديّة على جميع مستويات كيانه. فإذا أمكن تحقيق هذه الوحدة من خلال الحبّ والزواج فبطبيعة الحال سيكون هذا هو الطريق الوحيد لذلك. لكن المتأمّل سيجد أنّ هناك بعض الشواهد تدلّ على أنّ هذه الوحدة الكاملة لم تتحقّق، ونتساءل: كيف؟ ولماذا؟

يسعى الزوجان إلى أن يحقّقا من خلال الحبّ جسدًا واحدًا: «**فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا**» (تك ٢: ٢٤). فمن خلال الاتّصال الجنسيّ يهدف الزوجان إلى أن يكونا واحدًا، ليتحقّق ما جاء في سفر التكوين، لأنّ هدف الزواج هو إعادة الإنسان إلى وحدته الأولى، وذلك باتّحاد الرجل بالمرأة. لكن للأسف الشديد، مهما حاول

coptic-books.blogspot.com

الزوجان أن يكونا جسدًا واحدًا سيظلّان اثنين. في قمّة الاحتضان، وفي نشوة اللذّة، وفي صميم الاتّصال الجنسيّ هناك محاولة لامتزاج جسدين، ومَن يحلّل كلّ حركات الحبّ يجدها تسعى إلى هذا الهدف. فتداخل الأعضاء التناسليّة والاحتضان والقبلة كلّها تهدف إلى تحقيق الجسد الواحد، ولكن بعد إتمام الاتّصال الجنسيّ ينفصل الجسدان بحركة تلقائيّة محتفظًا كلّ منهما باستقلاليّته، وتفشل محاولة الإنسان للوصول إلى وحدة كاملة عن طريق الحبّ والاتّصال الجنسيّ في الزواج. لكن هذا لا ينفي أنّها تحقّق تقاربًا كبيرًا، وألفة بين الزوجين.

يردّد بعضهم أنّ ما تنتظره من الحبّ أشبه بحلم صعب التحقيق. هذا صحيح، لكنّي أتحدّث من وجهة نظر فلسفيّة بحتة، ففي صميم هدف الحبّ هناك رغبة في اتّحاد الجسدين اتّحادًا كاملًا ونهائيًّا. وللأسف هناك الكثير من المؤلّفات التي تناولت فسيولوجيّة الجنس والحبّ، لكن قليلة جدًّا تلك التي تناولته من الجانب الفلسفيّ. هنا أصل إلى الردّ على التساؤل الثاني وهو: لِمَ يصعب تحقيق وحدة الأجساد من خلال الحبّ؟ ثمّة أربعة أسباب سأتناولها بشيء من التفصيل.

١ - المانع الجسديّ أو عتامة الأجساد

فحالة المادّة التي تكوّن أجسادنا لا تسمح بهذا الاتّحاد الكامل. لكن هل هناك حالة أخرى للجسد تسمح بأن «يكونا كلاهما جسدًا واحدًا»؟ نعلم أنّه بعد القيامة سيكون للإنسان جسدٌ نورانيّ، هذا الجسد سوف يمكّن الإنسان من تحقيق ما عجز عن تحقيقه بجسده الأرضيّ. وبهذا نقول إنّه بالقيامة يتحقّق الحبّ الكامل بتحويل الجسد المادّيّ إلى جسد نورانيّ يمكّنه من تحقيق هدف الحبّ النهائيّ، ألا

وهو الوحدة. ويكشف لنا العلم الحديث أنّ هناك حالة أخرى للمادّة أطلقوا عليها اسم المادّة المضادّة، لكنّ خصائص هذه المادّة غير معروفة حتّى الآن بوضوح، وإن كان هذا مؤشّرًا على أنّ مفهومنا الحالي للمادّة مازال قاصرًا، ولا يشمل كلّ الصور التي قد تتّخذها. ولعلّ هذه النظريّات الحديثة عن المادّة تؤكّد إيماننا بوجود الأجساد النورانيّة.

هذا هو المانع الأوّل لتحقيق الهدف الأساسيّ للحبّ، عتامة الأجساد، أو المانع الجسديّ. فأجسادنا الأرضيّة ليست شفّافة بدرجة تسمح بالاندماج الكامل، أجسادنا تفتقر إلى الشفافيّة اللازمة لتحقيق رغبة الحبّ.

٢ - المانع الروحيّ أو عتامة الأرواح

إلى جانب فشل الأجساد في تحقيق الوحدة الكاملة، هناك فشل الأرواح في تحقيق الاندماج المنشود، ويرجع ذلك إلى سببين أساسيّين:

أ - **الإنسان عالم مجهول**: فهو يخفي في ذاته عالمًا مجهولًا حتّى عن نفسه، عالمًا أوسع من أن يستوعبه وأن يعبّر عنه أو يسلّمه إلى الآخر. هذا ما نستطيع أن نطلق عليه سرّيّة الإنسان. فأيّ إنسان حتّى وإن كان طبيعيًّا يخفي في عمق كيانه بستانًا سرّيًّا محرّمًا على الآخرين، بل وعلى أقرب الناس إليه، الدخول فيه. الإنسان كائن غريب، يمكننا أن نصفه بأنّه وحيد واجتماعيّ في الوقت نفسه، وإحدى صفاته الأساسيّة تكمن في عجزه عن الاتّصال الروحيّ (أو الشفافيّة الكاملة) بالآخرين. هو يشعر بوحدة جوهريّة وبعجزه عن أن يكشف ذاته كلّيًّا حتّى لنفسه.

coptic-books.blogspot.com

يمكننا أن نشبّه الإنسان بما يُسمَّى بالإنجليزيّة Iceberg، وهو جبل عظيم من الثلج ينفصل عن الجدار الثلجيّ في أحد القطبين، وينحرف في المحيط. وكثيرًا ما يشاهده البحّارون طافيًا على سطح الماء، وهم يرصدون تحرّكاته لما يمثله من خطر على السفن إن اصطدمت به. فهذا الجبل لا يمكن مقارنة الجزء الظاهر منه، ويبدو لك كبيرًا، بالجزء المغمور منه. والإنسان مثل جبل الثلج، ما يظهر من شخصيّته هو جزء صغير جدًّا مقارنةً بما يخفيه. وجدير بالذكر أنّ هذا الجزء المستتر من شخصيّتنا لا نخفيه بقصد منّا، بل إنّ تكوين الإنسان بصفة عامّة يجعل أبعاده الخفيّة أوسع كثيرًا من أبعاده الظاهرة. فالإنسان هو سرّ في نظر غيره، وأيضًا في نظر ذاته.

من هنا نرى سبب عجز الإنسان عن كشف ذاته للآخر في إطار الحبّ. هو يتمنّى أن يعطيه كلّ ما لديه، وأن يظهر له كلّ ما به، وأن يكشف له كلّ ما في داخله، ويسلّم له كلّ ذاته، لكنّه يعجز عن ذلك، لأنّه لا يملك التعبير عن هذه الأبعاد السرّيّة لكيانه فيكتشف أنّ كلماته لا تفي بهذا الغرض. ويُحكى عن سيّدة عاشت مع زوجها قرابة الأربعين عامًا وكان زواجهما زواجًا ناجحًا. وبعد موت زوجها اعترفت السيّدة بأنّ زوجها كان في نظرها لغزًا لم تستطع فهمه بعد أن عاشت معه أوثق علاقة طوال أربعين عامًا.

يحاول الإنسان أن يعبّر عن حبّه للآخر فيستخدم الكلمات.. أحبّك.. إلى أيّ مدى؟... كثيرًا.. أحبّك موت.. ثمّ ماذا؟ يحاول الإنسان أن يعبّر فيلجأ إلى كلّ التصوّرات والرموز والتعبيرات، ويلجأ إلى الشعر، وبعد كلّ هذه المحاولات يجد نفسه لم يفصح عن جزء ممّا يشعر به. هذا هو عذاب الحبّ، ويجب أن نفهم أنّ حركة خلع الملابس وكشف الجسم في

الاتّصال الجنسيّ هي حركة ترمي إلى كشف الذات للآخر، ونلاحظ أنّ كلمة كشف في اللغة العربيّة لها معنيان، فهي تعني وضح أو عري. والعري الجسديّ هو دليل على رغبة الإنسان في تسليم ذاته بكلّ ما فيها من أسرار. ومن هنا نرى أنّ كلّ حركات الحبّ لها معانٍ عميقة إن حلّلناها، وهو ما يطلق عليه فلسفة الحبّ أي تحليل حركاته وظواهره في محاولة لفهم معانيها العميقة.

ب-الأنانيّة: في السبب الأوّل كان ما يمنع الإنسان من كشف ذاته للآخر مرجعه إلى طبيعته البشريّة من دون قصد منه، أمّا السبب الثاني والذي نحن في صدده فهو يرجع إلى تمسّك الإنسان بذاته عن قصد مسبق منه، هو نوع من الأنانيّة يدفع الإنسان لأن يتشبّث بكيانه، ولا يريد أن يسلّم كلّ ما لديه إلى الآخر.

لا أريد أن أكون شفّافًا معه، وهذا يرجع إلى رغبة إراديّة، وهي إن لم تكن إراديّة ترجع إلى عجز روحيّ في الإنسان. أكثر من هذا، فالأنانيّة هي رفض العطاء، والتمسّك بالكيان لأغراض شخصيّة، وهذا يناقض جوهريًّا حركة الحبّ وهي العطاء. والقيامة ليست مجرّد تحوّل أجسادنا المادّيّة إلى أجساد نورانيّة، بل هي أيضًا تحوّل أنانيّتنا إلى حبّ، لأنّ الأنانيّة أي روح الامتلاك هي أكبر حاجز في وجه الحبّ.

٣ - العائق الزمنيّ

في الحبّ يتمنّى الطرفان أن يكونا كائنًا واحدًا مدى الحياة، لكن هذه الوحدة المنشودة سريعة الزوال. فمهما طال الاحتضان لا بدّ له من النهاية، ومهما دام الاتّصال لا بدّ له من خاتمة، وكلمة «على طول» هي رغبة صعبة التحقيق لأنّ لكلّ شيء نهاية. فمتطلّبات الحياة تضطرّ

coptic-books.blogspot.com

كلّ طرف إلى أن يذهب إلى أعماله، بل إنّ الاتّصال الجنسيّ ذاته بعد أن يبلغ قمّته يجبر المحبوبين على الانفصال. هذا بالإضافة إلى ضروريّات الحياة كالسفر والمرض، وأخيرًا الموت الذي يضع نهاية للحبّ، ويفصل بين طرفين تمنّيا أن يعيشا في حبّ مستمرّ «على طول». إذًا حلم أبديّة الحبّ لم يتحقّق بسبب العائق الزمنيّ.

هناك رواية فرنسيّة ظهرت في القرن السابع عشر الميلاديّ اسمها «Manon Lescaut» مانون ليسكو، وهو اسم فتاة أحبّها شابّ حبًّا جنونيًّا، وحين ماتت أراد أن يموت معها من فرط حبّه لها، فاحتضنها ودفن نفسه معها، ثمّ هالوا عليهما الرمال. هذه القصّة مكتوبة بأسلوب جميل ومؤثّر، وخلاصتها أنّ الحبّ الحقيقيّ هناك في صميمه رغبة في الخلود، **«والمحبّة قويّة كالموت»** (نشيد الأناشيد ٨: ٦). هدف الحبّ أن يستمرّ ويخترق جدار الموت ليصل إلى الأبديّة. هذا هو الحلم، لكنّ الواقع الظاهر لنا عكس ذلك، فالزوج يفقد زوجته بالموت، وقد يحدث العكس. إذن يمكننا أن نعتبر أنّ الموت هو التحدّيّ الكبير للحبّ الذي يسعى لأن يكون بلا نهاية.

٤ - محدوديّة الآخر

في الحبّ يمثّل الطرف الآخر العالم كلّه والطبيعة بأكملها والكون بأسره، باحتضاني زوجتي أشعر بأنّني أمتلك الكلّ ممثّلًا في هذا الجسد. حين أحتضن هذا الكائن أشعر بأنّ الكون بكامله في أحضاني، وبأنّني اكتملت به، وأنا معه في غنى عن أيّ شيء آخر. ولكن، وهذه مأساة، سرعان ما أكتشف حدود الطرف الآخر ممثّلة في عيوبه ونقائصه، هذا الشعور الذي تحدّثت عنه في الباب الرابع عن فترة خيبة الأمل، حين يسود الطرفين شعور من الإحباط والإحساس

بأنّ هذا الشخص المثاليّ الذي طالما فكّرت فيه وأحببته، له حدوده وعيوبه الكثيرة. لقد عشقت صورة مثاليّة، والآن أراها بصورة واقعيّة. أسبغت عليه كلّ الصفات الجسديّة والروحيّة الجميلة، وأخيرًا وجدته شخصًا محدودًا في إمكانيّاته لأنّه بشر. إذ لا إنسان كاملًا على الأرض والبحث عن هذا الإنسان هو حلم وسراب.

إذًا سرعان ما يكتشف الإنسان في الحبّ محدوديّة الطرف الآخر. وهنا، إمّا أن يقبله بهذه الصورة، أو يعتقد أنّه أخطأ في اختياره، ويحاول أن يكرّر تجربة الحبّ لإشباع هذه الرغبة. فهو يشعر بأنّ شريك الحياة لم يعطه كلّ ما كان يتوقّعه منه، فيبحث عن آخر وآخر. لكن حين تتكرّر تجربة الحبّ يفقد الحبّ معناه، إذ الشخص الذي تبحث عنه لم يعد شخصًا بل آلة أو لعبة، وسيلة لإشباع رغبة. إنّ تكرار الحبّ يفرغه من مضمونه، وتعدّد الزوجات يحوّل المرأة إلى مادّة، والزنى هو الانحطاط بالحبّ إلى مستوى الشهوة.

• محاولات شاذّة لتخطّي هذه العقبات

أُجريت دراسة في أمريكا كانت تدور حول البعد الاجتماعيّ للتصرّف الفميّ في نظريّات التحليل النفسيّ. في هذه الدراسة حلّلت بعض الأفعال التي نؤدّيها عن طريق الفم مثل التدخين والكلام والقبلة. وتطرّقت الدراسة إلى معنى القبلة، ولماذا نحتاج إلى تقبيل الآخرين. وقد توصّلت إلى أنّ القبلة في جوهرها هي محاولة لابتلاع الآخر من فرط حبّي له، أريد التهامه حتّى يكون في داخلي، ومن حسن الحظّ أنّ هذه المحاولة لا تكتمل.

ومَن يتأمّل في عالم الحيوان يجد بعض الشواهد التي تؤيّد هذا التفسير، فحبّ الذئب للحمل هو الذي يدفعه إلى التهامه تعبيرًا عن هذا

coptic-books.blogspot.com

الحبّ، وهو يفعل هذا لا لكونه يكره الحمل، بل لأنّه يحبّه حبًّا جمًّا. والقطّة تأكل الفأر لأنّها تحبّه أيضًا، كما أنّ هناك حشرة «فرس النبي» يُقال إنّ بعد عمليّة الجُماع تلتهم أنثاها الذكر، ممّا يبيِّن العلاقة الوثيقة بين الحبّ والالتهام.

فإذا تخطّينا عالم الحيوان إلى عالم الإنسان سنجد بعض الأفعال المشابهة في بعض المجتمعات البدائيّة. فهناك قبائل من البشر تأكل لحوم الآدميّين، وهم لا يفعلون ذلك نتيجةً لبغضهم الفريسة، بل تعبيرًا عن حبّهم وإعجابهم بها. ومَن يفسِّر هذه الحركة الغريبة سوف يجد لها بعض التبرير، فالإنسان من فرط حبّه للآخر يريد أن يكون واحدًا معه، يريد أن يجعله في داخله. ولعلّ بعضكم ما زال يذكر القصّة التي نشرت في الصحف منذ عدّة سنوات عن زنجي كان يُقيم في هيلتون القاهرة، وقد أمضى ليلته مع إحدى الفتيات. وبعد أن مارس معها الحبّ والجنس قتلها ثمّ تناولها في الإفطار، بعد أن شعر بأنّ الجنس غير كافٍ لتحقيق رغبته. بالطبع كلّنا نتعجّب من هذا التصرّف الغريب، لكن مَن يحلّله سيكتشف أنّه امتداد طبيعيّ للاتّصال الجنسيّ، لأنّه أكمل ما كان يهدف إليه من خلال الحبّ.

يذكّرنا هذا الكلام بما حدث لشهيد يسوعيّ في القرن السابع عشر في كندا ويدعى جان دي برِبوف Jean de Brébœuf، فقد مات نتيجة عمل من هذا النوع. ذهب جان ليبشِّر بعض القبائل البدائيّة هناك، وقد تعرّض لأعمال تعذيب بشعة بانتزاع أظافره وإحراقه بالنار، ومن شدّة إيمانه وتمسّكه بالمسيح لم ينطق بكلمة. كان يتحمَّل التعذيب بشجاعة نادرة، ومن فرط إعجابهم بشجاعته، فتحوا صدره وأخذوا قلبه وأكلوه، ليس انتقامًا منه بل إعجابًا به، حتّى يكتسبوا منه هذه الصفة.

هذا يدلّ أيضًا على الرغبة نفسها، رغبة امتلاك الشخص الذي أحبّه حتّى يكون فيَّ. ولكن للأسف، هذا يدلّ على فشل هذه الحركة، فالشخص حين تأكله ينتهي ويتلاشى. عندما كان أمامي كان شخصًا مستقلًّا، فعمليّة الابتلاع ألغت كيانه الإنسانيّ، وتحوّل نتيجة لأكله وهضمه إلى كتلة من اللحم ليس إلّا. وبهذا لا يتمّ الاتّحاد بكيان إنسانيّ بل بكتلة من لحم، ممّا يدلّ على فشل هذه المحاولات الشاذّة.

• المأزق الموجود في الحبّ البشريّ

هذه المحاولات الشاذّة مع كونها فاشلة، ستظلّ تشير إلى الرغبة القائمة في الحبّ، والتي لم تتحقّق من خلال الاتّصال الجنسيّ، خلال الاحتضان والقبلات، وكلّها محاولات للاتّحاد الكامل بالآخر، كما أنّها لم تتحقّق من خلال التهام الآخر الذي يلاشيه من الوجود. إذن يجب أن نجد طريقة أخرى للوحدة ليس فيها تلاشي أحد الأطراف، وحدة كاملة وليست ذوبان أحد الطرفين في الآخر، كما يحدث في حالة التهامه، وهذا هو المأزق الذي انتهى إليه الحبّ البشريّ.

كثيرًا ما يبدأ الحبّ البشريّ بحركة حبّ ونكران للذات، ثمّ بازدياد الحبّ يتحوّل إلى حركة أنانيّة امتلاكيّة. مشكلة الحبّ إنّه يبدأ بعلاقة حبّ بريئة سليمة لا أنانيّة فيها، إنّما هي تعبير رقيق عن الحبّ والحنان، وفي لحظة معيّنة نجد أنّ قوة الشهوة تجعل الحركة تنعكس في اتّجاهها من نكران للذات إلى الأنانيّة. مشكلة الحبّ إنّه من الصعب أن يظلّ عفيفًا طاهرًا إلى النهاية، لكنّه بطريقة أو بأخرى يتلوّث بالأنانيّة. فاللذّة الجنسيّة بطبيعتها تغلق الإنسان على ذاته وتجعله مهتمًّا بها أكثر من اهتمامه بالآخر. يريد الإنسان أن يعبِّر عن حبّه، لكنّه حين

coptic-books.blogspot.com

يصل إلى اللذّة الجنسيّة يجد نفسه مشدودًا إلى ذاته مرّة أخرى، وهنا تكمن ازدواجيّة الحبّ والجنس.

• التناقض الجوهريّ في الحبّ البشريّ

أوّلًا : الحبّ يهدف إلى تحقيق وحدة كاملة بين طرفين، بشرط المحافظة على كيان كلّ منهما، أي امتزاج لا ذوبان. فأنت بعد أن تذيب ملعقة سكّر في كوب ماء لن يكون باستطاعتك مشاهدة السكّر، بحيث تصبح الوحدة بين الماء والسكّر على حساب مادّة السكّر. وبالهضم أيضًا يذوب الأكل في جسمك، وبالنتيجة يبقى الجسم ويختفي الأكل. فإذا كان وضع الحبّ كذلك بأن يذوب طرف في الآخر، إذًا لم يعد الحبّ حبًّا لأنّنا لم نحافظ على طرفيه. والخلاصة أنّ الحبّ يجب أن يؤدّي إلى وحدة من دون تلاشي أحد الطرفين، وهذه هي صورة الثالوث الأقدس: واحد هو الآب القدّوس، واحد هو الابن القدّوس، واحد هو الروح القدس. في الثالوث الأقدس نجد النموذج الأعلى للحبّ، وهو وحدة كاملة لا تنفكّ، ومع ذلك هناك تميّز للأقانيم الثلاثة. كذلك يجب أن يحقّق الحبّ البشريّ مثل تلك الوحدة بين طرفيه، مع المحافظة على حقيقة كلّ طرف وكيانه، فإذا طغت شخصيّة الزوج على الزوجة، وفرض عليها أسلوبًا اضطرّت إلى أن تقبله، قد يبدو ظاهريًّا أنّ هناك وحدة في الرأي، ولكن هذه الوحدة جاءت على حساب أحد الطرفين.

إذًا، فالحبّ يهدف إلى وحدة كاملة بين الطرفين مع المحافظة على كيان كلّ منهما، وحدة تحافظ على تميّز الطرفين، اندماج لا يتحوّل إلى ذوبان، وحدة لا تلاشي

مكوّنات طرفيها. فكيف يتمّ ذلك؟ تلك هي المشكلة، وهذا هو التناقض الأوّل في الحبّ.

ثانيًا : في الحبّ أريد فتاة تملأ كلّ قلبي، وتكون كلّ شيء في حياتي. والحبّ حتّى يكون كذلك يجب أن يكون لشخص معيّن، ومن ناحية أخرى، يهدف الحبّ إلى ما هو أبعد من شخص واحد، يهدف إلى حبّ الإنسانيّة بأسرها. فكيف نوفّق بين حبّ شخص وحبّ الجميع؟ إن كان الحبّ لا يهدف إلى شموليّة الإنسانيّة بكاملها، ولم تتّسع طاقته إلى أبعد الحدود، إلى المطلق؛ فلا يستحقّ أن يوصف بكلمة حبّ. فكيف نوفّق بين فرديّة الحبّ وشموليّته؟ هذا تناقض ثانٍ في الحبّ.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

معنى البتوليَّة

وجدنا أنفسنا أمام تناقضين في سعي الحبّ لتحقيق الوحدة الكاملة بين طرفيه: التناقض الأوّل بين وحدة كاملة تحافظ على فرديّة كل طرف، والثاني بين حبّ لشخص يستطيع أن يشمل حبّ الجميع. فكيف يمكن حلّ هاتين المعادلتين؟ هذا ما سوف نصل إليه بعد أن نفهم معنى الإنسان الكامل وجسد المسيح السرّيّ.

• معنى الإنسان الكامل

الإنسان هو برنامج كامل وشامل يحقّقه كلّ فرد على مستواه الشخصيّ بحسب إمكاناته المحدودة، وفي إطار حياته المحدودة أيضًا. ففي داخل كلّ فرد برنامج كامل «للإنسان»، وفي حدود حياته الماضية قد حقّق منه جزءًا، وسيكمل تحقيقه حتّى الموت، وهذا الجزء هو نصيبه في تحقيق البرنامج. فمثلًا هذا المنزل اشترك في بنائه مائة عامل، كلّ منهم اضطلع بدور محدود بحسب تخصّصه، فالكهربائيّ اهتمَّ بالتوصيلات الكهربائيّة، والنجّار منوطة به أعمال الخشب، وعامل البناء مسؤول عن إقامة الحيطان، والنقّاش يقوم بأعمال الطلاء.. وهكذا. كلّ فرد أخذ على عاتقه جزءًا من تنفيذ

البرنامج (المنزل)، وكلّ هؤلاء معًا تعاونوا في إخراج المنزل إلى حيّز الوجود.

وانطلاقًا من هذا التشبيه، نقول إنّ الإنسانيّة تمامًا مثل المنزل، تحتاج من كلّ فرد أن يقوم بدور معيّن بحسب قدراته وإمكاناته، وجملة هذه الأدوار تشكّل بناء الإنسانيّة الكامل. وأستطيع أن أضع رسمًا تخطيطيًّا للإنسانيّة على شكل دائرة كبيرة، وكلّ فرد له دور في تكوين الإنسانيّة نمثّله بدائرة صغيرة في داخل الدائرة الكبيرة. هذا هو دوري المطلوب إليَّ القيام به، وهذا هو دورك، ودوره، ودورها...، وبهذه الطريقة تنمو الإنسانيّة وتكتمل رويدًا رويدًا بإضافة أدوار الأفراد الآخرين الذين نعرفهم، والذين لا نعرفهم، إذ لكلّ إنسان دوره الخاصّ في بناء الإنسانيّة، وإلّا لم يكن هناك داع لوجوده. لا فرد زائدًا عن العدد، فكلّ فرد يحقّق جزءًا خاصًّا به، ولا يستطيع غيره أن يحلّ محلّه. دورك فريد ومتميّز وخاصّ بك، والإنسان بحياته وعمله وحبّه، بكلّ ما ينجزه في إطار حياته، يحقّق الجزء المكلّف به من البرنامج الكامل «الإنسان». وهنا أودّ أن أنبّه إلى أنّ كلّ فرد منّا يدعى إنسانًا، أمّا «الإنسان» فهو يتكوّن من جميع الخلايا البشريّة التي تمثّلنا، بقدر ما تتّحد معًا لتكوين هذا الجسد الكامل، وما الزواج إلّا محاولة على مستوى محدود لتحقيق هذه الوحدة الكاملة.

هذا الإنسان الكامل هو هدف التاريخ، هو نقطة التاريخ النهائيّة الذي نسمّيه جسد المسيح السرّيّ أو جسد الإنسانيّة السرّيّ: «**وهو أعطى بعضهم أن يكونوا رسلًا وبعضهم أنبياء وبعضهم مبشّرين وبعضهم رعاة ومعلّمين. لأجل تكميل القدّيسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح**» (أف ٤: ١١ - ١٢). وحين يكتمل برنامج الإنسان على الأرض ستكون النهاية، حين يكتمل عدد البشر ويولد آخر فرد،

coptic-books.blogspot.com

ويحقّق بدوره الجزء الخاصّ به. وبهذا يكتسب الجسد أبعاده الكاملة، وهو ما يطلق عليه بولس الرسول تعبير ملء الأزمنة: **«لتدبير ملء الأزمنة فيجمع كلّ شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض»** (أف ١: ١٠).

«فنصل بأجمعنا إلى وحدة الإيمان بابن الله ومعرفته ونصير الإنسان الراشد ونبلغ القامة التي توافق كمال المسيح» (أف ٤: ١٣). فما هو المقصود من تعبير «الإنسان الكامل» في هذه الآية؟ ولِمَ لم يكن آدم أوّل البشر هو الإنسان الكامل؟ حتّى قبل الخطيئة لا يمكن اعتبار آدم هو الإنسان الكامل مع كونه في حالة النعمة، لأنّه إن كان كذلك فلا داعي إذًا لتكاثر البشريّة الذي أوصى به الله حين خلق آدم وحوّاء **«انموا واكثروا واملأوا الأرض»** (تك ١: ٢٨)، بل نستطيع أن نقول إنّه لم تكن هناك حاجة إلى خلق حوّاء. لكنّ آدم لم يكن سوى البذرة الأولى التي تكاثرت حتّى يتمّ تحقيق برنامج الإنسان عن طريق نسله، وهو ما يعجز عن تحقيقه بمفرده. فتكاثر الإنسان له هدف ألا وهو توزيع المسؤوليّات على كلّ البشر ليستطيعوا المشاركة في تكوين «برنامج الإنسان الكامل».

• دور المسيح في تكوين «الإنسان»

لقد تكاثرت البشريّة، وقام كلّ فرد بالدور المكلَّف به، وحاولت الخلايا البشريّة أن تتّحد معًا لتكوين الإنسان الكامل، لكنّ هذه المحاولات، كما رأينا، لم تثمر سوى نتائج محدودة وناقصة، وأقصد هنا المحاولة التي تتمّ من خلال إطار الزواج. لكن ما سبب هذا الإخفاق؟ يرجع هذا إلى نقص عنصر معيّن، عنصر موحِّد لهذه الخلايا البشريّة، عنصر يستطيع أن يحقّق بينها الوحدة المنشودة، وأن يجمعها

في جسد واحد. فما هو هذا العنصر؟ هنا يظهر دور المسيح في أداء هذه المهمّة، مهمّة توحيد البشريّة في جسد واحد. فلِمَ اقتصر هذا الدور على المسيح بالذات؟ هذا ما سنحاول توضيحه في ما يلي.

تريد مجموعة من حُبيْبات الرمل أن تكوِّن وحدة في ما بينها، وتحاول أن تلتصق جنبًا إلى جنب لتكوِّن كتلة من الرمال نسمّيها حجرًا. هذا الحجر ما هو إلّا مجموعة حبيْبات مكدَّسة ومتراصّة، هو وحدة تكدّس. وهنا أسأل ما هو الفرق بين اتّحاد هذه الحبيْبات في صورة حجر، واتّحادها في صورة شجرة؟ في الحالة الأولى هناك تلاحم بين مكوّنات الحجر أو بمعنى آخر تكدّس، أمّا في الحالة الثانية فهناك وحدة حقيقيّة. في الحالة الأولى نسمّيها كتلة، أمّا في الثانية فهي كائن حيّ، والفرق بين الحالتين: إنّ الأولى وحدة سطحيّة، وحدة قشور. أمّا الثانية فهي وحدة جوهريّة عنصريّة.

وللمزيد من الإيضاح أقول إنّني إذا حاولت أن أوحِّد هذه الحُبيْبات بأن أضغطها معًا، سأحصل على حجر، ولم تحدث وحدة، بل تكتلّ وتكدّس، كتلة من حُبيْبات الرمل ليس بينها تجانس. فكيف تتوحَّد هذه الحُبيْبات في وحدة عنصريّة جوهريّة؟ هذا هو السؤال.

الوحدة بين عناصر من النوع نفسه لا تتمّ إلّا عن طريق عنصر جديد من نوعيّة أخرى، فلا تتكوَّن وحدة بين عناصر متشابهة سوى بإدخال عنصر من جنس آخر يحقّق وحدتها. فهذه الحُبيْبات التي فشلت في تحقيق وحدتها عن طريق التكدّس، لننظر ماذا يحدث لها بعد أن نلقي وسطها بحبّة قمح. هذه البذرة تختلف لجهة طبيعتها عن حُبيْبات الرمل، فهي حياة وتلك مادّة. وبعد فترة تذوب البذرة، ومن جرّاء موتها تمتصّ بداخلها الجزيئات المكوّنة لحبّة الرمل التي حولها. ولكن بطريقة عضويّة جوهريّة حيّة، ترفعها إلى كائن حيّ جديد يضمّ في

coptic-books.blogspot.com

ذاته كلّ هذه الجُزَيئات ويربطها معًا برباط جوهريّ يتناول كلّ جُزَيء من صميمه، ولا تعود وحدة سطحيّة خارجيّة، بل وحدة قلوب. فكل جُزَيء سلّم حياته إلى بذرة الحياة التي أُلقيت على الأرض لتحقيق وحدة جديدة، هي الشجرة الحيَّة.

فإذا طبَّقنا هذا المعنى على مستوى البشريّة نجد أنّها عبارة عن جُزيئات عديدة تحاول أن ترتبط معًا بالتكدّس، ولكن محاولتها تفشل كما أشرنا سابقًا نتيجة للعوائق الأربعة التي ذكرت سابقًا. وتحتاج البشريّة إلى عنصر من نوع جديد، يستطيع أن يوحِّد في ذاته الخلايا البشريّة كلّها، ويرقيها إلى مستوى جسد حيّ. عنصر يكون من طبيعة أرقى من الطبيعة البشريّة، عنصر من نوعيّة إلهيّة فائقة الطبيعة. وبالفعل نزل هذا العنصر إلى الأرض، ومات، ودفن فيها، وبموته جذب إلى ذاته جميع الخلايا البشريّة ورفعها إلى حقيقة جديدة: «**وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**» (يو ١٢ : ٣٢). هكذا قال المسيح عن نفسه، وهو يقصد أنّ موته ودفنه وقيامته هي عمليّة زرع للشجرة الجديدة التي ستجتمع فيها الإنسانيّة كلّها لتكوين الجسد الجديد.

العنصر الثالث هذا، هو المسيح، هو الرأس الذي يجذب إليه الخلايا ليحقّق حلمها، حلم الوحدة، حلم الحبّ. وبكلمات أخرى نستطيع أن نقول إنَّ تحقيق رغبة الحبّ سيتمّ يومًا ما بشكل نهائيّ ومطلق في جسد المسيح السرّيّ الذي سيربط بيننا برباط جوهريّ نهائيّ.

• في المسيح زال التناقض الكائن في الحبّ

بهذا أصبح اتّحاد كلّ إنسان بالمسيح شرطًا لاتّحاده بالقريب، لاتّحاده بشريك حياته. فالزوجان لا يمكن أن يتّحدا على مستوى أفقيّ

بل على مستوى رأسيّ. وحدتكما ستتمّ بقدر اتّحاد كلّ فرد بالمسيح، وهو العنصر الوحيد الذي يستطيع أن يحبّ كلّ فرد حبًّا فرديًّا خاصًّا، وفي الوقت نفسه أن يحبّنا كلّنا كجماعة. لا يستطيع أحدٌ غير المسيح أن يلغي التناقض الكائن في الحبّ، بين فرديّته وشموليّته. فالمسيح يتزوّج كلّ واحد منّا ليضمّه إلى ذاته ويجعله واحدًا معه في الحقيقة والجوهر، وهذا يفسِّر عدم زواج المسيح بامرأة واحدة خلال حياته على الأرض.

علاقتي بالمسيح يجب أن تكون علاقة حبيب بمحبوبته، وكلّ علاقة بين إنسان والمسيح هي علاقة فريدة وفرديّة، وفي الوقت نفسه يستطيع المسيح أن يحقِّق هذا الحبّ الفريد مع الجميع. قد يبدو لنا هذا مستحيلًا.. فلا أستطيع أنا أن أحبّ فتاة حبًّا كلّيًّا ثمّ أقول لها إنّني أحبّ فتاة غيرها بالقدر نفسه من الحبّ. إلّا أنّ المسيح بدون أن يقسِّم قلبه، لكونه هذا العنصر الإلهيّ، يستطيع أن يحبّ كلًّا منّا حبًّا مطلقًا ثمّ يحبّنا كلّنا. وأرجو المعذرة لاستخدامي تعبير «كلّنا»، فالصحيح أن أقول المسيح يحبّك، لأنّني أخشى أن أقول إنّ المسيح يحبّنا فيتصوّر بعضهم أنّه يوزّع حبّه ليأخذ كلّ فرد نصيبًا منه. كلّا، فالمسيح يحبّني أنا الوحيد. هذا هو حبّ المسيح، حبّ شخصيّ، ولا حبَّ بالجملة لديه.

نجد نحن البشر أنّ الحبّ الشخصيّ يناقض حبّ المجموعة، لكنَّ هذا التناقض يتلاشى لدى المسيح كونه عنصرًا إلهيًّا. فهذه صفة من صفات الألوهيّة، القدرة على حبّ فرديّ وحيد، وفي الوقت نفسه حبّ شامل وجامع. وبهذا يزول التناقض الأوّل الكائن في الحبّ البشريّ بين حبّ فرديّ وحبّ جماعيّ.

في المسيح أيضًا يزول التناقض بين اندماج ووحدة كاملين،

coptic-books.blogspot.com

والحفاظ على فرديّة الفرد. فالإنسان المتّحد بالمسيح يحتفظ بفرديّته، وفي الوقت نفسه يكون مع الآخرين خَليّة من خلايا الجسد السرّيّ. هذه الخليّة تحافظ على كيانها الفريد، لكنّها جزء من الكلّ، وارتباطها بالكلّ يعطيها فرديّتها بدلًا من أن يسلبها إيّاها. الوحدة العضويّة الحيّة هي التي تحافظ على كلّ جزء من أجزاء الكلّ، وفي الوقت نفسه تربط بين الجميع، وبهذا يزول أيضًا التناقض الثاني في الحبّ.

• كيف تتمّ الوحدة في المسيح

حاول أن تتصوّر كيف ستكون وحدتنا في المسيح، يوم نتّحد به جميعًا، هذا شيء خرافي لا يمكن قياسه بما يحدث في الزواج. فعن طريق جسد المسيح السرّيّ سنحقّق كلّنا معًا وحدة تزيد عن وحدة الرجل والمرأة اتّحادًا وقربًا. بمعنى أنّنا سنكون فعلًا أعضاء في هذا الجسد: «**فإنّه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس لجميع الأعضاء عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كلّ واحد للآخر**» (روم ١٢: ٤-٥). لا نتعجّب ولنفكّر قليلًا في تلك الوحدة بين أعضاء الجسد، بين اليد والساعد، بين الأطراف والجذع، الوحدة بين كلّ أجزاء الجسم. إنّها وحدة جوهريّة أكثر كثيرًا من وحدة الرجل بالمرأة، لأنّهما ما زالا اثنين على الرغم من المحاولة المستمرّة ليكونا واحدًا. هذا ما سيتمّ بين الجميع، سنكون جميعًا واحدًا، بمعنى جسد، بمعنى شجرة. تحقيق الهدف من الزواج سيتمّ يومًا ما، ولكنّه سيكون على مستوى جميع البشر. سيكون زواجًا كاملًا بمعنى أنّ كلّ فرد سيتزوّج الجميع. فالمسيح هو وحدة كلّ أعضاء البشريّة. هذا ليس حلمًا بل حقيقة يجب أن تتمّ، فجسد المسيح السرّيّ ليس نظريّة روحيّة بعيدة، بل هو جسد أجساد بقدر كونه جسد أرواح، كلّنا سنكون واحدًا في المسيح: «**فأنتم جسد المسيح**

وكلّ واحدٍ منكم عضوٌ منه» (١ قور ١٢: ٢٧). والحبّ الذي سيضمّنا معًا هو حبّ فائق التصوّر.

لنتصوّر قوّة حبّ الزوج لزوجته، ومدى عمق علاقة العاشق بعشيقته. هذا الحبّ سيكون مضاعفًا، سيتدفّق في قلبي، وسأشعر بحبّ البشريّة بأسرها، ونصيبي من الحبّ سيساوي حبّ البشريّة كلّها لي، سأعطيكم ما لديَّ، وسآخذ منكم ما لديكم، سنتقاسم كلّ ثرواتنا. لنتصوّر ما سيحدث حين أختبر في كياني هذا الحبّ الشامل الذي سيسكن في صدورنا، سيحدث انفجار. هل نعلم لِمَ يموت الإنسان. مَن يرجع إلى كتاب **ولادة الموت** سيعلم أنّ الإنسان يموت لأنّه مدعوّ إلى حبّ لا يطيق قلبه البشريّ تحمّله، هذا القلب عليه أن يذوب وينفجر ويتحوّل إلى قلب آخر، فموت الإنسان هو شرط لتحقيق الحبّ في ذاته. إنّ الإنسان يموت حتّى يستطيع أن يحبّ بكلّ أبعاد كيانه. إذًا الموت مرحلة لتحقيق الحبّ وهذا هو معنى القيامة.

• قيامة الأموات شرط أساسيّ لتحقيق الحبّ

إنّ قيامة الأموات وتحويل أجسادنا الأرضيّة إلى أجساد نورانيّة هما شرط أساسيّ لتحقيق الحبّ وليسا حدثًا عارضًا، لأنّ تغيير الجسد شرط لكي يستطيع الإنسان أن يعيش الحبّ الجديد المدعوّ إليه.. نحن مدعوّون إلى حبّ يفوق كلّ تصوّراتنا: «**ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان، ذلك ما أعدّه الله للذين يحبّونه**» (١ قور ٢: ٩). فلنأخذ هذا الكلام بتعمّق. قد يتصوّر بعضهم أنّ هذا خيال أو مبالغة، أو هو من قبيل تجميل الحقائق، لكن إن لم يكتمل الحبّ ليصل إلى هذه الصورة الجميلة، فهو بعد لم يحقّق هدفه، فحتّى يكون الحبّ حبًّا عليه أن يصل إلى هدفه النهائيّ.

coptic-books.blogspot.com

المسيحيّة تعطي الحبّ أبعادًا غير معقولة، وفيها يتحقّق الحبّ بصورة منطقيّة كاملة. فجسد البشريّة السرّيّ هذا في المسيح هو الشرط الأساسيّ لتحقيق حلم الحبّ. كلّنا واحد، وحتّى نكون كذلك علينا أن نخلع أجسادنا الأرضيّة، وهذه هي القيامة. وعلينا أن نغيِّر من أرواحنا لتذوب أنانيّتنا، وهذا هو الفداء. هذا هو الإنسان الجديد الذي لم يتجدَّد في الجسد وحسب، بل تجدَّد في الروح. فالتغيير الذي يتمّ في الإنسان هو الشرط لزوال العقبات الموجودة في الحبّ البشريّ، والتي تحدّثنا عنها، العقبة الأولى: المانع الجسديّ وقد زال بالقيامة، والعقبة الثانية: المانع الروحيّ والأنانيّة التي تلاشت أيضًا في القيامة، حيث لا أنانيّة في الإنسان الجديد، والعقبة الثالثة: العنصر الزمنيّ: **«أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية؟»** (١ قور ١٥: ٥٥). لا موتَ بعد الآن، فجسد القيامة لا يموت، هو جسد أبديّ، والعقبة الرابعة: محدوديّة الآخر، وفي القيامة سأحبّ الجميع، سنكون واحدًا. وهكذا أمكن التغلّب على جميع العقبات بالقيامة، وهكذا تتحقَّق وحدتنا.

• «إنّ هذا لسرّ عظيم، أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة»

«فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا». حين تطرق أسماعنا هذه الكلمات نفكّر على التوّ وبصورة تلقائيّة في الزواج، لكنّ بولس الرسول يكمل **«أنّ هذا لسرّ عظيم.. أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة»** (أف ٥: ٣٢)، فما يتمّ بين الزوجين في الحبّ يشير إلى الوحدة الكاملة التي ننشد تحقيقها في الجسد السرّيّ. يومًا ما سنكون واحدًا بالفعل، وقتها لا مجال لأن نقول: «سيكونان كلاهما جسدًا واحدًا» بل الأحرى أن نقول: سنكون كلّنا جسدًا واحدًا، وهكذا يتحقّق الغرض من الزواج بصورة كاملة.

يجيب المسيح أحد سائليه: **«لأنّهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوّجون ولكن يكونون كملائكة الله في السموات»** (متّى ٢٢: ٣٠). ومَن يتعمّق في فهم هذه الآية سيجد تفسيرها واحدًا من اثنين. الأوّل: أنّ الزواج سيفقد معناه في الحياة الأخرى، وبالتالي لن يكون هناك زواج. والثاني والذي أؤيّده: أنّ الزواج يتلاشى لأنّه تحقّق، سنعيش كلّنا في حالة زواج، سنعيش في حالة زوجيّة كلّنا معًا في وحدة جوهريّة، وفي الوقت نفسه متميّزة لكلّ فرد.

الزواج يشير إلى عمق هذه العلاقة وفرديّتها ومتانتها وحرارتها، حين يحبّ شابّ فتاة، وتصبح في نظره كلّ شيء في الوجود، سيكون في الحياة الأبديّة على صلة حبّ لها الدرجة نفسها من العمق مع الآخرين بفضل شخص المسيح الذي يربط بيننا. إنّي أقول هذا السرّ العظيم في أمر المسيح والكنيسة، ودور الزواج أن يحاول تحقيق هذا البعد.

• البتوليّة هي محاولة لنعيش الحياة الأخرى على الأرض

تحدّثنا باستفاضة عن الزواج كخطوة لتحقيق الحبّ، فإن كان الأمر كذلك ما هو دور البتوليّة إذًا؟ ولِمَ لا يتزوّج الراهب؟ هل لأنّه يرفض الحبّ؟ الراهب يحبّ لأنّ الله خلقه بقلب وجسد لكنّه لا يتزوّج لأنّه يحب أكثر. فكيف يكون ذلك؟

أشرنا سابقًا إلى أن الزواج يحقّق جزئيًّا رغبة الإنسان في الوحدة بالآخر، ولكن إلى حدّ معيّن، فرغبة الإنسان أوسع من أن تتحقّق من خلال الزواج بفرد. هذا لا يعني أنّني أطالب بتعدّد الزوجات. الله يدعونا إلى حبّ مطلق، فإذا اخترت شخصًا واحدًا ستكون النتيجة أنّه يستأثر بحبّي. أريد أن أفتح قلبي للجميع، والمتبتّل يريد أن يعدّ نفسه

coptic-books.blogspot.com

للوضع الذي سيكون فيه يوم القيامة، ويريد أن يسبق الزمن، ويحاول أن يعيش الحياة الأخرى على الأرض.

طُلب إلى القدّيسة تريزا الطفل يسوع حين كان عمرها ٤ سنوات أن تختار واحدة من بين مجموعة من الهدايا لمناسبة عيد ميلادها. نظرت وتردّدت قليلًا ثمّ انحنت على جميع الهدايا وقالت: أختارها كلّها. كان لديها رغبة لدرجة أنّها لم تستطع أن تضحّي بإحداها، والراهب المتبتّل كذلك، فهو يختار الكلّ، وقلبه مفتوح للجميع، فحبّه للجميع. ولكنه ليس حبًّا بـ «الجملة»، إنّه حبّ لكلّ شخص بمفرده. المتبتّل في حالة خطوبة حتّى يوم الزواج النهائيّ، فيومًا ما سنتزوّج كلّنا في المسيح زواجًا كاملًا: **«لأنّي خطبتكم لرجل واحد لأقدّم عذراء عفيفة إلى المسيح»** (٢ قور ١١: ٢). وحتّى يأتي يوم الزواج يفضّل المتبتّل أن يعيش في حالة انتظار مثل انتظار المخطوبين يوم الوحدة الكاملة.

• البتوليّة والجنس

لا أظنّني محتاجًا إلى تأكيد ما ذكرته مرارًا في مواضع كثيرة عن قدسيّة الجنس في المسيحيّة وكرامته، لكن أردت فقط أن أذكّر القارئ بهذه الحقيقة قبل أن أخوض في شرح موقف المتبتّل من الجنس، إذ قد يتصوّر بعضهم وجود نوع من التناقض.

حتّى أوضح العلاقة بين البتوليّة والجنس أودّ أن أبرز الفرق بين لفظتي الرغبة واللذّة. فكلّ ما هو جميل يجذبنا ويثير فينا رغبة في امتلاكه، رغبة غير سيّئة ما دام الإنسان يحتفظ بها من دون تخطّيه إلى سواها، وما دامت هذه الرغبة تساعده على الخروج من ذاته والانطلاق إلى الآخر. هذا الشعور سليم وقد زرعه الله في الإنسان. ولكن حين

يلبّي الإنسان دعوة الرغبة، ويمدّ يده ليمتلك ما كان يتشوّق إليه، يشعر بلذّة وقتيّة؛ فاللذّة هي الإحساس الذي يشعر به الإنسان لحظة وصوله إلى هدف رغبته. لذلك حين تصل الرغبة إلى مقصدها تتلاشى وتحلّ محلّها اللذّة.

نرى هذا واضحًا في مجال الحياة الجنسيّة، فالإنسان يشعر بانجذاب نحو الجنس الآخر، وهذا الشعور يخلق فيه الرغبة، وحين تتمّ هذه الرغبة عن طريق اللقاء الجنسيّ يشعر الإنسان بلذّة قويّة، وبعدها تذوب الرغبة وتتلاشى. لكنّ المشكلة أنّ اللذّة ذاتها لا تستمرّ طويلًا، فبقدر ما يبقى الإنسان في حالة الرغبة يكون منطلقًا إلى غيره، وبمجرّد بلوغه قمّة اللذّة نراه قد فقد القدرة على الانطلاق.

في ضوء هذه المقدّمة أستطيع أن أوضح ما يعيشه الراهب في بتوليّته. فالبتوليّة هي حالة الإنسان الذي اختار أن يعيش الرغبة المستمرّة من دون أن يحاول تحقيقها، من دون أن يحاول مدّ يده إلى هدف الرغبة هذه. البتوليّة ليست رفض كلّ ما هو جميل وحسن، وليست رفض المرأة، ولكنّها رفض القيام بالعمليّة الجنسيّة التي تؤدّي إلى إلغاء الرغبة نفسها. وهو موقف بالغ الصعوبة، لأنّ المتبتّل يعيش حالة انطلاق وانفتاح وشوق، هو لا يرفض العالم بل يحبّه بكلّ ما فيه، لكنّه يرفض أن يمدّ يده إليه ليمتلكه. البتوليّة هي محاولة لتخطّي كلّ شيء في سبيل أن يظلّ القلب حرًّا طليقًا.

الرغبة واللذّة هما وجها الطاقة الجنسيّة، الأوّل جوهريّ والثاني سطحيّ. فالطاقة في جوهرها رغبة كائنة في صميم الإنسان، وحين تتحوّل إلى لذّة تخرج من موقعها الجوهريّ الأساسيّ لتظهر على السطح أي القشرة. حين تتحوّل الرغبة إلى لذّة تصبّ في الخارج في حين أنّ مكانها الأساسيّ هو في صميم الإنسان، فالرغبة هي قوّة

coptic-books.blogspot.com

انطلاقيّة تدفع الإنسان إلى الانطلاق، هي الحياة بكلّ معانيها. لذا وجب على الإنسان أن يحافظ على قوّة الرغبة فيه من دون أن يشتّتها في اللذّة، فتظلّ هذه الرغبة تحت سيطرة الروح. فالرسول بولس يقول: **«ولكن أقول لغير المتزوّجين وللأرامل إنّه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوّجوا لأنّ التزوّج أصلح من التحرّق»** (١ قور ٧: ٨-٩). والتحرّق هنا هو شعور جارف بالرغبة مع فقدان توازن الفرد الداخليّ من دون القدرة على ضبط النفس كما أوضح الرسول في الآية. وبالطبع هذه الدعوة إلى البتوليّة لا يستطيع الجميع تلبيتها: **«قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوّج فقال لهم: ليس الجميع يقبلون بهذا الكلام بل الذين أعطي لهم، لأنّه ثمّة خصيان ولدوا هكذا من بطون أمّهاتهم، وخصيان خصاهم الناس، وخصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، مَن استطاع أن يقبل فليقبل»** (متّى ١٩: ١٠-١٢).

ويشير القدّيس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل قورنثُس إلى موقف المتبتّل: **«فأقول هذا أيّها الأخوة إنّ الزمان قصير، فبقي أن يكون الذين لهم نساء كأنّهم لا نساء لهم، والباكون كأنّهم لا يبكون، والفرحون كأنّهم لا يفرحون، والذين يشترون كأنّهم لا يملكون، والذين يستعملون هذا العالم كأنّهم لا يستعملونه، لأنّ هيئة هذا العالم تزول»** (١ قور ٧: ٢٩-٣١). هذا هو الموقف الذي أتحدّث عنه، موقف تجريديّ، وفي الوقت نفسه انفتاحيّ، أقبل العالم ولا أقبل أن يسيطر عليّ العالم. موقف صعب جدًّا ويجعل المتبتّل منطلق دائمًا، متفتّح ومبتسم، يقبل كلّ شيء وكلّ إنسان، لكنّه يرفض أن يمدّ يده إلى شيء ليمتلكه، يرفض الاحتضان بقدر ما فيه من امتلاك.

• البتوليّة والحبّ

في نظري إنّ المتبتّل بدلًا من أن يكون منعدم الحبّ فهو كثيره، هو أكثر انطلاقًا وتفتّحًا على الجميع، لكنّه يرفض أن يخصّ حبّه بشخص واحد، كما يرفض أن يعبّر عن هذا الحبّ بطريقة جنسيّة محدودة. هو إنسان رفض محدوديّة الحبّ البشريّ واختار أن يكون حبّه شاملًا. المتبتّل هو رائد على طريق البشريّة، والرائد يحاول اكتشاف أبعاد جديدة قبل الآخرين. المتبتّل يسبق زمانه ويعيش حالة مستقبليّة غير قائمة الآن، وهو في هذا يشير إلى ملكوت الله كما سيكون. هذا الكلام ليس من قبيل المبالغة والخيال، بل هو حقيقة. فأنا كمتبتّل لم أُضحِّ بالحبّ لأنّه أسمى قيمة في الوجود، لكنّ البتوليّة في نظري هي انتظار لتحقيق الحبّ في المسيح، وهذا هو أملي ورجائي، هذا هو انتظاري وإيماني، إنّه لعظيم سرّ الإيمان.

هذه هي العلاقة بين البتوليّة والحبّ، بتوليّتي ليست كبتًا، وقلب المتبتّل بدلًا من أن ينكمش ويضيق نراه ينشرح ويتّسع ليشمل الجميع بحبّه. فالدعوة الرهبانيّة هي دعوة إلى حبّ أسمى، وليست إلى حبّ مبتور كما قد يتصوّر بعضهم، وفيها دعوة إلى الانشراح وليست دعوة إلى الانقباض. البتوليّة في جوهرها هي دعوة إلى الحبّ الأعلى على مثال حبّ المسيح، حبّ شخصيّ وفرديّ لكلّ إنسان بطريقة متميّزة، وفي الوقت ذاته فيها حبّ شامل. والمتبتّل عليه ألّا يضحّي بأحد هذين البعدين على حساب الآخر: فالراهب عليه أن يكون للجميع، ولكلّ فرد في اللحظة نفسها، هو توازن صعب التنفيذ لكنّه مطلوب، توازن لا أدّعي أنّني أعيشه بل أحاول ذلك.

لكن هل ينطبق هذا الكلام على الدعوة الرهبانيّة وحدها؟ وما هو موقف العلمانيّ من هذا النوع من الحبّ؟ أنا أوضحت ما يحاول

coptic-books.blogspot.com

المتبتّل أن يعيشه ويحقّقه في حياته، ولكن هذا الحبّ ليس حكرًا على أحد، إنّه النموذج الذي يجب أن يعيشه كلّ إنسان، وما يسهِّل عليَّ أن أحياه هو أولويّة حبّي للمسيح. لقد اخترت المسيح من دون الآخرين، وهاكم نتيجة هذا الحبّ، ارتباطي بالمسيح هو الأوّل، وهو الذي قال لي: **«مَن أحبّ أبًا أو أمًّا أكثر منّي فلا يستحقّني، ومَن أحبّ ابنًا أو ابنة أكثر منّي فلا يستحقّني، ومَن لا يأخذ صليبه فلا يستحقّني، ومَن وجد حياته يضيعها، ومَن أضاع حياته من أجلي يجدها»** (متّى ١٠: ٣٧-٤٠).

مَن يضحّي من أجل المسيح سيجده في المقابل يقول له: كلّ هؤلاء أخوتك. إذًا أنت أخي وأنتِ أختي، وهذا يذكّرنا باللفظ الذي نلقّب به الراهب والراهبة، فنحن ندعوه أخًا وندعوها أختًا. والمفروض أن أكون أنا الأخ بولاد وليس الأب بولاد.

أنا أخ لكم، وكلّكم أخوتي، أخوة بمعنى الكلمة. أنا أشعر أنّ هناك أسرة تجمعنا، أنا الذي ضحّيت بالأسرة وجدت فيكم أسرتي، أنا الذي ضحّيت بحبّ واحدة، كنتم لي حبًّا أعظم.

سرّ البتوليّة هو سرّ المزيد من الحبّ، ولكن هذا لا يتمّ من خلال تضحية أولى، ويجب ألّا ننسى أنّ حبّ الله هو الأوّل، وهو الذي يسمح لي بأن أحبّ بطريقة طاهرة غير أنانيّة.

خاتمة

هذه هي حقيقة الحبّ النهائيّة، هذه هي أبعاد الحبّ الكاملة. فالحبّ يجب أن ننظر إليه من جميع أبعاده حتّى نفهمه، لقد تناولناه من جانبه الجسمانيّ الجنسيّ وكان لا بدّ من ذلك، وتحدّثنا عن الطاقة الجنسيّة وأبعادها في الإنسان، ثمّ استعرضنا بعض مظاهر الاختلافات في تكوين كلّ من الجنسين كي نشير إلى ضرورة التكامل بينهما، وأثر ذلك في تولّد الشعور بالحبّ. بهذا أوضحنا معنى الحبّ على المستوى الأعلى، ودور العطاء والتضحية والالتزام والإخلاص في الحبّ، ودخلنا في عمق الحبّ بمعناه الإنسانيّ الأسمى. وقد اكتشفنا حدود الحبّ البشريّ وقلنا إنّ الحبّ إمّا نزعة فاشلة.. سراب.. حلم مستحيل التحقيق، وإمّا هناك مرحلة مستقبليّة سوف يتحقّق فيها الحبّ بمعناه الشامل والمطلق. وهذا ما فتح أمامنا آفاقًا إيمانيّة جديدة، بحيث يتوازى الإيمان مع تحليل الحبّ عن طريق الفلسفة. واكتشفنا أنّ الحبّ إن لم يتحقّق بهذه الصورة يكون خداعًا، والحياة لا معنى لها، لأنّ الله لا يلهو بالإنسان. فهو قد خلق فينا هذه النزعة، وينوي تحقيقها فينا يومًا ما. هذا هو رجاؤنا، هذا هو سرّ الإيمان، وهذا هو جوهر المسيحيّة، لأنّ المسيحيّة في عمقها هي سرّ الحبّ.

coptic-books.blogspot.com

فهرس المحتويات

هذا الكتاب ٥
مقدّمة ٧
أوّلًا: أن ننظر إلى الموضوع نظرة شاملة ٨
ثانيًا: أن ننظر إلى الموضوع نظرة مقدَّسة ٩

الباب الأوّل: **الطاقة الجنسيَّة في الإنسان** ١٣
الفصل الأوّل: **طبيعة الطاقة الجنسيَّة** ١٥
- ما هو المقصود بالطاقة الجنسيَّة؟ ١٥
- هدف الطاقة الجنسيَّة في الإنسان ١٦
- الطاقة الجنسيَّة والعلاقة بين الزوجين ١٨
- العلاقة بين الوظيفة واللذَّة ١٩
- النزعة الجنسيَّة في الإنسان ليست حتميَّة ٢٠
- الحضارة البشريَّة هي إحدى ثمار الطاقة الجنسيَّة ٢١
- كلّما كانت الطاقة خطيرة، ازدادت فائدتها ٢٢
- مراحل تطوّر الطاقة الجنسيَّة في الإنسان ٢٣

الفصل الثاني: **توجيه الطاقة الجنسيَّة** ٢٦
- أهمِّيَّة توجيه الطاقة الجنسيَّة ٢٦
- الفرق بين الكبت وضبط النفس ٢٧
- مجالات توزيع الطاقة الجنسيَّة في الإنسان ٢٩

الفصل الثالث: **المسيحيّ وجسده** ٣٧
- وحدة كيان الإنسان ٣٧
- المسيحيَّة دين التجسّد وقيامة الأجساد ٣٨
- الدنس هو صورة من صور العبوديَّة ٣٩

coptic-books.blogspot.com

- الصراع بين الجسد والروح ٤١
- حتّامَ تقهر جسدك؟ ٤٣
- صورة جديدة للقداسة ٤٥

الفصل الرابع: **التجارب النفسيَّة** ٤٧
- كلّ تقدّم بشريّ هو نتيجة عقبة تخطّاها الإنسان ٤٧
- كيف تستفيد من التجارب الشرّيرة؟ ٤٨
- دور قوّة الله في محاربة التجارب الشرّيرة ٤٨
- دور الاختبار في مسألة الجنس ٤٩
- دور الإرادة والتربية في محاربة التجارب الجنسيَّة ٥٠
- الاستمناء (العادة السرِّيَّة) ٥١
- العادة السرِّيَّة بين الرفض التامّ والإباحة ٥٢
- العادة السرِّيَّة تستنزف الطاقة الجنسيَّة ٥٣
- الدوافع إلى تكرار ممارسة العادة السرِّيَّة لدى الشباب ٥٥
- قضيَّة العادة السرِّيَّة ليست دينيَّة بحتة ٥٧

الخاتمة ٥٨

الباب الثاني: **بيولوجيا الجنس** ٦١

الفصل الأوّل: **الجهاز التناسليّ عند الرجل** ٦٣
- التركيب التشريحيّ ٦٣
- فسيولوجيا الجهاز التناسليّ عند الرجل ٦٣
- العقم والعجز لدى الرجل ٦٤
- الإخصاء ٦٥
- ختان الأولاد ٦٥

الفصل الثاني: **الجهاز التناسليّ عند المرأة** ٦٦
- التركيب التشريحيّ ٦٦
- فسيولوجيا الجهاز التناسليّ عند المرأة ٦٦
- العقم والعجز لدى المرأة ٦٧
- تأثير الأمومة في طباع المرأة ٦٧
- ختان البنات ٦٩

- العقم والعجز وعلاقتهما بصلاحيَّة الزواج ٧٠
- كيف يتحدّد جنس الجنين؟ ٧٠

الباب الثالث: **مظاهر الاختلاف والتكامل بين الجنسين** ٧٣

الفصل الأوّل: **فلسفة الاختلاف بين الجنسين** ٧٥
- الاستقطاب الجنسيّ ٧٦
- «ويكونان كلاهما جسدًا واحدًا» ٧٧
- الانجذاب بين الجنسين أساسه الاختلاف بينهما ٧٩

الفصل الثاني: **بعض مظاهر الاختلاف بين الجنسين** ٨١

أوّلًا : من الناحية الفسيولوجيَّة ٨١

ثانيًا : من الناحية التشريحيَّة ٨١

ثالثًا : الإحساس الجنسيّ ٨٢

رابعًا : الرجل شهوانيّ والمرأة عاطفيَّة ٨٣

خامسًا : الرجل قويّ وغليظ المعاملة، والمرأة ضعيفة رقيقة ٨٤

سادسًا : الرجل يميل إلى الأنانيَّة والمرأة إلى العطاء ٨٥

سابعًا : الرجل إيجابيّ والمرأة سلبيَّة ٨٥

ثامنًا : الرجل يميل إلى العنف والمرأة إلى الحيلة ٨٥

تاسعًا : الرجل ضعيف في تحمّله الألم، والمرأة أقوى في تحمّلها إيّاه ٨٦

عاشرًا : الرجل يستغلّ ٧٥٪ من طاقته العاطفيَّة في العمل، والباقي في العلاقات الاجتماعيَّة والحبّ. والمرأة عكس ذلك. ٨٦

حادي عشر : الرجل يميل إلى النشاط خارج المنزل والمرأة داخله .. ٨٨

ثاني عشر : هدف الرجل النجاح، وهدف المرأة استحواذ إعجاب الآخرين ٩٢

ثالث عشر : الرجل يعيش لمستقبله والمرأة تعيش حاضرها ٩٢

رابع عشر : ذكاء الرجل هو ذكاء العقل، وذكاء المرأة هو ذكاء القلب ٩٣

خامس عشر : مظاهر الاختلاف الأخرى بين الجنسين ٩٥

coptic-books.blogspot.com

الخلاصة ٩٥

الباب الرابع: **أبعاد الحبّ الإنسانيّ** ٩٧
الفصل الأوّل: **ثلاثيّة الحبّ** ٩٩
١ - دور الطفل في تنمية الحبّ بين الزوجين ١٠٠
٢ - التبنّي ١٠١
٣ - وجود هدف مشترك ١٠٢
الفصل الثاني: **قوى الدفع في صاروخ الحبّ** ١٠٣
١ - البعد الجسديّ في الحبّ ١٠٣
٢ - البعد العاطفيّ في الحبّ ١٠٤
٣ - البعد الروحانيّ في الحبّ ١٠٥
الفصل الثالث: **إلتزام الحبّ والارتباط فيه** ١٠٦
- يجب أن يكون الحبّ مطلقًا ١٠٦
- الزواج هو صورة الحبّ العليا ١٠٧
- جوهر الزواج هو الالتزام، وجوهر الالتزام هو الإرادة الحرّة ١٠٧
- الحبّ كخبرة مكتملة لا يعاش سوى مرّة واحدة في العمر ١٠٩
- إلى أيّ مدى يستطيع الإنسان أن يعبّر جسديًّا عن حبّه في فترة الخطوبة؟ ١١١
- العفّة قد تكون وسيلة لتعميق الحبّ ١١٢
الفصل الرابع: **الإخلاص والوفاء في الحبّ** ١١٥
- الحبّ الحقيقيّ يتّجه إلى ذات الشخص الآخر ١١٥
- صورتان للحبّ: حبّ العشيق وحبّ الصليب ١١٧
- الإخلاص في الحبّ قد يستمرّ بعد الموت ١١٨
الفصل الخامس: **البعد النفسانيّ أو العاطفيّ في الحبّ** ١١٩
- المجال العاطفيّ والمجال الجسديّ ١١٩
- شروط الصداقة ١٢٠
- الصداقة بين الجنسين (الاختلاط) ١٢١
- مزايا الاختلاط ١٢٢
- مخاطر الاختلاط ١٢٣

- الصفات الأساسيّة عند الرجل والمرأة وتكامل الجنسين ١٢٤
- فكرة التكامل بين الجنسين ١٢٦
- أسطورة هنديّة ١٢٧
- الحبّ على شكل ثالوث ١٢٧
- شروط الزواج الناجح ١٢٨
الفصل السادس: **تطوّر الحبّ في الحياة الزوجيّة** ١٣٠
- المرحلة الأولى: شهر العسل ١٣٠
- المرحلة الثانية: خيبة أمل ١٣١
- المرحلة الثالثة: إكتشاف الآخر مجدّدًا ١٣٤
الفصل السابع: **وحدانيّة الحبّ والزواج** ١٣٥
الفصل الثامن: **سرّ الزواج المسيحيّ** ١٣٨

الباب الخامس: **نحو زواج ناجح** ١٤٣
الفصل الأوّل: **الاستعداد للزواج** ١٤٥
- أهمّيّة الإعداد للزواج ١٤٥
- الحبّ علم يجب أن نتعلّم أصوله ١٤٥
- هذا التعليم لا يخلو من أخطاء ١٤٦
- حافظ على قدراتك الجسميّة والعاطفيّة ١٤٧
- تأخير سنّ الزواج فرصة للمزيد من النضج ١٥٠
- مفهوم سليم عن المرأة ١٥١
الفصل الثاني: **إختيار شريك الحياة** ١٥٤
أوّلًا: أسس اختيار شريك الحياة ١٥٤
ثانيًا: كيف تختار شريك حياتك ١٦٠
الفصل الثالث: **تنظيم الأسرة بالطرق الاصطناعيّة** ١٦٤
تنظيم الأسرة بالطرق الصناعيّة ١٦٥-١٦٨
موقف الكنيسة من وسائل منع الحمل ١٧٠

الباب السادس: **حدود الحبّ البشريّ ومعنى البتوليّة** ١٧٣
الفصل الأوّل: **حدود الحبّ البشريّ** ١٧٥
١ - المانع الجسديّ أو عتامة الأجساد ١٧٦

coptic-books.blogspot.com

٢ - المانع الروحيّ أو عتامة الأرواح ١٧٧
٣ - العائق الزمنيّ ١٧٩
٤ - محدوديَّة الآخر ١٨٠
• محاولات شاذّة لتخطّي هذه العقبات ١٨١
• المأزق الموجود في الحبّ البشريّ ١٨٣
• التناقض الجوهريّ في الحبّ البشريّ ١٨٤
الفصل الثاني: **معنى البتوليَّة** ١٨٦
• معنى الإنسان الكامل ١٨٦
• دور المسيح في تكوين «الإنسان» ١٨٨
• في المسيح زال التناقض الكائن في الحبّ ١٩٠
• كيف تتمّ الوحدة في المسيح ١٩٢
• قيامة الأموات شرط أساسيّ لتحقيق الحبّ ١٩٣
• «إنّ هذا لسرّ عظيم، أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة» ١٩٤
• البتوليَّة هي محاولة لنعيش الحياة الأخرى على الأرض ١٩٥
• البتوليَّة والجنس ١٩٦
• البتوليَّة والحبّ ١٩٩
خاتمة ٢٠١

تصميم الغلاف : **الفنّان تاد**

الصفّ والإخراج : **شركة الطبع والنشر اللبنانيَّة (خليل الديك وأولاده)**

الطباعة : **مؤسَّسة دكَّاش للطباعة**

٢٠٠٨/١/٣١-٢-١٥٢٥